هذا كتاب

التنوير في اسقاط التدبير

تأليف الشيخ الامام العلامة القدوة وحيد عصره

وفريد دهره القطب الرباني أبي الفضل أحمد

ابن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله

السكندري المالكي رضي الله

تعالى عنه وأعاد علينا

من بركاته وعلومه

آمين

*(وبهامشه تاج العروس الحاوي لتهذيب

النفوس تأليف الشيخ الامام تاج الدين بن عطاء الله

السكندري المذكور أعلاه رحمه الله تعالى)*

(طبع بالمطبعة الميمنية)

على نفقة أصحابها (مصطفى البابي الحلبي وأخويه)

(بمصر)

R. UNIV.
BIBLIOTHEEK
LEIDEN

ماشاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العارف القدوة المحقق تاج العارفين * لسان المتكلمين * امام وقته وأوحد عصره حجة السلف * وامام الخلف * قدوة السالكين * وحجة المتقين * تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به ونفع به كافة المسلمين انه سميع قريب مجيب * الحمد لله المنفرد بالخلق والتدبير * الواحد في الحكم والتقدير * الملك الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * ليس له في ملكه وزير * المالك الذي لا يخرج عن ملكه * كبير ولا صغير المتقدس في كمال وصفه عن الشبيه والنظير * المنزه في كمال ذاته عن التمثيل والتصوير * العليم الذي لا يخفى عليه ما في الضمير * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * العالم الذي أحاط علمه بمبادي الامور ومنتهاياتها * السميع الذي لا فضل في سمعه بين جهر الاصوات واخفائها * الرزاق وهو المنعم على الخليقة بايصال أقواتها * القيوم وهو المتكفل بها في جميع حالاتها * الواهب وهو الذي من على النفوس بوجود حياتها * القدير وهو المعيد لها بعد وجودوفاتها * الحسيب وهو المجازي لها يوم قدومها عليه بحسناتها وسيآتها * فسبحانه من اله من على العباد بالجود قبل الوجود * وقام لهم بارزاقهم مع كثرة حالتهم من اقرار وجحود * وأمد كل موجود بوجود عطائه وحفظ وجوده ووجود العالم بامداد بقائه * وظهر بحكمته في أرضه * وبقدرته في سمائه * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة عبد مفوض لقضائه * مستسلم له في حكمه وامضائه * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المفضل على جميع أنبيائه * المخصوص بجزيل فضله وعطائه * الفاتح الخاتم وليس ذلك لسواه * الشافع في كل العباد حين يجمعهم الحق لفصل قضائه * صلى الله عليه وعلى سائر أنبيائه * وعلى آله وصحبه المستمسكين بولائه * وسلم تسليما كثيرا * (أما بعد) * اعلم يا أخي جعلك الله من أهل حبه وأتحفك بوجود قربه * وأذاقك من شراب أهل وده * وأمنك بدوام وصلته من اعراضه وصده * ووصلك بعباده الذين خصهم بمراسلاته * وجبر كسر قلوبهم لما علموا أنه لا تدركه الابصار بأنوار تجلياته * وفتح رياض القرب وأهب منها على قلوبهم واردات

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين هذا كتاب تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس تأليف الشيخ الامام الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة تاج الدين أبي العباس أحمد ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى وأسكنه بحبوحة جنته وأفاض علينا وعلى المسلمين من بركته وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وصحابته آمين أيها العبد اطلب التوبة من الله في كل وقت فان الله تعالى قد ندبك اليها فقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فان أردت التوبة فينبغي لك أن لا تخلو من التفكر طول عمرك فتفكر فيما صنعت في نهارك فان وجدت طاعة فاشكر الله عليها وان وجدت معصية فوبخ نفسك على ذلك واستغفر الله وتب اليه فانه لا مجلس مع الله أنفع لك من مجلس توبخ فيه نفسك ولا توبخها وأنت ضاحك

نفحاته

نفحاته * وأشهدهم سابق تدبيره فيهم فسلموا اليه القياد * وكشف لهم عن خفي لطفه في صنعه فخرجوا عن المنازعة والعناد * فهم مستسلمون اليه ومتوكلون في كل الامور عليه * علما منهم انه لا يصل عبد الى الرضا الا بالرضا * ولا يبلغ الى صريح العبودية الا بالاستسلام الى القضا * فلم تفارقهم الاغيار * ولم ترد عليهم الاكدار * كما قال قائلهم

لا تهتدي نوب الزمان اليهم * ولهم على الخطب الشديد لجام

ري نحيي عليهم أحكامه وهم لجلاله خامدون * ولحكمه مستسلمون * كما قال

تجري عليك صروفه * وهموم سرك مطرقه

وان من طلب الوصول الى الله تعالى فحقيق عليه أن يأتي الامر من بابه * وأن يتوصل اليه بوجود أسبابه * وأهم ما ينبغي تركه والخروج عنه والتطهر منه وجود التدبير * ومنازعة المقادير * فصنفت هذا الكتاب مبينا لذلك * ومظهر الماهنالك * وسميته التنوير * في اسقاط التدبير * ليكون اسمه موافقا لمسماه * ولفظه مطابقا لمعناه * والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم * وأن يتقبله بفضله العميم * وأن ينفع به الخاص والعام بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام * انه على ما يشاء قدير * وبالاجابة جدير * قال الله سبحانه وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وقال تعالى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى وقال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله بالرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير الى غير ذلك من الآيات والاحاديث الدالة على ترك التدبير ومنازعة المقادير اما نصا صريحا واما اشارة وتلويحا وقد قال أهل المعرفة من لم يدبر له وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان كان ولا بد من التدبير فدبروا أن لا تدبروا وقال أيضا لا تختر من أمرك شيأ واختر أن لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شئ الى الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار * فقوله تعالى في الآية الاولى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيه دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ويشمل ذلك حكم التكليف وحكم التصريف والتسليم والانقياد واجب على كل مؤمن في كليهما * فاحكام التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد وأحكام التصريف هو ما أورده عليك من قهر المراد فتبين من هذا انه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا بامرين بالامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه وتعالى لم يكتف بنفي الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه على ما قضى حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب وانما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد في المقسم عليه علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها أو لها وفي ذلك اظهار لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فاوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان بالاهيته حتى يذعنوا لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه ربه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وأكد ذلك بقوله يد الله فوق أيديهم وفي الآية اشارة أخرى لعظيم قدره وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى فلا وربك فاضاف نفسه تعالى اليه كما قال في الآية الاخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا فأضاف الحق سبحانه اسمه الى محمد صلى الله عليه وسلم وأضاف زكريا اليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت ما بين الرتبتين ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم في

فرح بل وبخها وأنت مجد صادق مظهر للعبوسة حزين القلب منكسر ذليل فان فعلت ذلك أبدلك الله بالحزن فرحا وبالذل عزا وبالظلمة نورا وبالحجاب كشفا (وعن الشيخ) مكين الدين الاسمر رحمه الله تعالى وكان من السبعة الابدال قال كنت في ابتداء أمري أخيط وأقوت من ذلك وكنت أعد كلامي بالنهار فاذا جاء المساء حاسبت نفسي فاجد كلامي قليلا فاوجدت فيه من خير حمدت الله وشكرته عليه وما وجدت فيه من غير ذلك تبت الى الله واستغفرته الى أن صار بدلا رضي الله عنه واعلم انه اذا كان لك وكيل يحاسب نفسه ويحققها فانت لا تحاسبه لمحاسبته نفسه وان كان وكيلا غير محاقق لنفسه فانت تحاسبه وتحققه وتبالغ في محاسبته فعلى هذا ينبغي لك أن يكون عملك كله لله تعالى ولا ترى انك تفعل فعلا والله تعالى لا يحاسبك ولا يحاققك واذا وقع من العبد ذنب وقع معه ظلمة فمثال المعصية كالنار والظلمة دخانها كمن أوقد في بيت سبعين سنة الا تراه كيف يسود كذلك القلب يسود بالمعصية فلا يطهر الا بالتوبة الى الله فصار الذل

والظلمة والحجاب مقارنة للمعصية فاذا تبت الى الله زالت آثار الذنوب ولا يدخل عليك الاهمال الاباهمالك عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ولا تحصل لك الرفعة عند الله تعالى الا بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم والمتابعة له عليه الصلاة والسلام على قسمين جلية وخفية فالجلية كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وغير ذلك والخفية أن تعتقد الجمع في صلاتك والتدبر في قراءتك فاذا فعلت الطاعة كالصلاة والقراءة ولم تجد فيها جمعا ولا تدبرا فاعلم ان بك مرضا باطنا من كبر أو عجب أو غير ذلك قال الله تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق فيكون مثالك كالمحموم الذي يجد في فيه السكر مرا فالمعصية مع الذل والافتقار خير من الطاعة مع العز والاستكبار قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم السلام فمن تبعني فانه مني ففهوم هذا ان من لم يتبعه ليس منه وقال تعالى حكاية عن نوح عليه وعلى نبينا المصطفى أزكى الصلاة والسلام ان ابني من أهلي فاجابه سبحانه بقوله تعالى قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فالمتابعة تجعل التابع كأنه جزء من المتبوع وان كان أجنبيا كسلمان الفارسي رضي الله عنه لقوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت ومعلوم وأن سلمان من أهل فارس ولكن بالمتابعة قال عنه صلى الله عليه وسلم تعليما فكما أن المتابعة تثبت الاتصال كذلك عدمها يثبت الانفصال وقد جمع الله *(الرابع)* الخير كله في بيت وجعل مفتاحه متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فتابعه بالقناعة تحز رزقك الله تعالى والزهد والتقلل من الدنيا وترك ما لا يعنى

أحكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة اليه في نقضه وابرامه *(فائدة)* اعلم ان الحق سبحانه اذا أراد أن يقوي عبدا على ما يريد أن يورده عليه من وجود حكمه ألبسه من أنوار وصفه وكساه من وجود نعته فتنزلت الاقدار وقد سبقت اليه الانوار فكان بربه لا بنفسه فقوي لاعبائها وصبر للائها وانما يعينهم على حمل الاقدار ورود الانوار * وان شئت قلت وانما يعينهم على حمل الاحكام فتح باب الافهام * وان شئت قلت وانما يعينهم على حمل البلايا واردات العطايا * وان شئت قلت وانما يقويهم على حمل اقداره شهود حسن اختياره * وان شئت قلت وانما يصبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه وان شئت قلت وانما صبرهم على ما جرى علمهم بأنه يرى * وان شئت قلت وانما يصبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله * وان شئت قلت وانما صبرهم على القضاء علمهم بأن الصبر يورث الرضا * وان شئت قلت وانما صبرهم على الاقدار كشف الحجب والاستار * وان شئت قلت وانما قواهم على حمل أثقال التكليف * وزود أسرار التصريف * وان شئت قلت انما صبرهم على أقداره * علمهم بما أودع فيها من لطفه وابراره فهذه عشرة أسباب توجب صبر العبد وثبوته لاحكام سيده وقوته عند ورودها وهو المعطي لكل ذلك بفضله والمان بذلك على ذوي العناية من أهله * ولنتكلم الآن على كل قسم منها لتكمل الفائدة * وتحصل الجدوى والعائدة *(فأما الاول)* وهو انما يعينهم على حمل الاقدار ورود الانوار وذلك أن الانوار اذا وردت كشفت للعبد عن قرب الحق سبحانه وتعالى منه وان هذه الاحكام لم تكن الا عنه فكان علمه بأن الاحكام انما هي من سيده سلوة له وسببا لوجود صبره ألم تسمع لما قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم واصبر لحكم ربك فانك باعيننا أي ليس هو حكم غيره فيشق عليك بل هو حكم سيدك القائم باحسانه اليك وانا في هذا المعنى

وخفف عني ما ألاقي من العنا * بأنك أنت المبتلي والمقدر
وما المرء عما قضى الله معدل * وليس له منه الذي يتخير

ومثال ذلك لو ان انسانا في بيت مظلم فضرب بشئ ولا يدري من الضارب له فلما أدخل عليه مصباح نظر فاذا هو شيخه أو أبوه أو أميره فان علمه بذلك مما يوجب صبره على ما هنالك *(الثاني)* وهو قوله انما يعينهم على حمل الاحكام فتح باب الافهام * اعلم انه اذا أورد الله تعالى على عبده حكما وفتح له باب الفهم عنه في ذلك الحكم فاعلم انه أراد سبحانه ان يحمله عنه وذلك أن الفهم يرجعك الى الله ويحثك اليه ويجعلك متوكلا عليه وقد قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه أي كافيه وافيه وناصره على الاغيار وراعيه لان الفهم عن الله تعالى يكشف لك عن سر العبودية فيك وقد قال سبحانه وتعالى أليس الله بكاف عبده وكل هذه الوجوه العشرة ترجع الى الفهم عنه وانما هي أنواع فيه *(الثالث)* وهو قوله انما يعينهم على حمل البلايا واردات العطايا وذلك أن واردات العطايا السابقة من الله اليك تذكرك لها مما يعينك على حمل أحكام الله اذ كما قضى لك بما تحب اصبر له على ما يجب فيك ألم تسمع قوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها فسلاهم الحق فيما أصيبوا بما أصابوا هذا في العطايا السابقة وقد يقترن بالبلايا في حين ورودها ما يخففها على العباد المقربين من ذلك ان يكشف لهم عن عظيم الاجر الذي ادخره لهم في تلك البلية ومنها ما ينزله على قلوبهم من التثبيت والسكينة ومنها ما يورده عليهم من دقائق اللطف ونزلات المنن حتى كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يقول في مرضه أشد ضحكك وحتى قال بعض العارفين لقد مرضت مرضة فاحببت أن لا تزول لما ورد علي فيها من امداد الله تعالى وانكشف فيها من وجود غيبه والكلام في سبب ذلك موضع غير هذا

من قول وفعل فمن فتح له باب المتابعة فذلك دليل على محبة الله له قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية واذا طلبت الخير كله فقل اللهم انى أسألك المتابعة لرسولك صلى الله عليه وسلم فى الاقوال والافعال (٥) ومن أراد ذلك فعليه بعدم الظلم لعباد الله فى أعراضهم وأنسابهم فلو سلموا من ظلم بعضهم بعضا لانطلقوا الى الله ولكنهم معوقون كالمديان بسبب من يطلبه واعلم انك لو كنت مخصوصا عند الملك مقربا منه وجاء من يطلبك بدين ضيق عليك ولو كان قدرا يسيرا فكيف بك اذا جئت يوم القيامة ومائة ألف انسان أو أكثر يطلبونك بديون مختلفة من أخذ مال وقذف عرض وغير ذلك فكيف يكون حالك المصاب حقا من محقته الذنوب والشهوات حتى جعلته كالشن البالى هذا هو المنكوب المعزى ذهبت ماله وشهواته ملأبها المرحاض وأرضى بها زوجته وباليتها كانت من حلال فاول المقامات التوبة ولا يقبل ما بعدها الا بها مثال العبد اذا فعل المعصية كالقدر الجديد يوقد تحتها النار ساعة فتسود فان بادرت الى غسلها انغسلت من ذلك السواد وان تركتها وطبخت فيها مرة بعد مرة ثبت السواد فيها حتى تكسر ولا يغيد غسلها شيأ فالتوبة هى التى تغسل سواد القلب فتبرز الاعمال وعليها رائحة القبول فاطلب من الله تعالى التوبة دائما فان ظفرت بها فقد طاب وقتك لانها موهبة من الله يضعها حيث شاء من عباده وقد يظفر بها العبد المشقق الاكعاب دون سيده وقد تظفر بها المرأة دون زوجها والشاب دون الشيخ فان ظفرت بها فقد أحبك الله لقوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وانما يغتبط بالشئ من

(الرابع) وهو انما يقويهم على حمل أقداره شهود حسن اختياره وذلك أن العبد اذا شهد حسن اختيار الله تعالى له علم أن الحق سبحانه لا يقصد ألم عبده لانه به رحيم وكان بالمؤمنين رحيما وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة معها ولدها فقال أترون هذه طارحة ولدها فى النار قالوا لا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها غير انه سبحانه وتعالى يقضى عليك بالآلام لما يترتب عليها من الفضل والانعام ألم تسمع قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ولو وكل الحق سبحانه العباد الى اختيارهم لحرموا وجود منته ومنعوا الدخول الى جنته فله الحمد على حسن الاختيار ألم تسمع قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وان الاب المشفق يسوق لابنه الحجام لا لقصد الايلام وكالطبيب الناصح يعانيك بالمراهم الحادة وان كانت مؤلمة لك ولو طاوع اختيارك لبعد الشفاء عليك ومن منع وعلم ان المنع انما هو اشفاق عليه فهذا المنع فى حقه عطاء وكالام المشفقة تمنع ولدها كثرة المأكل خشية التخمة ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى اعلم أن الحق سبحانه وتعالى اذا منعك لم يمنعك عن بخل وانما يمنعك رحمة لك فمنع الله تعالى عطاء ولكن لا يفهم العطاء فى المنع الا صديق وفى كلام أثبتناه فى غير هذا الكتاب انه ليخفف عنك ألم البلايا علمك بانه سبحانه وتعالى هو المبتلى لك فالذى واجهتك منه الاقدار هو الذى له فيك حسن الاختيار (الخامس) وهو انما صبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه وذلك أن علم العبد بان الحق سبحانه مطلع عليه فيما أبلاه يخفف عنه اعباء البلايا ألم تسمع قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا أى ما تلقاه يا محمد من كفار قريش من المعاندة والتكذيب فليس يخاف علينا والحكاية المشهورة أن انسانا ضرب تسعة وتسعين سوطا ولم يتأوه فلما ضرب السوط الذى هو تمام المائة تأوه فقيل له فى ذلك فقال كان الذى ضربت من أجله فى الحلقة فى التسعة والتسعين فلما ولى عنى أحسست بالالم (السادس) وهو انما صبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله وذلك أن الحق سبحانه وتعالى اذا تجلى على عبده فى حين ملاقاته لمرغلبة البلايا حل حرارتها عنه لما أذاقه من حلاوة التجلى فربما غيبهم ذلك عن الاحساس بالالم ويكفيك فى ذلك قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن (السابع) وهو انما صبرهم على القضا علمهم بان الصبر يورث الرضا وذلك أن من صبر على أحكام الله أورثه ذلك الرضا من الله فتحملوا حرارتها طلبا لرضاه كما يتحسى الدواء المر لما يرجى فيه من عاقبة الشفاء (الثامن) وهو انما صبرهم على الاقدار كشف الحجب والاستار وذلك أن الحق سبحانه وتعالى اذا أراد أن يحمل عن عبد ما يورده عليه كشف الحجاب عن بصيرة قلبه فاراه قربه منه فغيبه أنس القرب عن ادراك المؤلمات ولو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى لاهل النار بجماله وكماله لغيبهم ذلك عن ادراك العذاب كما أنه لو احتجب عن أهل الجنة لما طاب لهم النعيم فالعذاب انما هو وجود الحجاب وأنواع العذاب مظاهره والنعيم انما هو بالظهور والتجلى وأنواع النعيم مظاهره (التاسع) وهو انما قواهم على حمل أثقال التكليف ورود أسرار التصريف وذلك لان التكاليف شاقة على العباد يدخل فى ذلك امتثال الاوامر والانكفاف عن الزواجر والصبر على الاحكام والشكر عند وجود الانعام فهى اذا أربعة طاعة ومعصية ونعمة وبلية وهى أربع لا خامس لها ولله عليك فى كل واحدة من هذه الاربع عبودية يقتضيها منك بحكم الربوبية فحقه عليك فى الطاعة شهود المنة منه عليك فيها وحقه عليك فى المعصية الاستغفار مما ضيعت فيها وحقه عليك فى البلية الصبر معه عليها وحقه عليك فى النعمة وجود الشكر منك فيها ويحمل عنك اعباء ذلك كله الفهم واذا فهمت أن الطاعة راجعة اليك وعائدة بالجدوى عليك صبرك ذلك على القيام بها واذا علمت أن الاصرار على المعصية والدخول فيها يوجب العقوبة من الله آجلا وانكشاف نور الايمان عاجلا كان ذلك سببا للترك منك لها واذا علمت أن الصبر تعود عليك ثمرته

أتوب وانقض فالمريض يرجو الحياة مادامت فيه الروح اذا تاب العبد فرحت به داره من الجنة وتفرح به السماء والارض والرسول صلى الله عليه وسلم فالحق سبحانه لم يرض ان تكون محبا بل محبوبا وأين المحبوب من المحب أف لعبد يعلم احسان المحسن فيجترى على معصيته ولكن ما عرف احسانه من آثر عصيانه وما عرف قدره من لم يراقبه وما ربح من اشتغل بغيره فعلم ان النفس تدعوه الى الهلكة فتبعها وعلم ان القلب يدعوه الى الرشد فعصاه وعلم قدر المعصى فواجهه بالمعصية ولو علم اتصافه بعظمته لما قابله بوجود معصيته وعلم قرب مولاه وانه يراه فسارع لما عنه نهاه وعلم أثر الذنب المرتب عليه دنيا وأخرى وغيبا وشهادة فاستحيا من ربه ولو علم انه فى قبضته لما قابله بمخالفته واعلم ان المعصية تتضمن نقض العهد وتحليل عقد الود والايثار على المولى والطاعة للهوى وخلع جلباب الحياء والمبادرة لله بما لا يرضى مع ما فى ذلك من الآثار الظاهرة من ظهور الكدورة فى الاعضاء والجمود فى العين والكسل فى الخدمة وترك الحفظ للحرمة وظهور كدب الشهوات وذهاب بهجة الطاعات وأما الآثار الباطنة فكالقساوة فى القلب ومعاندة وألم النفس وضيق الصدر بالشهوات وفقدان حلاوة الطاعات وترادف الاغيار المانعة من بروق شوارق الانوار واستيلاء دولة الهوى الى غير

وتنعطف عليك بركته سارعت اليه وعولت عليه واذا علمت أن الشكر يتضمن المزيد من الله لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم كان ذلك سببا لمثابرتك عليه ونهوضك اليه وسنبسط الكلام على هذه الاربع فى آخر الكتاب ونفرد لها فصلا ان شاء الله تعالى *(العاشر)* وهو انما صبرهم على أقداره علمهم بما أودع فيها من لطفه وابراره وذلك أن المكاره أودع الحق تعالى فيها وجود الالطاف ألم تسمع قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وقوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفى البلايا والاسقام والفاقات من أسرار الالطاف ما لا يفهمه الا أولو البصائر ألم تر أن البلايا تحمد النفس وتذلها وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع مع البلايا وجود الذلة ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وبسط القول فى ذلك يخرجنا عن قصد الكتاب *(العطاف)* لنرجع الآن الى الآية وهى قوله سبحانه وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * اعلم أن الاحوال ثلاثة قبل التحكيم وفيه وبعده فاما قبل التحكيم فبعود بتهم التحكيم وأما فى الحكم وبعده فبعود بتهم عدم وجدان الحرج فى أمورهم * فان قلت ان ذلك لازم من قوله تعالى حتى يحكموك قيل ليس كل من حكم فقد الحرج عنه اذ قد يحكم ظاهرا والكراهة عنده موجودة فلا بد ان ينضم الى التحكيم فقدان الحرج ووجود التسليم فان قال القائل اذا لم يجدوا الحرج فقد سلموا تسليما فما فائدة الاتيان بقوله ويسلموا تسليما بعد نفى الحرج المستلزم لقبول التسليم الذى من صفته وجود التأكيد فالجواب عنه أن قوله تعالى ويسلموا تسليما أى فى جميع أمورهم * فان قلت ان ذلك لازم من قوله حتى يحكموك فالجواب أن التحكيم ما أطلقه بل قيده بقوله تعالى فيما شجر بينهم فصارت الآية تتضمن ثلاثة أمور أحدها التحكيم فيما اختلفوا فيه والثانى عدم وجدان الحرج فى التحكيم والثالث وجود التسليم المطلق فيما شجر بينهم وفيما نزل بينهم فى أنفسهم فهو عام بعد خاص فافهم *الآية الثانية وهى قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون تتضمن فوائد * الفائدة الاولى قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار * يتضمن ذلك الالزام للعبد بترك التدبير مع الله لانه اذا كان يخلق ما يشاء فهو يدبر ما يشاء فمن لا خلق له لا تدبير له أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ويتضمن قوله ويختار انفراده بالاختيار وأن أفعاله ليست على الاجباء والاضطرار بل هو على نعت الارادة والاختيار وفى ذلك الزام للعبد باسقاط التدبير والاختيار مع الله تعالى اذ ما هو له لا ينبغى أن يكون لك وقوله ما كان لهم الخيرة يحتمل الوجهين أحدهما لا ينبغى أن تكون الخيرة لهم وأن يكونوا أولى بها منه سبحانه وتعالى ونانهما ما كان لهم الخيرة أى ما أعطيناهم ذلك ولا جعلناهم أولى بما هنالك وقوله سبحان الله وتعالى عما يشركون أى تنزيها لله أن يكون لهم الخيرة معه وبينت الآية أن من ادعى الاختيار مع الله فهو مشرك مدعى الربوبية بلسان حاله وان تبرأ من ذلك بمقاله *الآية الثالثة وهى قوله تعالى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى فيها دلالة على اسقاط التدبير مع الله بقوله أم للانسان ما تمنى أى لا يكون ولا ينبغى له لانا ما جعلنا له وأكد ذلك بقوله فلله الآخرة والاولى ففى ذلك أيضا الزام العبد ترك التدبير مع الله تعالى أى اذا كان لله الآخرة والاولى فليس فيهما للانسان شئ فلا ينبغى له التدبير فى ملك غيره وانما ينبغى أن يدبر فى الدارين من هو مالكهما وهو الله سبحانه وتعالى * وقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا فيه دليل على ان من لم يكن كذلك لا يجد حلاوة الايمان ولا يدرك مذاقه وانما يكون ايمانه صورة لا روح فيها وظاهرا لا باطن له ومرتسما لا حقيقة تحته وفيه اشارة الى أن القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعانى كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا لانه لما رضى بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه

ذلك من ترادف الارتياب ونسيان المآب وطول الحساب ولو لم يكن في المعصية الا تبدل الاسم لكان ذلك كافيا فانك اذا كنت طائعا تسمى بالمحسن واذا كنت عاصيا انتقل اسمك الى المسيء المعرض هذا في انتقال الاسم فكيف بانتقال الاثر من تبدل حلاوة

وألقى قياده اليه خارجا عن تدبيره واختياره الى حسن تدبير الله واختياره فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له الرضا من الله كما قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه واذا كان له الرضا من الله أوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من به عليه وليعلم احسان الله اليه ولا يكون الرضا بالله الا مع الفهم ولا يكون الفهم الا مع النور ولا يكون النور الا مع الدنو ولا يكون الدنو الا مع العناية فلما سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا من خزائن المنن فلما واصلته أمداد الله وأنواره عوفي قلبه من الامراض والاسقام فكان سليم الادراك فادرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه ولسلامة ذوقه ولو سقم قلبه بالغفلة عن الله لم يدرك ذلك لان المحموم ربما وجد طعم السكر مرا وليس هو في نفس الامر كذلك فاذا زالت أسقام القلوب أدركت الاشياء على ما هي عليه فتدرك حلاوة الايمان ولذاذة الطاعة ومرارة القطيعة والمخالفة فيوجب ادراكها لحلاوة الايمان اغتباطها به وشهودا لمنة من الله عليها فيه وتطلب الاسباب الحافظة للايمان والجالبة له ويوجب ادراك لذاذة الطاعة المداومة عليها وشهود المنة من الله فيها ويوجب ادراكها لمرارة الكفران والمخالفة الترك لهما والنفور عنهما وعدم الميل اليهما فيحمل على الترك للذنب وعدم التطلع اليه وليس كل متطلع تاركا ولا كل تارك غير متطلع وانما كان كذلك لان نور البصيرة دال على ان المخالفة لله والغفلة عنه سم للقلوب مهلك فنفرة قلوب المؤمنين عن مخالفة الله تعالى كنفرتك عن الطعام المسموم وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا لانه اذا رضي بالاسلام دينا فقد رضي بما رضي به المولى واختاره لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ولقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ولقوله ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون واذا رضي بالاسلام دينا فمن لازم ذلك امتثال الاوامر والانكفاف عن وجود الزواجر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والغيرة اذا رأى ملحدا يجادل ان يدخل فيه ما ليس منه فيدمغه ببرهانه ويقمعه بتبيانه وقوله صلى الله عليه وسلم وبمحمد نبيا فلازم من رضي بمحمد نبيا أن يكون له وليا وأن يتأدب بآدابه وأن يتخلق باخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا عنها وصفحا عن الجناية وعفوا عمن أساء اليه الى غير ذلك من تحقق المتابعة قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا وظاهرا وباطنا فمن رضي بالله استسلم له ومن رضي بالاسلام عمل له ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا تكون واحدة منها الا بكلها اذ محال أن يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا أو يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء فيه واذ قد تبين هذا فاعلم أن مقامات اليقين تسعة وهي التوبة والزهد والصبر والشكر والخوف والرضا والرجاء والتوكل والمحبة ولا يصح كل واحدة من هذه المقامات الا باسقاط التدبير مع الله والاختيار وذلك أن التائب كما يجب عليه أن يتوب من ذنبه كذا يجب عليه أن يتوب من التدبير مع ربه لان التدبير والاختيار من كبائر القلوب والاسرار والتوبة هي الرجوع الى الله تعالى من كل ما لا يرضاه لك والتدبير لا يرضاه لك لانه شرك بالربوبية وكفر لنعمة العقل ولا يرضى لعباده الكفر وكيف يصح توبة عبد مهموم بتدبير دنياه غافل عن حسن رعاية مولاه وكذلك لا يصح الزهد الا بالخروج عن التدبير لان مما أنت مخاطب بالخروج عنه والزهد فيه تدبيرك اذ الزهد زهدان زهد ظاهر جلي وزهد باطن خفي فالظاهر الجلي الزهد في فضول الحلال من المأكولات والملبوسات وغير ذلك والزهد الخفي الزهد في الرياسة وحب الظهور ومنه الزهد في التدبير مع الله وكذلك لا يصح صبر ولا شكر الا باسقاط التدبير وذلك لان الصابر من صبر عما لا يحبه الله ومما لا يحبه الله تعالى التدبير معه والاختيار لان الصبر على أقسام صبر عن المحرمات وصبر عن الواجبات وصبر عن التدبيرات والاختيارات وان شئت قلت صبر عن الخطوظ البشرية وصبر على لوازم العبودية ومن لوازم العبودية اسقاط التدبير مع الله تعالى وكذلك لا يصح الشكر الا لعبد ترك التدبير مع الله لان الشكر كما قال الجنيد

الطاعة بحلاوة المعصية ولذاذة الخدمة بلذاذة الشهوة هذا في تبدل الاثر فكيف بتبدل الوصف بعد ان كنت موصوفا عند الله بمحاسن الصفات فيعكس الامر فتتصف بمساوي الحالات هذا في تبدل الوصف فكيف تبدل المرتبة فبعد ان كنت عند الله من الصالحين صرت عنده من المفسدين وبعد ان كنت عنده من المتقين صرت عنده من الخائنين فان كانت الذنوب منفتحة في وجهك فاستغث بالله والجأ اليه واحث التراب على رأسك وقل اللهم انقلني من ذل المعصية الى عز الطاعة وزر ضرائح الاولياء والصالحين وقل يا أرحم الراحمين أتريدان تجاهد نفسك وأنت تقويها بالشهوات حتى تغلبك والا فقد جهلت فالقلب شجرة تسقى بماء الطاعة وثمرتها مواجيدها فالعين ثمرتها الاعتبار والاذن ثمرتها الاستماع للقرآن واللسان ثمرته الذكر واليدان والرجلان ثمرتهما السعي في الخيرات فاذا جف القلب سقطت ثمراته فان أجدب فاكثر من الاذكار ولا تكن كالعليل يقول لا أتداوى حتى أجد الشفاء فيقال له لا تجد الشفاء حتى تتداوى فالجهاد ليس معه حلاوة وما معه الا رؤس الاسنة فجاهد نفسك هذا هو الجهاد الاكبر واعلم ان الشكلي لا عيد لها بل العيد لمن قهر نفسه لا عيد الا لمن جمع شمله (جاز) بعضهم على دير راهب فقال له يا راهب متى عيدهؤلاء القوم

نقط

قال يوم يغفر لهم ما مثالك مع نفسك الا كمن وجد زوجته فى حانة خمار فأتاها بالملابس الحسنة والمأكل الطيبة واذا تركت الصلاة أصبحت تطعمها الهرائس والالوان (بقى (٨) بعضهم) أربعين سنة لا يحضر الجماعة لما يشم من نتن قلوب الغافلين فأعرفك بصالح

الدنيا وما أجهلك بصالح آخرتك مثال الدنيا عندك كمن خرج الى الضيعة واجتهد فخزن الاقوات فقد أتيت بما يعود نفعه عليك فى وقته وأنت خزنت حيات الشهوات وعقارب المعصية فهلكت كفى بك جهلا ان الناس يخزنون الاقوات لوقت حاجتهم اليها وأنت تخزن ما يضرك وهى المعاصى هل رأيت من يأتى بحيات فيربيها فى داره فهل أنت تفعل ذلك وأضر ما يخاف عليك محقرات الذنوب لان الكثير ربما استعظمته فاتقيته منها واستحقرت الصغائر فلم تتب منها فمثالك كمن وجد أسدا فخلصه الله منه فوجد بعده خمسين ذئبا فغلبوه قال الله تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم والكبيرة حقيرة فى كرم الله فاذا أصررت على الصغيرة صارت كبيرة لان السم يقتل مع صغره والصغيرة كالشرارة من النار والشرارة قد تحرق بلدة *من أنفق عافيته وصحته فى معصية الله فمثاله كمن خلف له أبوه ألف دينار فاشترى بها حيات وعقارب وجعلها حوله تلدغه هذه مرة وتلسعه هذه أخرى أفما تقتله وأنت تحمق

الساعات فى مخالفته فمثالك الا كالحدأة تطوف على الجيفة حيث ما وجدتها انحطت عليها فكن كالنحلة حقيقة صغير جرمها عظيمة همتها تجنى طيبا وتضع طيبا طالما تمرغت فى مواطن المحن فتمرغ فى محب الله عز وجل فهذه الحقيقة تبين طريقك

رحمه الله تعالى الشكر أن لا تعصى الله بنعمه ولولا العقل الذى ميزك الله به على أشكالك وجعله سببا لكمالك لم تكن من المدبرين معه اذ الجمادات والحيوانات لا تدبير لها مع الله فقد ان العقل الذى من شأنه النظر الى العواقب والاهتمام بها وينافض أيضا مقام الخوف والرجاء اذ الخوف اذا توجهت سطواته الى القلوب منعها أن تستروح الى وجود التدبير والرجاء أيضا كذلك اذ الراجى قد امتلأ قلبه فرحا بالله ووقته مشغول بمعاملة الله تعالى فاى وقت يسعه التدبير مع الله تعالى وينافض أيضا مقام التوكل وذلك أن المتوكل على الله من ألقى قياده اليه واعتمد فى كل أموره عليه فمن لازم ذلك عدم التدبير والاستسلام لجريان المقادير وتعلق اسقاط التدبير بمقام التوكل والرضا أبين من تعلقه بسائر المقامات وينافض أيضا مقام المحبة اذ المحب مستغرق فى حب محبوبه وترك الارادة معه هى عين مطلوبه وليس يتسع وقت المحب للتدبير مع الله لانه قد شغله عن ذلك حبه لله ولذلك قال بعضهم من ذاق شيئا من خالص محبة الله الهاه ذلك عما سواه وينافض أيضا مقام الرضا وهو بين لا اشكال فيه وذلك أن الراضى قد اكتفى بسابق تدبير الله فيه فكيف يكون مدبرا معه وهو قد رضى بتدبيره ألم تعلم ان نور الرضا يغسل من القلوب غثاء التدبير فالراضى عن الله بسطه نور الرضا لاحكامه فليس له تدبير مع الله وكفى بالعبد حسن اختيار سيده له فافهم

(فصل) اعلم أن الذى يحملك على اسقاط التدبير مع الله والاختيار أمور *الاول علمك بسابق تدبير الله فيك وذلك أن تعلم أن الله كان لك قبل ان تكون لنفسك فكما كان لك مدبرا قبل أن تكون ولا شئ من تدبيرك معه كذلك هو سبحانه وتعالى مدبرك بعد وجودك فكن له كما كنت له يكن لك كما كان لك ولذلك قال الحسين الحلاج كن لى كما كنت لى فى حين لم أكن فسأل من الله أن يكون له بالتدبير بعد وجوده كما كان له بالتدبير قبل وجوده لانه قبل وجود العبد كان العبد مدبرا بعلم الله وليس هناك للعبد وجود فتقع الدعوى منه لتدبير نفسه فيقع الخذلان لاجل ذلك فان قلت فانه فى حين لم يكن عدم فكيف يتعلق التدبير به فاعلم أن للاشياء وجودا فى علم الله وان لم يكن لها وجود فى أعيانها فالحق سبحانه وتعالى يتولى تدبيرها من حيث انها موجودة فى علمه وفى هذه المسئلة غور عظيم ليس هذا الموضع محلا لبسطه (بيان واعلام) اعلم أن الحق سبحانه وتعالى تولاك بتدبيره على جميع أطوارك وقام لك فى كل ذلك بوجود برازك فقام لك بحسن التدبير يوم المقادير يوم ألست بربكم قالوا بلى ومن حسن تدبيره لك حينئذ أن عرفك به فعرفته وتجلى لك فشهدته واستنطقك وألهمك الاقرار بربوبيته فوحدته ثم انه جعلك نطفة مستودعة فى الاصلاب وتولاك بتدبيره هنالك حافظا لك وحافظا لما أنت فيه مواصلا لك المدد بواسطة من أنت فيه من الآباء الى أبيك آدم ثم قذفك فى رحم الام فتولاك بحسن التدبير حينئذ وجعل الرحم قابلة لك أرضا يكون فيها نباتك ومستودعا تعطى فيها حياتك ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما فكنت عنهما لما بنيت عليه الحكمة الالهية من أن الوجود كله مبنى على سر الازدواج ثم جعلك بعد النطفة علقة مهيأة لما يريد سبحانه وتعالى أن ينقلها اليه ثم بعد العلقة مضغة ثم فتق سبحانه وتعالى فى المضغة صورتك وأقام بنيتك ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ثم غذاك بدم الحيض فى رحم الام فاجرى عليك رزقه من قبل ان يخرجك الى الوجود ثم أبقاك فى رحم الام حتى قويت أعضاؤك واشتدت أركانك لهيئتك الى البروز الى ما قسم لك أو عليك وليبرزك الى دار يتعرف فيها بفضله وعدله اليك ثم لما أنزلك الى الارض علم سبحانه وتعالى انك لا تستطيع تناول خشونات المطاعم وليس لك أسنان ولا ارحاء تستعين بها على ما أنت طاعم فاجرى التدبير بالغذاء اللطيف وكل بها ما مسحت الرحمة فى قلب الام كما وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمة التى جعلها لك فى الام مستحثا لا يفتر ومستنهضا لا يقصر ثم انه شغل الاب والام بتحصيل مصالحك والرأفة عليك والنظر بعين المودة منهما اليك وما هى الا رأفة سبقها اليك والى العباد فى مظاهر الآباء والامهات تعريفا بالوداد وفى

ولكن من أماتته الغفلة لم ترده النكبات لان المرأة الناقصة العقل تموت ولدها وهي تضحك فكذلك أنت تنكب عن قيام الليل وعن صيام النهار وفي جميع جوارحك ولم تتألم وماذلك الا لان الغفلة قد أماتت قلبك لان الحي يؤلمه نقر الابرة ولو قطع الميت بالسيوف لم يتألم فانت حينئذ ميت القلب فاجلس مجلس الحكمة فيه نفحة من نفحات الجنة تجدها في طريقك وفي دارك وفي بيتك فلا يفتك المجلس ولو كنت على معصية فلا تقل ما الفائدة في حضور المجلس وأنا أعصي ولا اقدر على ترك المعصية بل على الراجي أن يرجي فان لم ياخذ اليوم ياخذ غدا اعلم ياهذا اياك والمعصية فقد تكون سببا للتوقف الرزق فاطلب من الله التوبة فان قبلت والا فاستغث بالله وقل ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ولا تكن كمن أتى عليه أربعون سنة ولم يقرع باب الله قط وأكثر ما يخاف عليك سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى بسبب اطفاء جمرة الايمان بسواد العصيان وهي الذنب على الذنب حتى يسود القلب من غير توبة اياك ان تتهاون في أعمالك وتختار الطيبات لمرحاضك واحذر نفسك التي بين جنبيك فهي التي تحطب عليك ثم لا تفارق صاحبها الى الممات والشيطان يفارق في رمضان لانه تغل فيه الشياطين وربما تجد من يقتل فيه ويسرق فهذا من النفس فاذا مالت الى المعصية فذكرها عذاب الله والقطيعة عن الله بسببه والعسل المسموم يترك مع العلم بحلاوته لما فيه من وجود الاذى لقوله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوة خضرة ويروى

حقيقة الامر ما كفلك الارب ببيته وما حضنك الا الاهيته ثم ألزم الاب القيام بك الى حين البلوغ وأوجب عليه ذلك رأفة منه بك ثم رفع قلم التكليف عنك الى أوان تكمل الافهام وذلك عند الاحتلام ثم الى أن صرت كهلا لم يقطع عنك نوالا ولا فضلا ثم اذا انتهيت الى الشيخوخة ثم اذا اقدمت عليه ثم اذا حشرت اليه ثم اذا أقامك بين يديه ثم اذا سلمك من عقابه ثم اذا أدخلك دار ثوابه ثم اذا كشف عنك وجود حجابه وأجلسك بمجلس أوليائه وأحبابه قال سبحانه وتعالى ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلاي احسانه تشكر وأي آلائه وأياديه تذكر واسمع قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله تعلم انك لم تخرج ولن تخرج عن احسانه ولن يعدوك وجود فضله وامتنانه وان أردت البيان في تقلبات أطوارك فاسمع ما قاله سبحانه وتعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون تبدولك بوارقها وتبسط عليك شوارقها وفي ذلك ما يلزمك أيها العبد الاستسلام اليه والتوكل عليه ويضطرك الى اسقاط التدبير وعدم منازعة المقادير والله الموفق (الثاني) ان تعلم ان التدبير منك لنفسك جهل منك بحسن النظر لها فان المؤمن قد علم انه اذا ترك التدبير مع الله كان له بحسن التدبير منه لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فصار التدبير في اسقاط التدبير والنظر للنفس ترك النظر لها فافهم ههنا قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها فباب التدبير من الله لك هو اسقاط التدبير منك لنفسك (الثالث) علمك بان القدر لا يجري على حسب تدبيرك بل أكثر ما يكون ما لا تدبر وأقل ما يكون ما أنت له مدبر والعاقل لا يبني بناء على غير قرار فمتى تتم مبانيك والاقدار تهدمها وعن التمام تصدها اشعر

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

واذا كان التدبير منك والقدر يجري على خلاف ما تدبر فما فائدة تدبير لا تنصره الاقدار وانما ينبغي أن يكون التدبير لمن بيده ازمة المقادير ولذلك قيل شعر

وما رأيت القضا جاريا * بلا شك فيه ولا مرية
توكلت حقا على خالقي * وألقيت نفسي مع الجرية

(الرابع) علمك بان الله تعالى هو المتولي لتدبير مملكته علوها وسفلها غيبها وشهادتها وكما سلمت له تدبيره في عرشه وكرسيه وسمواته وأرضه فسلم له تدبيره في وجودك الى هذه العوالم فان نسبة وجودك الى هذه العوالم نسبة توجب تلاشيك كما ان نسبة السموات السبع والارضين السبع بالنسبة الى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الارض والكرسي والسموات السبع والارضون السبع بالنسبة الى العرش كالحلقة الملقاة في فلاة من الارض فاذا عسى ان تكون أنت في مملكته فاهتمامك بامر نفسك وتدبيرك لها جهل منك بالله بل الامر كما قال سبحانه وما قدروا الله حق قدره فلو ان العبد عرف ربه لاستحى ان يدبر معه ولا قذف بك في بحر التدبير الا حجبتك عن الله لان الموقنين لما كشف عن بصائرهم وجوهم شهدوا أنفسهم مدبرين لا مدبرين ومعمرين لا معتصرين ومحركين لا متحركين وكذلك عمار الصفيح الاعلى مشاهدون لظهور القدرة ونفوذ الارادة وتعلق القدرة بمقدوراتها والارادة بمرادها والاسباب معزولة في مشهدهم فلذلك طهرت من الدعوى لما هم عليه من وجود المعاينة وثبوت المواجهة فلذلك قال سبحانه انا نحن نرث الارض ومن عليها واليه يرجعون ففي هذا تزكية للملائكة واشارة الى أنهم لم يكونوا مع الله مدعين لما خولهم ولا منتسبين لما نسب اليهم اذ لو كان كذلك لقال انا نحن نرث الارض والسماء بل نسبتهم اليه وهيبتهم له وولههم من عظمته منعهم ان يركنوا لشيء دونه فكما سلمت له تدبيره في سمائه وارضه فسلم له

ايضا جيفة قذرة حلوة خضرة عند أهل الغفلة وجيفة قذرة عند العقلاء حلوة خضرة عند النفوس جيفة قذرة عند مرائى القلوب حلوة خضرة للتحذير وجيفة قذرة للتنفير فلا تخدعنكم بحلاوتها فان عاقبتها مرة اذا قيل لك من المؤمن فقل الذى اطلع على عيب نفسه ولم ينسب أحدا من العباد الى عيب واذا قيل لك من المخذول فقل الذى ينسب العباد الى العيب ويبرئ نفسه منه ومما تمادى عليه أهل الزمان مباسطتهم ومؤانستهم للعاصين ولو انهم عبسوا فى وجوههم لكان ذلك زاجرا لهم عن المعصية لو فتح لك باب الكمال لما رجعت الى الرذائل أرأيت من فتح له باب القصور هل يرجع الى المنازل لو فتح لك باب الانس بينك وبينه ما طلبت من تأنس به لو اختارك لربوبيته ما قطعك عنه لو كرمت عليه مما رمالك لغيره اذا عزل عنك محبة مخلوق فافرح فهذا من عنايته بك ولا يكون معصية الا والذل معها أفتعصيه ويعزك كلا فقد ربط العز مع الطاعة والذل مع المعصية فصار فى طاعته نور وعز وكشف حجاب وضدها معصية ظلمة وذل وحجاب بينك وبينه ولكن مانعك من الشهود الاعدم وقوفك مع الحدود واشتغالك بهذا الوجود اذا عصى ولدك فادبه بالشرع ولا تقطعه بل قابله بالعبوسة ليكف عن المعصية وأكثر ما يدخل على المؤمن الدخل اذا كان عاصيا فاما أن يفضحه واما أن يستهزئ به فاذا فعلوا ذلك فقد أخطؤا الطريق اذا عصى المؤمن كنت فقد وقع فى ورطة عظيمة وطريقه أن تفعل معه كما فعلت مع ولدك عند عصيانه تعرض عنه فى الظاهر وتكون له راجعا فى الباطن

تدبيره فى وجودك لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس (الخامس) علمك بانك ملك الله وليس لك تدبير ما هو لغيرك فما ليس لك ملكه ليس لك تدبيره واذا كنت أيها العبد لا تنازع فيما تملك ولا ملك لك الا بتمليكه اياك وليس لك ملك حقيقى وانما هى نسبة شرعية أو وجبت الملك لك من غير شئ قائم بوصفك تستوجب به ان تكون مالكا فأن لا تنازع الله فيما ملكه أولى وأحرى لاسيما وقد قال سبحانه وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فلا ينبغى لعبد بعد المبايعة تدبير ولا منازعة لان مبايعته وجب عليك تسليمه وعدم المنازعة فيه فالتدبير فيه نقض لعقد المبايعة * ودخلت على الشيخ أبى العباس المرسى رحمه الله يوما فشكوت اليه بعض أمرى فقال ان كانت نفسك لك فاصنع بها ماشئت ولن تستطيع ذلك أبدا وان كانت لبارئها فسلمها له يصنع بها ماشاء ثم قال الراحة فى الاستسلام الى الله وترك التدبير معه وهو العبودية * قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله نمت ليلة عن وردى فاستيقظت فندمت فنمت بعد ذلك ثلاثة أيام عن الفرائض فلما استيقظت سمعت هاتفا يقول شعرا

كل شئ لك مغفو * رسوى الاعراض عنا قد غفرنا لك ما فا * ت بقى ما فات منا

ثم قيل لى يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا فاسترحت (السادس) علمك بانك فى ضيافة الله لان الدنيا دار الله وأنت نازل فيها عليه ومن حق الضيف أن لا يعول هما مع رب المنزل * قيل للشيخ أبى مدين رحمه الله يا سيدى ما لنا نرى المشايخ يدخلون فى الاسباب وأنت لا تدخل فيها فقال يا أخى انصفونا الدنيا دار الله ونحن فيها ضيوفه وقد قال عليه السلام الضيافة ثلاثة أيام فلنا عند الله ثلاثة أيام ضيافة وقد قال تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون فلنا عند الله ثلاثة آلاف سنة ضيافة مدة اقامتنا فى الدنيا منها وهو مكمل ذلك بفضله فى الدار الآخرة وزائد على ذلك الخلود الدائم (السابع) نظر العبد الى قيومية الله تعالى فى كل شئ ألم تسمع قوله تعالى الله لا اله الا هو الحى القيوم فهو سبحانه وتعالى قيوم الدنيا والآخرة قيوم الدنيا بالرزق والعطاء والآخرة بالاجر والجزاء فاذا علم العبد قيومية ربه به وقيامه عليه ألقى قياده اليه وانطرح بالاستسلام بين يديه فالقى نفسه بين يدى ربه مسلما ناظرا المارد عليه من الله حكما (الثامن) هو اشتغال العبد بوظائف العبودية التى هى مغياة بالعمر لقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فاذا توجهت همته الى رعاية عبوديته شغله ذلك عن التدبير لنفسه والاهتمام لها * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى اعلم ان الله تعالى عليك فى كل وقت سهما فى العبودية يقتضيه الحق سبحانه وتعالى منك بحكم الربوبية والعبد مطالب بذلك كله ومسؤل عنه وعن أنفاسه التى هى أمانة الحق عنده فاين الفراغ لاولى البصائر عن حقوق الله حتى يمكنهم التدبير لانفسهم والنظر فى مصالحها باعتبار حظوظها وما تريها ولا يصل أحد الى منة الله الا بغيبته عن نفسه وزهده فيها مصروفة همته الى محاب الله تعالى متوفرة دواعيه على موافقته دائبا على خدمته ومعاملته فحسب غيبتك عن نفسك فناء عنها يبقيك الله به لذلك قال الشيخ أبو الحسن أيها السابق الى سبيل نجاته الشائق الى حضرة جنابه اقلل النظر الى ظاهرك ان أردت فتح باطنك لاسرار ملكوت ربك (التاسع) وهو انك عبد مربوب وحق العبد أن لا يعول هما مع سيده مع اتصافه بالافضال وعدم الاهمال فان روح مقام العبودية الثقة بالله والاستسلام الى الله تعالى وكل واحد منهما يناقض التدبير مع الله تعالى والاختيار معه بل على العبد ان يقوم بخدمته والسيد يقوم له بمنته وعلى العبد القيام بالخدمة والسيد يقوم له بوجود القسمة فافهم قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك أى قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بايصال قسمتنا (العاشر) عدم علمك بعواقب الامور فربما دبرت أمرا ظننت أنه لك فكان عليك وربما أتت الفوائد من وجوه الشدائد والشدائد من وجوه الفوائد والاضرار من وجوه المسار والمسار من وجوه الاضرار وربما

وتطلب له الدعاء بالغيب كفى بك جهلا أن تحسد أهل الدنيا على ما أعطوا وتشغل قلبك بما عندهم فتكون أجهل منهم لانهم اشتغلوا بما أعطوا واشتغلت أنت بما لم تعط ترمد عينك فتعالجها وما سبب ذلك الا انك ذقت بها لذة الدنيا فتعالجها حتى لا يفوتك النظر الى مستحسناتها وترمد بصيرتك أربعين سنة فلا تعالجها واعلم ان عمرا ضيع أوله حرى ان تحفظ آخره كامرأة كان لها عشرة أولاد مات منهم تسعة وبقى واحد أليست تردد وجدها على ذلك الواحد وأنت قد ضيعت أكثر عمرك فاحفظ بقيته وهى صبابة يسيرة والله ما عمرك من أول يوم ولدت بل عمرك من أول يوم عرفت الله تعالى شتان بين أهل السعادة وأهل الشقاوة فاهل السعادة ذا رأوا انسانا على معصيته أنكروا عليه فى الظاهر ودعوا له فى الباطن وأهل الشقاوة ينكرون عليه تشفيا فيه وربما تأولوا عليه عرضه فالمؤمن من كان ناصحا لاخيه فى الخلوة ساترا له فى الجلوة وأهل الشقاوة بالعكس اذا رأوا انسانا على معصية أغلظوا عليه الباب وفضحوه فيها فهؤلاء لا تنور بصائرهم وهم عند الله مبعدون واذا أردت أن تختبر عقل الرجل فانظر اليه اذا ذكرت له شخصا فان وجدته يطوف على محل سوء حتى يقول لك خلنا منه ذاك فعل كذا وكذا فاعلم ان باطنه خراب وليس له معرفة واذا رأيته يذكره بخير أو يذكر له ما يوصف بالذم ويحمله على محمل حسن ويقول لعله سها أو له عذر أو ما أشبه ذلك فاعلم ان باطنه معمور فان المؤمن يعمل على سلامة عرض أخيه المسلم من قارب فراغ عمره ويريد أن يستدرك ما فاته فليذكر بالاذكار الجامعة فانه اذا فعل ذلك صار العمر

كمنت المنن فى المحن والمحن فى المنن وربما انتفعت على أيدى الاعداء وأردیت على أيدى الاحباب فاذا كان الامر كذلك فكيف يمكن عاقلا أن يدبر مع الله ولا يدرى المسار فيها ولا المضار فيتقيها ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله اللهم انا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم ويكفيك قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون وكم مرة أردت أيها العبد أمرا فصرفه عنك فوجدت لذلك غما فى قلبك وحرجا فى نفسك حتى اذا كشف لك عن عاقبة ذلك علمت انه سبحانه نظر لك بحسن النظر من حيث لا تدرى وحاول لك من حيث لا تعلم وما أقبح مريدا لا انهم له وعبيدا لا استسلام له فكن كما قيل

وكم رمت أمرا خرت لى فى انصرافه * فلازلت بى منى أبر وأرحما
عزمت على ان لا أحس بخاطر * على القلب الا كنت أنت المقدما
وان لا ترانى عند ما قد نهيتنى * لكونك فى قلبى كبيرا معظما

(ويحكى) أن بعضهم كان اذا أصيب بشئ أو ابتلى به يقول خيرة فاتفق ليلة ان جاء ذئب فاكل ديكا له فقيل له به فقال خيرة ثم ضرب فى تلك الليلة كلبه فمات فقيل له فقال خيرة ثم نهق حماره فمات فقال خيرة فضاق أهله بكلامه هذا ذرعا فاتفق ان نزل بهم فى تلك الليلة عرب أغاروا عليهم فقتلوا كل من بالمحلة ولم يسلم غيره وأهل بيته استدل العرب النازلون على الناس بصياح الديك ونباح الكلب ونهيق الحمير وهو قد مات له كل ذلك فكان هلاك هذه الاشياء سببا لنجاته فسبحان المدبر الحكيم وان العبد لا يشهد حسن تدبير الله الا اذا انكشفت له العواقب وليس هذا من مقام أهل الخصوص فى شئ لان أهل الفهم عن الله شهدوا حسن تدبير الله قبل أن تنكشف لهم العواقب وهم فى ذلك على أقسام ومراتب فمنهم من حسن ظنه بالله فاستسلم له لما عوده من جميل صنعه ووجود لطفه * ومنهم من حسن ظنه بالله علما منه ان الاهتمام والتدبير والمنازعة لا تدفع عنه ما قدر عليه ولا تجلب له ما لم يقسم له * ومنهم من حسن الظن بالله تعالى لقوله عليه السلام حاكيا عن ربه أنا عند ظن عبدى بى فكان متعاطيا بحسن الظن بالله وأسبابه رجاء ان يعامل بمثل ذلك فيكون الله له عند ظنه ولقد يسر الله للمؤمنين سبيل المنن اذ كان عند ظنونهم يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر * وارفع من هذه المراتب كلها الاستسلام الى الله تعالى والتفويض له بما يسبقه الى حقه من ذلك لا لامر يعود على العبد فان المراتب الاول لم تخرج العبد عن رق العلل اذ من استسلم له بحسن عوائده فاستسلامه معلول بعوائد الالطاف السابقة فلو لم تكن لم يكن استسلامه والثانى أيضا كذلك لان ترك التدبير مع الله لكونه لا يجدى شيأ ليس هو تركا لاجل الله لان هذا العبد لو علم ان تدبيره يجدى شيأ فاعله كان غير تارك للتدبير وأما الذى استسلم الى الله تعالى وحسن ظنه به ليكون له عند ظنه فهو انما يسعى فى حظ نفسه مشفقا عليها ان يفوتها الفضل بعدوله عن الاستسلام وحسن الظن بالله ومن استسلم الى الله وحسن ظنه به لما هو عليه من عظمة الالاهية ونعوت الربوبية فهذا هو العبد الذى دل على حقيقة الامر وحرى ان يكون هذا من الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ان لله عبادا التسبحة الواحدة منهم مثل جبل أحد ولقد عاهد الله سبحانه وتعالى العباد اجمع على اسقاط التدبير معه بقوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى لان اقرارهم بانه ربهم يستلزم ذلك اسقاط التدبير معه فهذه معاقدة كانت قبل ان تكون النفس التى هى محل الاضطراب المدبرة مع الله تعالى ولو بقى العبد على تلك الحالة الاولى التى هى كشف الغطاء ووجود الحضرة لما أمكنه أن يدبر مع الله فلما أسدل الحجاب وقع التدبير والاضطراب فلاجل ذلك أهل المعرفة بالله المشاهدون لاسرار الملكوت لا تدبير لهم مع الله اذ وجود المواجهة أبى لهم ذلك وفسخ عزائم تدبيرهم وكيف يدبر مع الله عبد هو فى حضرته ومشاهد

القصير طويلا كقوله سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وكذلك من فاته كثرة الصيام والقيام أن يشغل نفسه بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانك لو فعلت في جميع عمرك كل طاعة ثم صلى الله عليك صلاة واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عملته في عمرك كله من جميع الطاعات لانك تصلي على قدر وسعك وهو يصلي على حسب ربوبيته هذا اذا كانت صلاة واحدة فكيف اذا صلى عليك عشرا بكل صلاة كما جاء في الحديث الصحيح فما أحسن العيش اذا أطعت الله فيه بذكر الله تعالى أو الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه ما من صيد يصاد ولا شجرة تقطع الا بغفلتها عن ذكر الله تعالى لان السارق لا يسرق بيتا وأهله ايقاظ بل على غفلة أو نوم من علم قرب رحيله أسرع في تحصيل الزاد ومن علم ان احسان غيره لا ينفعه جد في الاحسان ومن أخرج ولم يحسب خسر ولم يدر ومن وكل وكيلا واطلع على خيانته عزله كذلك نفسك قد أطلعت على خيانتها فاعزلها وضيق عليها المسالك اذا رأيت فيك الاعراض والشهوة والغفلة فهذا وصفك واذا رأيت فيك الانابة والخشية والزهد فهذا من صنائع الله مثال ذلك اذا رأيت ببلدك الحلفاء والشوك والعوسج فهذا نبات أرض بلدك واذا رأيت بها العود الرطب والمسك والعنبر فاعلم انه مجلوب من صنائع الله ليس من نبات أرضك فالمسك من غزلان عراقها والعنبر من بحر هندها مثال الايمان معك اذا عصيت الله تعالى كالشمس المكسوفة أو كالسراج اذا

لكبرياء عظمته (فائدة) اعلم ان التدبير والاختيار وباله عظيم وخطره جسيم وذلك انا نظرنا فوجدنا ان آدم عليه السلام انما حمل على أكل الشجرة تدبيره لنفسه وذلك ان الشيطان قال لآدم وحواء عليهما السلام كما قال الله تعالى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ففكر آدم عليه السلام في نفسه فعلم ان الخلود في جوار الحبيب هو المطلوب الاسنى وانتقاله من الآدمية الى وصف الملكية اما ان يكون لان وصف الملكية أفضل أو ظن آدم عليه السلام ان ذلك أفضل فلما دبر عليه السلام في نفسه هذا التدبير أكل من الشجرة فما أتى الا من عين وجود التدبير وكان مراد الحق منه ذلك لينزله الى الارض ويستخلفه فيها فكان هبوطا في الصورة وترقيا في المعنى ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله والله ما أنزل الله آدم الى الارض لينقصه وانما أنزله الى الارض ليكمله فلم يزل آدم عليه السلام راقيا الى الله تعالى تارة على معراج التقريب والتخصيص وتارة على معراج الذلة والمسكنة وهو في التحقيق أتم * ويجب على كل مؤمن أن يعتقد ان النبي والرسول لا ينتقلان من حالة الا الى حالة أكمل منها وافهم ههنا قوله سبحانه وتعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن عطية والحالة الثانية خير لك من الاولى واذ قد عرفت هذا فاعلم أن الحق سبحانه وتعالى له التدبير والمشيئة وكان قد سبق من تدبير مشيئته انه لا بد ان يعمر الارض ببني آدم وأن يكون منهم كما شاء منهم محسن وظالم لنفسه مبين وكان من تدبير حكمته ان لا بد من تمام ذلك وظهوره الى عالم الشهادة فاراد الحق سبحانه ان يكون تناول آدم للشجرة سببا لنزوله الى الارض ونزوله الى الارض سببا لظهور رتبة الخلافة التي من عليه بها ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه أكرم بها معصية أورثت الخلافة وسنت التوبة لمن بعده الى يوم القيامة وكان نزوله الى الارض بحكم قضاء الله تعالى قبل أن يخلق السموات والارض ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه والله لقد أنزل الله آدم الى الارض قبل أن يخلقه كما قال سبحانه اني جاعل في الارض خليفة فمن حسن تدبير الله تعالى لآدم أكله من الشجرة ونزوله الى الارض واكرام الله تعالى اياه بالخلافة والامامة واذ قد انتهى بنا المقال الى ههنا فلنتبع الفوائد والخصائص التي منحها آدم عليه السلام في هذه الواقعة لنعلم ان لاهل الخصوص مع الله حالا ليست لمن سواهم ولله فيهم تدبير لا يتوجه به لما عداهم ففي أكل آدم من الشجرة ونزوله الى الارض فوائد * منها ان آدم وحواء عليهما السلام كانا في الجنة متعرفا اليهما بالرزق والعطاء والاحسان والنعماء فاراد الحق سبحانه وتعالى من خفي لطفه في تدبيره ان يأكلا من الشجرة ليتعرف لهما بالحلم والستر والمغفرة والتوبة والاجتبائية اما الحلم فلانه لم يعاجلهما بالعقوبة حين فعلا والحليم هو الذي لا يعاجل بالعقوبة على ما صنعت بل يمهلك اما الى عفوه وانعامه واما الى سطوته وانتقامه (الثاني) هو ان الله سبحانه وتعالى تعرف لهما بالستر وذلك انهما لما أكلا منها بدت لهما سوآتهما بزوال ملابس الجنة سترهما بورقها كما قال الله تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فكان ذلك من وجود ستره (الثالث) هو انه أراد الحق سبحانه وتعالى ان يعلمه باجتبائه له وينشأ عن اجتبائه مقامان التوبة اليه والهداية من عنده فاراد الحق سبحانه أن يعرف آدم عليه السلام باجتبائه له وسابق عنايته فيه فقضى عليه بأكل الشجرة ثم لم يجعل أكله اياها سبيلا لاعراضه عنه ولا لقطع مدده منه بل كان في ذلك اظهار لوده سبحانه وتعالى فيه وعنايته به كما قالوا من سبقت له العناية لم تضره الجناية وربود تقطعه المخالفة والود الحقيقي هو الذي يدوم لك من الود لك موافقا كنت أو مخالفا وليس في قوله تعالى ثم اجتباه ربه دليل على حدوث اجتبائية الحق فيه بل كان قبل وجوده وانما الذي حدث بعد الذنب ظهور أثر الاجتبائية من الله له فهو الذي قال فيه الحق سبحانه وتعالى ثم اجتباه ربه أي أظهر له أثر الاجتبائية فيه والعناية به بتيسره للتوبة اليه والهداية من عنده فصار في قوله تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى تعريفات ثلاث الاجتبائية والتوبة التي هي نتيجتها والهدى

عطيته بصحفة هو مو جود ولكن يمنع نوره الغطاء ثم انك تحضر المجلس في المجلس في الجامع ليتوفر عقلك وان كان تعمرك قليلا يصير كثيرا لحصول الايمان والخشوع والخضوع والخشية والتدبر والتذكر ونحوها فلو عرفت الايمان ما قاربت العصيان فلا

والهدى الذي هو نتيجة التوبة فافهم ثم أنزله الى الارض فتعرف له بحكمته كما تعرف له في الجنة ببواهر قدرته وذلك لان الدنيا محل الوسائط والاسباب فلما نزل آدم عليه السلام الى الارض علم الحراثة والزراعة وما يحتاج اليه من أسباب عيشته ليحققه الله تعالى بما أعلمه به من قبل ان ينزله بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى والمرادبه قوله تعالى فتشقى تعب الظواهر لا الشقاوة التي هي ضد السعادة والدليل على ذلك قوله تعالى فتشقى ولم يقل فتشقيا لان المتاعب والكلف انما هي على الرجال دون النساء كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله ولو كان المراد شقاء بالقطيعة أو وجود الحجبة لقال فتشقيا فدل الافراد على انه ليس الشقاء هنا بقطيعته ولا ابعاده مع انه لو ورد كذلك لحملناه على الظن الجميل وأرجعناه الى المتاعب الظاهرة على التأويل *(فائدة جليلة)* اعلم ان أكله عليه السلام للشجرة لم يكن عنادا ولا اخلافا فاما ان يكون نسي الامر فتعاطى الاكل وهو له غير ذاكر وهو قول بعضهم ويحمل عليه قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما أو ان كان تناوله ذاكرا للامر فهو انما تناوله لانه قيل له مانهانا كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فلحبه في الله وشغفه به أحب ما يؤديه الى الخلود في جواره والبقاء عنده أو ما يؤديه الى الملكية لان آدم صلى الله عليه وسلم عاين قرب الملكية من الله فاحب ان يأكل من الشجرة لينال رتبة الملكية التي هي أفضل أو التي هي في ظنه كذلك على اختلاف أهل العلم وأهل المعرفة أيضا أيهما أفضل الملكية أم النبوة لاسيما وقد قال سبحانه وتعالى وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين قال آدم عليه السلام ما ظننت ان أحدا يحلف بالله كاذبا فكان كما قال تعالى فدلاهما بغرور *(فائدة)* اعلم ان آدم عليه السلام لم يكن اشيء مما كان يأكله أذى بل كان رشحا كرشح المسك كما يكون أهل الجنة في الجنة اذا دخلوها لكنه لما أكل من الشجرة المنهي عنها أخذته بطنه فقيل له يا آدم أين وصلت اليه آثارها فكيف لا تؤثر المعصية في الفاعل بها فافهم *(تنبيه واعتبار)* اعلم ان كل شيء نهى الله عنه فهو شجرة والجنة هي حضرة الله فيقال لآدم قلبك ولحواء نفسك ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين لكن آدم عليه السلام محفوف بالعناية لما أكل من الشجرة انزل الى الارض للخلافة وأنت اذا أكلت من شجرة النهي انزلت الى أرض القطيعة فافهم فان تناولت شجرة النهي أخرجت من جنة الموافقة الى وجود أرض القطيعة فيشقى قلبك وانما يلاقي الشقاء وقت القطيعة القلب لا النفس لان وقت القطيعة يكون فيه ملائمات النفوس من ملذوذاتها وشهواتها وانهماكها في غفلاتها *(ترتيب وبيان)* اعلم ان الله تعالى تعرف لآدم عليه السلام بالايجاد فناداه يا قدير ثم تعرف له بتخصيص الارادة فناداه يا مريد ثم تعرف له بحكمه في نهيه عن أكل الشجرة فناداه يا حاكم ثم قضى عليه باكلها فناداه يا قاهر ثم لم يعاجله بالعقوبة اذ أكلها فناداه يا حليم ثم لم يفضحه في ذلك فناداه يا ستار ثم تاب عليه بعد ذلك فناداه يا تواب ثم أشهده ان أكله من الشجرة لم يقطع عنه وده فيه فناداه يا ودود ثم أنزله الى الارض ويسر له أسباب المعيشة فناداه يا لطيف ثم قواه على ما اقتضاه منه فناداه يا معين ثم أشهده سر الاكل والنهي والنزول فناداه يا حكيم ثم نصره على العدو والمكائد له فناداه يا نصير ثم ساعده على اعباء تكاليف العبودية فناداه يا ظهير فأنزله الى الارض الا ليكمل له وجود التصريف ويقيمه بوظائف التكليف فتكملت في آدم عليه السلام العبوديتان عبودية التصريف وعبودية التكليف فعظمت منة الله عليه وتوفر احسانه اليه فافهم *(انعطاف)* اعلم ان أجل مقام أقيم العبد فيه مقام العبودية وكل المقامات انما هي كالخدمة لهذا المقام والدليل على ان العبودية أشرف مقام قول الله سبحانه وتعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وما أنزلنا على عبدنا كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا وانه

الا يمان ما قاربت العصيان فلا غريم امطل من النفس ولا عدو أعظم من الشيطان ولا معارض أقوى من الهوى ولا يدفع المدد الهابط مثل الكبر لان الغيث لا يقر الا على الارض المنخفضة لا فوق رؤس الجبال فكذلك قلوب المتكبرين تنتقل عنها الرحمة وتنزل الى قلوب المتواضعين والمراد بالمتكبرين من يرد الحق لا من يكون ثوبه حسنا ولكن الكبر بطر الحق يعني دفعه واحتقار الناس ولا تعتقدان الكبر لا يكون الا في وزير أو صاحب دنيا بل قد يكون فيمن لا يملك عشاء ليلة وهو يفسد ولا يصلح لانه تكبر على خلق الله تعالى ولا تعتقدان المنكوب من كان في الاسر أو في السجن بل المنكوب من عصى الله وأدخل في هذه المملكة الطاهرة نجاسة المعصية كثير من انتق الدنانير والدراهم ولكن من أنفق الروح قليل الاحمق من مات ولده وجعل يبكي عليه ولا يبكي على مافاته من الله عز وجل فكأنه يقول بلسان حاله أنا أبكي على ما كان يشغلني عن ربي بل كان ينبغي له الفرح بذلك ويقبل على

مولاه لانه أخذ منه ما كان يشغله عنه وقبيح بك ان تشيب وأنت طفل العقل صغيره ولا تفهم مراد الله منك فان كنت عاقلا فابك على نفسك قبل ان يبكى عليك فان الولد والزوجة والخادم والصديق لا يبكون عليك اذا مت بل يبكون على ما فاتهم منك فسابقهم أنت

بالبكاء وقل يحق لي ان أبكي على فوات حظي من ربي قبل ان يبكوا على كفى بك جهلا ان يعاملك مولاك بالوفاء وأنت تعامله بالجفاء ليس الرجل من صاح بين الناس في المجلس انما الرجل من صاح على نفسه وردها الى الله تعالى من عالم الدنيا وترك هم الآخرة

لما قام عبد الله يدعوه ولما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا اختار العبودية لله تعالى ففي ذلك أدل دليل على انها من أفضل المقامات وأعظم القربات وقال صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد لا آكل متكئا انما أنا عبد الله آكل كما يأكل العبيد وقال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر * سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول ولا فخر أي لا أفتخر بالسيادة انما الفخر لي بالعبودية لله تعالى ولاجلها كان الايجاد وقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعبادة ظاهر العبودية والعبودية روحها واذ قد فهمت هذا فروح العبودية وسرها انما هو ترك الاختيار وعدم منازعة الاقدار فتبين من هذا ان العبودية ترك التدبير والاختيار مع الربوبية فاذا كان لا يتم مقام العبودية الذي هو أشرف المقامات الا بترك التدبير فحقيق على العبد أن يكون له تاركا وللتسليم لله تعالى وللتفويض له سالكا ليصل الى المقام الاكمل والمنهج الافضل وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه يقرأ و يخفض صوته وعمر رضي الله عنه يقرأ و يرفع صوته فقال لابي بكر لم خفضت صوتك فقال قد أسمعت من ناجيت وقال لعمر لم رفعت صوتك فقال أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال لابي بكر ارفع قليلا وقال لعمر اخفض قليلا فكان شيخنا أبو العباس رحمه الله تعالى يقول ههنا أراد النبي عليه السلام ان يخرج كل واحد منهما عن مراده لنفسه لمراده صلى الله عليه وسلم (تنبيه) تفطن رحمك الله لهذا الحديث تعلم منه ان الخروج عن الارادة هي أفضل العبادة لان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كل واحد منهما قد أبان لما سأله رسول الله عليه السلام عن صحة قصدهما و بعد ذلك أخرجهما رسول الله عليه السلام عما أرادا لانفسهما مع صحة قصده الى اختيار رسول الله عليه السلام *(فائدة)* اعلم ان بني اسرائيل لما دخلوا التيه و رزقوا المن والسلوى واختار الله تعالى لهم ذلك رزقا رزقهم اياه يبرز من عين المنة من غير تعب منهم ولا نصب فرجعت نفوسهم الكثيفة لوجود الف العادة والغيبة عن شهود تدبير الله تعالى الى طلب ما كانوا يعتادونه فقالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها و بصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة و باؤا بغضب من الله وذلك لانهم تركوا ما اختار الله لهم مما يليق لما اختاروه لانفسهم فقيل لهم على طريق التوبيخ لهم أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فظاهر التفسير أتستبدلون الفوم والبصل والعدس بالمن والسلوى وليس النوعان سواء في اللذة ولا في سقوط المشقة وسر الاعتبار أتستبدلون مرادكم لانفسكم بمراد الله لكم أتستبدلون الذي هو أدنى وهو ما اردتموه بالذي هو خير وهو ما أراد الله لكم اهبطوا مصرا فان ما أنتم اشتهيتموه لا يليق ان يكون الا في الامصار وفي سر الاعتبار اهبطوا عن سماء التفويض وحسن الاختيار والتدبير مالكم الى أرض التدبير والاختيار منكم لانفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة لاختياركم مع الله وتدبيركم لانفسكم مع تدبير الله ولو ان هذه الامة هي الكائنة في التيه لما قالت مقال بني اسرائيل لشفوف أنوارهم ونفوذ اسرارهم ألا ترى ان بني اسرائيل في ابتداء الامر قالوا لموسى عليه السلام وهو كان سبب التيه لهم اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وقالوا في آخره ادع لنا ربك فابوا في الاول عن امتثال أمر الله وفي الآخر اختاروا لانفسهم غير ما اختار الله بهم وكثيرا ما تكرر منهم ما يدل على بعدهم عن مصدر الحقيقة وسواء الطريقة في قولهم ارنا الله جهرة وفي قولهم لموسى عليه السلام بعد ولم ينشف بلل البحر من أقدامهم حين فرق لهم لما عبروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة فكانوا كما قال موسى عليه السلام قال انكم قوم تجهلون وكذلك قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة وهذه الامة تتق فوق قلوبها جبال الهيبة والعظمة فاخذوا الكتاب بقوة الايمان فثبتوا لذلك وأبدوا لما هنالك وحفظوا

كان كمن جاءه أسد يفترسه ثم قرصه برغوث فاشتغل به عن الاسد فان من غفل عن الله تعالى اشتغل بالحقير ومن لم يغفل عنه لم يشغل الا به فاحسن أحوالك ان تفوتك الدنيا لتحصيل الآخرة يا طالما فاتتك الآخرة لتحصيل الدنيا ما أقبح الخوف بالجندي ما أقبح اللحن بالنحوي وما أقبح طلب الدنيا لمن يظهر الزهد فيها ليس الرجل من يربيك لفظه انما الرجل من يربيك لحظه (عن الشيخ) أبي العباس المرسي رضي الله عنه انه قال اذا كانت السلحفاة تربي افراخها بالنظر كذلك الشيخ يربي مريده بالنظر لان السلحفاة تبيض في البر وتتوجه الى جانب النهر وتنظر الى بيضها فيربيهم الله لها بنظرها اليهم ايالك ان تخرج من هذه الدار وما ذاقت حلاوة حبه ليس حلاوة حبه في المآكل والمشارب لانه يشارك فيها الكافر والدابة بل شارك الملائكة في حلاوة الذكر والجمع على الله تعالى لان الارواح لا تحتمل رشاش النفوس فاذا انغمست في جيفة الدنيا لا تصلح للمحاضرة لان حضرة الله تعالى لا يدخلها المتلطخون بنجاسة المعصية فطهر قلبك من العيب يفتح لك باب الغيب وتب الى الله وارجع اليه بالانابة والذكر من ومن أدام قرع الباب يفتح له ولولا الملاطفة ما قلنا لك ذلك لانه كما قالت رابعة العدوية رضي الله عنها متى أغلق هذا الباب حتى يفتح ولكن

يا هذا باب يوصلك الى قربه واياك وذهول القلب عن وحدانية الله تعالى فاول درجات الذاكرين استحضار وحدانيته تعالى وماذكره الذاكرون وفتح عليهم الا باستحضارهم ذلك وماطردوا الا بذكرهم مع غلبة الذهول عليهم وتستعين على ذلك بقمع الشهوتين البطن والفرج ولا ضادك في الله الا نفسك وما أكثر تودد ك للخلق وما أقل تودد ك للحق لو فتح لك باب التودد مع الله لرأيت العجائب ركعتان في جوف الليل تودد عيادتك للمرضى تودد صلاتك على الجنائز تودد الصدقة على المساكين تودد اعانتك لاخيك المسلم تودد اماطتك الاذى عن الطريق تودد ولكن السيف المطروح يحتاج الى ساعد ولا عبادة انفع لك من الذكر لانه يمكن الشيخ الكبير والمريض الذي لا يستطيع القيام والركوع والسجود واعلم ان العلماء والحكماء يعرفونك كيف تدخل الى الله تعالى هل رأيت عملا كأول ما يشترى يصلح للخدمة بل يعطى لمن يربيه ويعلمه الادب فان صلح وعرف الادب قدمه للملك كذلك الاولياء رضي الله عنهم يحبهم المريدون حتى يزجوا بهم الى الحضرة كالعوام اذا أراد ان يعلم الصبي العوم يحاذيه الى ان يصلح العوم وحده فاذا صلح زجه في اللجة وتركه واياك ان تعتقد انه لا يتوسل بالانبياء والاولياء والصالحين فانهم وسيلة جعلها الله اليه لان كل

من عبادة العجل وغير ذلك لان الله تعالى اختار هذه الامة واختار لها واثنى عليها بقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس وقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي عدولا اخيارا فقد تبين لك من هذا ان التدبير والاختيار من أشد الذنوب والاوزار فاذا أردت أن يكون لك من الله اختيار فاسقط معه الاختيار وان أردت أن يكون لك حسن التدبير فلا تدع معه وجود التدبير وان أردت الوصول الى المراد فذلك بان لا يكون معه مراد ولذلك لما قيل لابي يزيد ما تريد قال أريد أن لا أريد فلم تكن امنيته من الله ولا طلبته منه الا سقوط الارادة معه لعلمه انها أفضل الكرامات واجل القربات وقد يتفق للمخصص الكرامات الظاهرة وبقايا التدبير كامنة فيه فالكرامة الكاملة الحقيقية انما هي ترك التدبير مع الله والتفويض لحكم الله ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان لمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن اعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مغتر كذاب أو ذو خطأ بالعلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على تخت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها الرضا من الله تعالى وعن الله فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص أو هالك مثبور * فاعلم ان الكرامة لا تكون كرامة حتى يصحبها الرضا عن الله ومن لازم الرضا عن الله ترك التدبير معه واسقاط الاختيار بين يديه * واعلم انه قد قال بعضهم ان أبا يزيد رحمه الله لما أراد أن لا يريد فقد أراد وهذا قول من لا معرفة عنده وذلك لان أبا يزيد انما أراد ان لا يريد لان الله تعالى اختار له والعباد أجمع عدم الارادة معه فهو في ارادته أن لا يريد موافق لارادة الله تعالى له ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى وكل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منها شيء واسمع وأطع وهذا موضع الفقه الرباني والعلم اللدني وهو أرض لتنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله لن استوى فافاد الشيخ بهذا الكلام ان كل مختار للشرع لا يناقض اختياره مقام العبودية المبني على ترك الاختيار لئلا يخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك فيظن ان الوظائف والاوراد ورواتب السنن وارادتها يخرج بها العبد عن صريح العبودية لانه قد اختار فبين الشيخ رحمه الله تعالى ان كل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منها شيء وانما أنت مخاطب ان تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها لا عن تدبير الله ورسوله لك فافهم فقد علمت اذا ان أبا يزيد ما أراد ان لا يريد الا لان الله تعالى أراد منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضاة منه فقد علمت ان الطريق الموصلة الى الله تعالى هي محو الارادة ورفض المشيئة حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى ولن يصل الولي الى الله ومعه تدبير من تدبيراته واختيار من اختياراته وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول ولن يصل العبد الى الله تعالى حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله تعالى * يريد والله أعلم ان تنقطع عنه انقطاع أدب لا انقطاع ملل أو لانه يشهد اذا قرب ابان وصوله عدم استحقاقه لذلك واستحقاره لنفسه أن يكون أهلا لما هنالك فتنقطع عنه شهوة الوصول لذلك لا ملال ولا سلو ولا اشتغالا عن الله تعالى بشيء دونه فاذا أردت الاشراف والتنوير فعليك باسقاط التدبير واسلك الى الله كما سلكوا تدرك ما أدركوا اسلك مسالكهم وانهج مناهجهم وألق عصاك فهذا جانب الوادي ولنا في هذا المعنى في ابتداء العمر مما كتبت به لبعض اخواني

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعا * ونحن قعود ما الذي أنت صانع
أترضى بان تبقى المخلف بعدهم * صريع الامانى والغرام ينازع
وهذا لسان الكون ينطق جهرة * بان جميع الكائنات قواطع
وأن لا يرى وجه السبيل سوى امرئ * رمى بالسوى لم تخدعه المطامع
ومن أبصر الاشياء والحق قبلها * فغيب مصنوع عما هو صانع

كرامة المولى هي شهادة بصدق النبي لانها جرت على أيدي الاولياء مثل خرق العادات والمشي على الماء والطيران في الهواء وأخبار الغيبات ونبع الماء ونحو ذلك لانهم لم يعطوا ذلك الا لاجلهم (عن الشيخ) أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه أنه قال كل نفسك وزنها بالصلاة فان

انتهت عن الحظوظ فاعلم انك سعدت والا فابك على نفسك اذا حررت رحلك الى الصلاة حرافهل رأيت حبيبا لا يريد لقاء حبيبه قال الله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فمن أراد أن يعرف حقيقته عند الله وينظر حاله مع الله فلينظر الى صلاته اما بالسكون والخشوع واما بالغفلة والعجلة فان لم تكن بالوصفين السابقين فاحث التراب على رأسك فان من جالس صاحب المسك عبق عليه من ريحه فان الصلاة مجالسة الله تعالى فاذا جالسته ولم يحصل لك منه شئ دل ذلك على مرض فيك وهو اما كبر أو عجب أو عدم أدب قال الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق فلا ينبغي لمن صلى أن يسرع الخروج بل يذكر الله تعالى ويستغفره من تقصيره فيها فرب صلاة لا تصلح للقبول فان استغفرت الله بعدها قبلت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى استغفر الله ثلاث مرات كم فيك من الكوامن فاذا أوردت عليها الواردات أظهرتها وأعظمها ذنبا الشك في الله والشك في الرزق شك في الرازق الدنيا أحقر من أن يعال همها صغرت الهمم فعالت صغيرا فلو كنت كبيرا لعلت الكبير من عال الهم الصغير وترك الهم الكبير استغلنا عقله قم أنت بما يلزمك من وظائف العبودية وهو يقوم لك بما التزمه أرزق الجعل والوزغ وبنات وردان وينسى أن يرزقك قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى كل من كان مراعيا لحق الله تعالى لا يحدث الله تعالى له حدثا في المملكة الا أعلمه (نظر بعضهم الى جماعة) فقال هل فيكم من اذا أحدث الله سبحانه وتعالى مع

بواده أنوار لمن كان ذاهبا * وتحقيق أسرار لمن هو راجع
فقم وانظر الاكوان والنور عمها * ففجر التداني نحوك اليوم طالع
وكن عبدا والق القياد لحكمه * واياك تدبيرا فما هو نافع
اتحكم تدبيرا وغيرك حاكم * أأنت لاحكام الاله تنازع
فمحو ارادة وكل مشيئة * هو الغرض الاقصى فهل أنت سامع
كذلك سار الاولون فأدركوا * على أثرهم فليسر من هو تابع
على نفسه فليبك من كان طالبا * وما لمعت ممن يحب لوامع
على نفسه فليبك من كان باكيا * أيذهب وقت وهو بالله ضائع

اعلم وفقك الله ان لله عبادا خرجوا عن التدبير مع الله بتأديبه الذي أدبهم وبتعليمه الذي علمهم ففسخت الانوار عزائم تدبيرهم ودكت المعارف والاسرار جبال اختيارهم فنزلوا منزل الرضا فوجدوا نعيم المقام فاستغاثوا بالله واستصرخوا به خشية أن يشغلهم حلاوة الرضا فيميلوا اليها بما كنة أو يحنحوا لها بمراكنة * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى كنت في ابتداء أمري أدبر ما أصنع من الطاعات وأنواع الموافقات فتارة أقول ألزم البراري والقفار وتارة أقول أرجع الى المدائن والديار لصحبة العلماء والاخيار فوصف لي ولي من أولياء الله بارض المغرب بجبل هنالك فطلعت اليه فوصلت اليه ليلا فكرهت ان أدخل عليه حينئذ فسمعته يقول اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فاعطيتهم ذلك فرضوا منك بذلك اللهم واني أسألك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون ملجئي الا اليك فقلت يا نفس انظري من أي بحر يغترف هذا الشيخ فاقمت حتى اذا كان الصباح دخلت عليه فسلمت عليه ثم قلت يا سيدي كيف حالك فقال اشكو الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار فقلت يا سيدي اما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلم أفهمه فقال أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله فقلت يا سيدي سمعتك البارحة تقول اللهم ان قوما سألوك ان تسخر لهم خلقك فاعطيتهم ذلك فرضوا منك بذلك اللهم واني أسألك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون ملجئي الا اليك فتبسم ثم قال يا بني عوض ما تقول سخر لي خلقك قل يا رب كن لي أترى اذا كانوا لك أيغنوك بشئ فما هذا الجبن * (فائدة) * اعلم أن هلاك ابن نوح عليه السلام انما كان لاجل رجوعه الى تدبير نفسه وعدم رضاه بتدبير الله الذي اختاره لنوح عليه السلام ومن كان معه في السفينة فقال له نوح عليه السلام يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم فاوى في المعنى الى جبل عقله ثم كان الجبل الذي اعتصم به صورة ذلك المعنى القائم به فكان كما قال الله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين في الظاهر بالطوفان وفي الباطن بالحرمان فاعتبر أيها العبد بذلك فاذا تلاطمت عليك أمواج الاقدار فلا ترجع الى جبل عقلك الباطل لئلا تكون من المغرقين في بحر القطيعة ولكن ارجع الى سفينة الاعتصام بالله والتوكل عليه ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ومن يتوكل على الله فهو حسبه فانك اذا فعلت ذلك استوت بك سفينة النجاة على جودي الامن ثم تهبط بسلامة القربة وبركات الوصلة عليك وعلى أمم ممن معك وهي عوالم وجودك فافهم ذلك ولا تكن من الغافلين واعبد ربك ولا تكن من الجاهلين فقد علمت ان اسقاط التدبير والاختيار أهم ما يلتزمه الموقنون ويطلبه العابدون وأشرف ما يتحلى به العارفون * سألت بعض العارفين ونحن تجاه الكعبة فقلت له من أي الناحيتين يكون رجوعك فقال لي مع الله عادة ان لا تجاوز ارادتي قدمي * وقال بعض المشايخ لو أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وبقيت أنا لم يقع عندي تمييز في أي الدارين يكون قراري فهذا حال عبد صحيح اختياره لله وارادته فلم يبق له

فى المملكة حدثا أعلمه قالوا لا فقال لهم ابكوا على أنفسكم كان المتقدمون من السلف رضى الله عنهم يسألون الشخص عن حاله ليستثير وا منه الشكر والناس اليوم ينبغى أن لا يسألوا فانك ان سألت تستثير الشكوى (عن بعض

مع الله مراد الا ما أراد كما قال بعض السلف أصبحت وهواى فى مواقع قدر الله قال أبو حفص الحداد رحمه الله تعالى لى مذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته * وقال بعضهم لى مذ أربعين سنة أشتهى أن لا أشتهى لا ترك ما أشتهى فلا أجد ما أشتهى فهذه قلوب تولى الله رعايتها وأوجب حمايتها ألم تسمع قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان لان تحققهم بمقام العبودية أبى لهم الاختيار مع الربوبية وأن يقارفوا ذنبا وان يلابسوا عيبا وقال سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فقلوب ليس للشيطان عليها سلطان من أين يطرقها وساوس التدبير أو يرد عليها وجود التكدير وفى الآية بيان ان من صحح الايمان بالله والتوكل على الله فلا سلطان للشيطان عليه لان الشيطان انما يأتيك من أحد وجهين اما بتشكيك فى الاعتقاد واما بركون الى الخلق والاعتماد فاما التشكيك فى الاعتقاد فالايمان ينفيه وأما السكون الى الخلق والاعتماد عليهم فالتوكل عليه ينفيه * (تنبيه) * اعلم أن المؤمن قد ترد عليه خواطر التدبير ولكن الله تعالى لا يدعه لذلك ولا يتركه لما هنالك ألم تسمع قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور * فالحق سبحانه وتعالى يخرج المؤمنين من ظلمات التدبير الى اشراق نور التفويض ويقذف بحق تثبيته على باطل اضطرابهم فيزلزل أركانه ويهدم بنيانه كما قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق والمؤمن وان وردت عليه خواطر الاضطراب والتدبير فهى عابرة لا تثبت لها ومضمحلة لا وجود لها لان نور الايمان قد استقر فى قلوب المؤمنين وأخذت أنواره نفوسهم وملأ اشراقه قلوبهم وشرح ضياؤه صدورهم فابى الايمان المستقر فى قلوبهم أن يسكن معه غيره وانما هى سنة وردت على القلوب امكن فيها ورود طيف التدبير ثم تتيقظ القلوب فيزول الطيف الذى لا يكون الا منا ما قال الله تعالى * ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وفى هذه الآية فوائد * (الفائدة الاولى) * قوله سبحانه وتعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون دل ذلك على ان أصل أمرهم على وجود السلامة منه وان عرض ذلك الطيف فى بعض الاحيان تعريفا بما أودع فيهم من ودائع الايمان * (الفائدة الثانية) * قوله تعالى اذا مسهم طائف ولم يقل اذا أمسكهم أو أخذهم لان المس ملامسة من غير تمكن فافادت هذه العبارة ان طيف الهوى لا يتمكن من قلوبهم بل يماسها مماسة ولا يتمكن منها امساكا ولا أخذا كما يصنع بالكافرين لان الشيطان يستحوذ على الكافرين ويختلس اختلاسا من قلوب المؤمنين حتى تنام العقول الحارسة للقلوب فاذا استيقظوا انبعثت من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة والافتقار الى الله تعالى فاستر جعوا من الشيطان ما اختلسه وأخذوا منه ما افترسه * (الفائدة الثالثة) * قوله تعالى اذا مسهم طيف من الشيطان فالاشارة ههنا بالطيف الى ان الشيطان لا يمكنه ان يأتى الى القلوب الدائمة اليقظة لانه انما يرد طيف الغفلة والهوى على القلوب فى حين منامها بوجود غفلتها ومن لا نوم له فلا طيف يرد عليه * (الفائدة الرابعة) * قوله تعالى اذا مسهم طيف ولم يقل اذا مسهم وارد من الشيطان أو نحوه لان الطيف لا ثبات له ولا وجود له انما هو صورة مثالية ليس لها حقيقة وجودية فاخبر سبحانه وتعالى بذلك ان ذلك غير ضار بالمتقين لان ما يورده الشيطان على قلوبهم بمثابة الطيف الذى تراه فى منامك فاذا استيقظت فلا وجود له * (الفائدة الخامسة) * قوله تعالى اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا ولم يقل ذكروا اشارة الى ان الغفلة لا يطردها الذكر مع غفلة القلب انما يطردها التذكر والاعتبار وان لم تكن الا ذكارا لان الذكر ميدانه اللسان والتذكر ميدانه القلب وطيف الهوى لما ورد انما ورد على القلوب لا على الالسنة فالذى ينفيه انما هو التذكر الذى يحل محله ويحق فعله * (الفائدة السادسة) * قوله تعالى تذكروا حذف متعلقه ولم يقل تذكروا الجنة أو النار أو العقوبة أو غير ذلك وانما حذف متعلق تذكر والفائدة جليلة وذلك ان

فقال يوما للشيخ يا سيدى نبشت ألف قبر فوجدت وجوههم محولة عن القبلة فقال الشيخ ياولدى ذاك من شكهم فى رزقهم يا عبد الله اذا طلبت من الله فاطلب منه أن يصلحك من كل الوجوه وأن يصلحك بالرضا عنه فى تدبيره لك ثم انك عبد شرود طلب منك أن تعبر عليه ففررت منه فان الفرار يكون بالافعال والاحوال والهمم فاذا كنت فى صلاتك تسهو وفى صومك تلغو وفى لطف الله تشكو فأنت شارد (عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أنه قال بقيت مرة فى البادية ثلاثة أيام لم يصح لى شئ فجاز على بعض النصارى فرأونى متكئا فقال هذا قسيس من المسلمين فوضعوا عندى شيأ من الطعام وانصرفوا فقلت يا للعجب كيف رزقت على أيدى الاعداء ولم أرزق على أيدى الاحباء فقيل ليس الرجل من يرزق على أيدى الاحباء انما الرجل من يرزق على يد أعدائه يا هذا اجعل نفسك كدابتك كلما عدلت عن الطريق ضربتها فرجعت الى الطريق ولو فعلت مع نفسك مثل ما تفعل بحبيبتك كلما توسخت غسلتها وكلما تقطع منها شئ رقعته وجددته كانت لك السعادة فرب رجل

ابيضت لحيته وما جلس مع الله جلسة يحاسب نفسه فيها (عن الشيخ مكين الدين) الاسمر رضى الله عنه انه قال كنت فى البداءة أحاسب نفسى

عند المساء فاقول تكلمت اليوم بكذا وكذا فاجد ثلاث كلمات أو أربعا وكان عنده يوما شيخ عمره نحو تسعين سنة فقال له يا سيدي أشكو اليك كثرة الذنوب فقال له الشيخ (١٨) هذا شيء لا نعرفه وما أعرف اني عملت ذنبا قط كما ان الدنيا أبناء من استند اليهم كفوه فكذلك ان للآخرة أبناء من استند اليهم أغنوه ولا تقل طلبنا فلم نجد فلو طلبت بصدق لوجدت وسبب عدم وجدانك عدم استعدادك فان العروس لا تجلى على فاجر فلو طلبت رؤية العروس لتركت الفجور ولو تركت الفجور لرأيت الاولياء والاولياء كثيرون لا ينقص عددهم ولا مددهم ولو نقص واحد منهم لنقص نور النبوة اذا أحببت حبيبا ان تصل اليه حتى تكون أهلا للوصول اليه وذلك حتى تتطهر مما أنت فيه من الرذائل (قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي) رضي الله عنه أولياء الله عرائس والعرائس لا يراها المحرومون اذا ثقلت عليك الطاعة والعبادة ولم تجد لها حلاوة في قلبك وتخف عليك المعصية وتجد لها حلاوة فاعلم انك لم تصدق في توبتك فانه لو صح الاصل لصح الفرع ليتك لو أطعت مولاك كما يطيعك عبدك فانك تجده ناهضا في خدمتك دائما وأنت تحب الطاعة وتطلب أن تفرغ منها مسرعا كانك تتقرب بالمناقير فيا ليت بصرا نظرت به محاسن الغير عوضت عنه العمى كم حصل لك الهوان بالوقوف على أبواب المخلوقين وكم أهانوك وأنت لا ترجع الى مولاك (عن الشيخ) مكين الدين الاسمر رضي الله عنه أنه قال رأيت في المنام حورية وهي تقول أنا لك وأنت لي قال فبقيت نحو شهرين أو ثلاثة لا أستطيع لمخلوق كلاما الا اتقيات لطيب كلامها كفاك من الادبار ان تفتح اليه

التذكر الماحي لطيف الهوى من قلوب المتقين على حسب مراتب اليقين ومرتبة التقوى يدخل فيها الانبياء والرسل والاولياء والصديقون والصالحون والمسلمون فتقوى كل أحد على حسب حاله ومقامه وكذلك أيضا تذكر كل أحد على حسب مقامه فلو ذكر قسما من أقسام التذكر لم يدخل فيه الا أهل ذلك القسم فلو قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا العقوبة فاذا هم مبصرون خرج عنه الذين تذكروا المثوبة ولو قال تذكروا سابق الاحسان لخرج منه الذين تذكروا الواحق الامتنان الى غير ذلك فاراد الحق سبحانه وتعالى ان لا يذكر متعلق التذكر ليشمل المراتب كلها فافهم *(الفائدة السابعة)* انه قال سبحانه فاذا هم مبصرون ولم يقل تذكروا فابصروا أو تذكروا ثم أبصروا أو تذكروا وابصروا فاما ترك التعبير بالواو فلانه كان لا يفيد ان البصرى كانت عن التذكر والرادانها كانت مسببة عنه ترغيبا للعباد فيها وأما عدوله عن ثم لان فيها ما في الواو من عدم الدلالة على السببية وفيها انها كانت تقتضي عكس المضي لما فيها من المهلة ومراد الحق سبحانه ان هؤلاء العباد لا تتأخر أبصارهم عن تذكرهم ولم يعبر بالفاء لاقتضائها التعقيب بل عبر الحق سبحانه بقوله تذكروا فاذا هم مبصرون كأنهم لم يزالوا على ذلك البصرى ثناء منه سبحانه عليهم واظهارا لوفور المنة لديهم كما تقول تذكر زيد المسئلة فاذا هي صحيحة أي انها لم تزل صحيحة وانها الآن صحيحة كما وقع العلم بها كذلك المتقون ما زالوا مبصرين ولكن حين ورود طيف الهوى عليهم غطى على بصيرتهم الثابت نورها فهم فلما استيقظوا ذهبت سحابة الغفلة فاشرقت شمس البصيرة *(الفائدة الثامنة)* في هذه الآية وظائرها توسعة على المتقين ولطف بالمؤمنين لانه لو قال ان الذين اتقوا لا يمسهم طيف من الشيطان لخرج من ذلك كل أحد الا أهل العصمة فاراد سبحانه وتعالى ان يوسع دوائر رحمته فقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف ليعلمك ان ورود الطيف عليهم لا يخرجهم عن ثبوت حكم التقوى لهم وجريان اسمه عليهم اذا كانوا كما وصفهم مسرعين بالتذكر راجعين الى الله بالتبصر ومثل هذه الآية في بسط رجاء العباد والتوسعة عليهم قوله تعالى * ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين *ولم يقل يحب الذين لا يذنبون لانه لو قال ذلك لم يدخل فيه الا القليل فعلم الحق سبحانه ما العباد مركبون عليه من وجود الغفلة وما تقتضيه النشأة الاولى الانسانية لكونها ركبت من امشاج من نوع المخالفة وقد قال سبحانه وتعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا قال بعض أهل العلم يعني لا يملك عند قيام الشهوة به وقد قال تعالى هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فلاجل ما علم من ان الخطأ غالب على الانسان فتح له باب التوبة ودله عليها ودعاه اليها ووعده القبول اذا تاب والاقبال عليه اذا رجع اليه وآب وقال صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم خطاؤن وخير الخطائين التوابون فاعلمك صلى الله عليه وسلم ان الخطأ لازم وجودك بل عين وجودك وقال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ولم يقل والذين لا يعملون الفاحشة وقال سبحانه وتعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون ولم يقل والذين لا يغضبون وقال سبحانه وتعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والذين لا غيظ لهم فافهم ذلك رحمك الله فهذه أسرار بينة وأمور متعينة *(الفائدة التاسعة)* تبين مراتب المتذكرين من المتقين اعلم أن أهل التقوى اذا مسهم طيف من الشيطان لا يدعهم تقواهم للاصرار على معصية مولاهم بل يرجعهم اليه تذكرهم وتذكرهم على أقسام متذكر يتذكر الثواب ومتذكر يتذكر العقاب ومتذكر يتذكر الوقوف للحساب ومتذكر يتذكر ما في ترك المعصية من جزيل الثواب ومتذكر يتذكر سابق الاحسان فيستحي من وجود العصيان ومتذكر يتذكر لواحق الامتنان فيستحي أن يقابل ذلك بالكفران ومتذكر يتذكر قرب الله تعالى منه ومتذكر يتذكر احاطة الحق سبحانه ومتذكر يتذكر نظر الحق

عينيك فى هذه الدار قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه فدر لك الصحة والمرض والغنى والفقر والفرح والحزن حتى تعرفه باوصافه من صحبك يوما أو يومين ولم يرمنك نفعا تركك (١٩) وصحب غيرك وأنت تصحب نفسك أربعين سنة ولم ترمنها نفعا فقل لها ارجعى يا نفس الى رضا ربك طالما وافقتك فى الشهوات فتبدلى بعد البطالة بالاشتغال بالله وبعد الكلام بالصمت وبعد الوقوف بالخارات الجلوس بالخلوة وبعد الانس بالمخلوقين الانس بالخالق وبعد قرناء السوء معاشرة أهل الخير والصلاح اجعل أحوالك على ضد ما كنت عليه اجعل بدل السهر فى معصية الله السهر فى طاعة الله وبعد الاقبال على أهل الدنيا الاعراض عنهم والاقبال على الله وبعد الاصغاء لكلامهم الاصغاء والاستماع لكلام الله عز وجل وذكره وبعد الاكل بالشره والشهوة الاكل القليل الذى يعينك على الطاعة قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا انما عمى الله من لم يعرف عقابه وانما ترك طاعة الله من لم يعرف ثوابه فلو اطلعوا على عذاب النار لما غفلوا ولو اطلعوا على ما أعد الله لاهل الجنة لما تركوها طرفة عين اذا صحبت أبناء الدنيا جذبوك اليها واذا صحبت أبناء الآخرة جذبوك الى الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم لمن يخالل كما تختار لنفسك المأكل الطيبة التى لا ضرر فيها والزوجة الحسنة لتتزوجها فكذلك لا تواد الا من يعرفك الطريق الى الله سبحانه وتعالى واعلم ان لك ثلاثة أخلاء (أحدها) المال تفقده عند الموت (والثانى) العيال

اليه ومتذكر يتذكر معاهدة الله له ومتذكر يتذكر فناء لذته وبقاء مطالبته ومتذكر يتذكر وبال مخالفته وذلها فيكون لها تاركا ومتذكر يتذكر فوائد الموافقة وعزها فيكون لها سالكا ومتذكر يتذكر فيومية الحق به ومتذكر يتذكر عظمة الحق وسلطانه الى غير ذلك من تعلقات التذكر وهى لا حصر لها وانما ذكرنا ما ذكرنا منها تنبيها لك باحوال المتقين وتنبيها على بعض مقامات المتبصرين فافهم

(الفائدة العاشرة) يمكن أن يكون قوله سبحانه وتعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف أن يكون المراد بالطيف ههنا طائف الهاجس أو الخاطر الوارد من وجود النفس بالقاء الشيطان وسمى طيفا لانه يطيف بالقلب وتفسره القراءة الاخرى اذا مسهم طائف من الشيطان فتكون احدى القراءتين مفسرة للاخرى والهاجس يطيف بالقلب فان وجد له مسلكا بشامة يجد هافى سور مقام اليقين دخل والا ذهب ومثل مقامات اليقين ونور اليقين الجامع لها كالاسوار المحيطة بالبلدة وقلاعها فالاسوار هى الانوار وقلاعها هى مقامات اليقين التى هى دائرة مدينة القلب فمن أحاط بقلبه سور يقينه وصحح مقاماته التى هى أسوار الانوار كالقلاع فليس للشيطان اليه سبيل ولا له فى داره مقيل ألم تسمع قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان أى لانهم قد صحوا العبودية لى فلا هم لحكمى منازعون ولا فى تدبيرى متعرضون بل على متوكلون والى مستسلمون فلذلك قام لهم الحق سبحانه بالرعاية والنصر والحماية ووجهوا هممهم اليه فكفاهم من دونه قيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان قال وما الشيطان نحن قوم صرفناهم منا الى الله تعالى فكفانا من دونه * وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول لما قال الحق تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فقوم فهموا من هذا الخطاب ان الله طالبهم بعداوة الشيطان فصرفوا هممهم الى عداوته فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك ان الشيطان لكم عدو أى أنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبة الله فكفاهم من دونه ثم ذكر الحكاية المتقدمة فان استعاذوا من الشيطان فلاجل أن الله تعالى أمرهم بذلك لانهم يشهدون ان لغير الله من الحكم شيأ معه وكيف يشهدون لغيره حكما معه وهم يسمعونه يقول ان الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه وقال سبحانه وتعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال عز وجل ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقال سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال الله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال وكان حقا علينا نصر المؤمنين فهذه الآيات ونظائرها قوت قلوب المؤمنين ونصرتهم النصر المبين فان استعاذوا من الشيطان فبامره وان استولوا بنور الايمان عليه فبوجود نصره وان سلموا من كيده لهم فبتاييده وبره * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى اجتمعت برجل فى سياحتى فاوصانى فقال لى ليس شئ فى الاقوال أعون على الافعال من لا حول ولا قوة الا بالله وليس فى الافعال أعون من الفرار الى الله والاعتصام بالله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ثم قال بسم الله فررت الى الله واعتصمت بالله ولا حول ولا قوة الا بالله ومن يغفر الذنوب الا الله بسم الله قول باللسان صدر عن القلب ففروا الى الله وصف الروح والسر واعتصمت بالله وصف العقل والنفس ولا حول ولا قوة الا بالله وصف الملك والامر ومن يغفر الذنوب الا الله وب أعوذ بك من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم يقول الشيطان هذا علم الله فيك وبالله آمنت وعليه توكلت وأعوذ بالله منك ولولا ما أمرنى ما استعذت منك ومن أنت حتى أستعيذ بالله منك فقد فهمت رحمك الله ان الشيطان أحقر فى قلوبهم أن يضيفوا اليه قدرة أو ينسبوا له ارادة * وسر الحكمة فى ايجاد الشيطان أن يكون مظهرا ينسب اليه أسباب العصيان ووجود الكفران والغفلة والنسيان ألم تسمع قوله وما أنسانيه الا الشيطان هذا من عمل الشيطان فكان سر ايجاده ليمسح فيه أو ساخ النسب ولذلك قال بعض العارفين الشيطان منديل هذه الدار يمسح به وسخ المعاصى وكل قبيح وخبيث ان الله تعالى لو شاء أن

يتركونك عند القبر (والثالث) عملك لا يفارقك أبدا فاصحب من يدخل معك قبرك وتأنس به فالعاقل من عقل عن الله أوامره ونواهيه
مثالك كالجعل يعيش في الروث (٢٠) والعذرة واذا قرب اليه الوردمات من رائحته فمن الناس من هو جعلي الهمة فراشي العقل فان

لا يعصى لما خلق ابليس وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى الشيطان كالذكر والنفس كالانثى وحدوث الذنب بينهما كحدوث الولد بين الاب والام لا أنهما أوجداه ولكن عنهما كان ظهوره ومعنى كلام الشيخ هذا انه كما لا يشك عاقل ان الولد ليس من خلق الاب والام ولا من ايجادهما ونسب اليهما الظهور عنهما كذلك لا يشك مؤمن ان المعصية ليست من خلق الشيطان والنفس بل كانت عنهما لا منهما فالظهور هما عنهما نسبت اليهما فنسبة المعصية الى الشيطان والنفس نسبة اضافة واسناد ونسبتها الى الله نسبة خلق وايجاد كأنه خالق الطاعة بفضله كذلك هو خالق المعصية بعدله قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وقال سبحانه وتعالى الله خالق كل شئ وقال سبحانه وتعالى هل من خالق غير الله وقال سبحانه وتعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * والآية القاصمة للمبتدعة المدعين ان الله يخلق الطاعة ولا يخلق المعصية قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فان قالوا قد قال الله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء فالامر غير القضاء فان قالوا قد قال الله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فهو على هذا التفصيل تعليم للعباد التأدب معه فامرنا ان نضيف المحاسن اليه لانها اللائقة بوجوده والمساوى الينا لانها اللائقة بوجودنا قياما بحسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فأردت ان أعيبها وقال فارادربك أن يبلغا أشدهما وقال ابراهيم عليه السلام واذا مرضت فهو يشفين ولم يقل الخضر فارادربك ان يعيبها كما قال فارادربك أن يبلغا أشدهما فاضاف العيب الى نفسه والمحاسن الى سيده وكذلك ابراهيم عليه السلام لم يقل فاذا أمرضني فهو يشفيني بل قال واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه والشفاء الى ربه مع أن الله تعالى هو فاعل ذلك حقيقة وخالقه فقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله أي خلقا وايجادا وما أصابك من سيئة فمن نفسك أي اضافة واسنادا كما قال عليه السلام الخير بيديك والشر ليس اليك فقد علم عليه السلام ان الله خالق الخير والشر والنفع والضر ولكن التزم أدب التعبير فقال الخير بيديك والشر ليس اليك على ما بيناه فافهم فان قالوا ان الحق سبحانه منزه عن ان يخلق المعصية لانها قبيحة والحق سبحانه منزه ان يخلق القبائح قلنا المعصية فعل قبيح من العبد لانها مخالفة للامر اذ القبح لا يرجع الى ذات المنهي عنه ولكن لاجل تعلق النهي به كما ان الحسن لا يتعلق بذات المأمور به ولكن بمعنى تعلق الامر به فافهم ثم ان الحق تعالى يجب تنزيهه عن هذا التنزيه وذلك انهم اذا قالوا تعالى الله ان يخلق المعصية قلنا تعالى الله ان يكون في ملكه ما لا يريد فافهم هدانا الله واياك الى الصراط المستقيم وأقامنا على الدين القويم بفضله

(تقرير وبيان لذكر قواعد التدبير ومنازعة المقادير)

قال الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين وقال ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل * وقال تعالى فله أسلموا وقال تعالى فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعني * وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين * وقال ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وقال توفني مسلما وألحقني بالصالحين وقال وأنا أول المسلمين الى غير ذلك فاعلم ان هذا التكرار لذكر الاسلام تنويه لقدره وتفخيم لامره والاسلام له ظاهر وباطن فظاهره الموافقة لله تعالى وباطنه عدم المنازعة له فالاسلام حظ الهياكل وعدم المنازعة والاستسلام حظ القلوب فالاسلام كالصورة والاستسلام هو روح تلك الصورة فالاسلام ظاهر والاستسلام باطن ذلك الظاهر فالمسلم من أسلم نفسه الى الله فكان ظاهرا بامتثال أمره وباطنا بالاستسلام الى قهره وتحقيق مقام الاستسلام بعدم المنازعة لله في أحكامه والتفويض له في نقضه وابرامه فمن ادعى الاسلام طولب بالاستسلام قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ألا ترى ان ابراهيم عليه السلام لما قال

الفراش لا زال يرمي نفسه في النار حتى تحرقه فكذلك أنت ترمي نفسك في نار المعصية عمدا فلو أردت السير الى الله تعالى شددت المحزم فان الهمة انما تنال كل لتعيش وتعيش لتأكل فان فعلت ذلك فمثالك على المداود كثير ومثالك في الدواب كثير فان فعلت ذلك فان أسبق الخيل ما صمر تقول هذه الليلة اقلل الاكل فاذا حضر الطعام كأنه حبيب مفارق ومن لم يرد الله صلاحه تعبت فيه الاقاويل قال الله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ما أهر بك من الهوان وما أوقعك فيه تهين نفسك وتلقيها في مواطن الردى قال بعضهم كن مع الله كالطفل مع أمه كلما دفعته أمه ترامي عليها لا يعرف غيرها يا عبد الله تنتخب لنفسك الطيبات بل تنتخب لدابتك العلف وتعامل الله بالمجازفة وربما قلبت عشرين بطيخة حتى تصلح لك واحدة لدهليز مرحاض وتقعد عند الاكل متربعا وربما طولت في الاكل واذا جئت الى الصلاة نقرتها نقر الديك والوساوس والخواطر الرديئة تأتيك في صلاتك مثال من هذه حالته كمن نصب نفسه للهدف وقعد في الارماح والسهام تقصده من كل جانب أفما هذا أحق له

مثالك اذا سمعت الحكمة ولم تعمل بها كمثل الذي يلبس الدرع ولا يقاتل الا فقد حصل النداء على سلعتنا فهل من مشتر قيمتك قيمة ما أنت

مشغول به فان اشتغلت فى الدنيا فلا قيمة لك لان الدنيا كالجيفة لا قيمة لها أفضل ما يطلب العبد من الله ان يكون مستقيما معه قال الله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فاطلب منه الهداية والاستقامة وهو أن تكون مع الله فى كل حال بالذى يرضاه لك وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى من بذل الوجه صرف الود سقاه الله صرف الكرم مثال السالك كمن يحفر على الماء قليلا قليلا حتى يجد الثقب فينبع له الماء بعد الطلب ومثال المجذوب كمن أراد الماء فامطرت له سحابة فاخذ منها ما يحتاج اليه من غير تعب اذا أعطيت نفسك كلما تشتهى وتطلب من الشهوات كنت كمن فى بيته حية يسمها كل يوم حتى تقتله ولو جعل فيك الروح من غير نفس لاطعت وما عصيت ولو جعل فيك النفس من غير روح لعصيت وما أطعت فلذلك جعل فيك القلب والروح والنفس والهوى كالنحلة جعل فيها اللسعة والعسل فلذلك تتلون فالعسل يغره واللسع يقهره فاراد الله ان يكسر دعوة النفس بوجود القلب ودعوى القلب بوجود النفس يا عبد الله طلب منك أن تكون له عبدا فابيت أن تكون الا ضدا اقبالك على الله افرادك له بالعبادة فكيف يرضى لك أن تعبد غيره فلو أتيتنا تطلب العطاء منا ما أنصفتنا فكيف ترضى اذا أقبلت على من سوانا وقفت الدنيا فى طريق الآخرة فصرفت الوصول اليها ووقفت الآخرة فى طريق الحق فمنعت الوصول اليه ان من لطف الله بك أن يكشف لك عن عيوب نفسك ويسترها عن الناس اذا أعطيت الدنيا ومنعت الشكر فيها فهى محنة فى حقك قال رسول الله صلى الله عليه

له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين فلما زج به فى المنجنيق استغاثت الملائكة قائلة يا ربنا هذا خليلك قد نزل به ما أنت به أعلم فقال الحق سبحانه وتعالى اذهب اليه يا جبريل فان استغاث بك فاغثه والا فاتركنى وخليلى فلما جاءه جبرائيل عليه السلام فى أفق الهواء قال ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قال فاسأله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فلم يستنصر بغير الله ولا جنحت همته بغير الله بل استسلم لحكم الله مكتفيا بتدبير الله له عن تدبيره لنفسه وبرعاية الحق له عن رعايته لها وبعلم الحق سبحانه عن سؤاله علما منه ان الحق به لطيف فى جميع أحواله فاثنى الله تعالى عليه بقوله وابراهيم الذى وفى ونجاه من النار فقال تعالى قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال أهل العلم لو لم يقل الحق سبحانه وسلاما لاهلكه بردها فهدت تلك النار وقال أهل العلم باخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبق فى ذلك الوقت نار بمشارق الارض ولا بمغاربها الا خمدت ظانة أنها المعنية بالخطاب فقيل انه لم تحرق النار منه الا قيده *(فائدة جليلة)* انظر الى قول ابراهيم عليه السلام لما قال له جبرائيل عليه السلام ألك حاجة قال أما اليك فلا ولم يقل ليس لى حاجة لان مقام الرسالة والخلة يقتضى القيام بصريح العبودية ومن لازم مقام العبودية اظهار الحاجة الى الله تعالى والقيام بين يديه بوصف الفاقة اليه ورفع الهمة عما سواه فناسب ذلك أن يقول اما اليك فلا أى انا محتاج الى الله واما اليك فلا فجمع فى كلامه هذا اظهار الفاقة الى الله ورفع الهمة عما سواه لا كما قال بعضهم لا يكون الصوفى صوفيا حتى لا يكون له الى الله حاجة وهذا كلام لا يليق بأهل الاقتداء المكملين مع انه مؤول لقائله بان مراده ان الصوفى قد تحقق بان الله قد قضى حوائجه من قبل أن يخلقه فليس له الى الله حاجة الا وهى مقضية فى الازل ولا يلزم من نفى الحاجة نفى الاحتياج * والتأويل الثانى انما قال لا يكون له الى الله حاجة أى انه انما يطلبه وليس همته الطلب منه وشتان بين طالب الله وطالب من الله وقد يكون مراده بقوله حتى لا يكون له الى الله حاجة أنه مفوض الى الله مستسلم له فليس له مع الله مراد الا ما أراد *(فائدة جليلة)* أيضا وذلك أن جبرائيل عليه السلام لما قال لابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قيل علم جبرائيل عليه السلام انه لا يستغيث به وان قلبه لا يشهد الا الله عز وجل وحده فقال له حينئذ سله أى ان لم تستغث بى التزاما منك عدم التمسك بالوسائط فسل ربك فانه أقرب اليك منى فقال ابراهيم عليه السلام حبيبا له حسبى من سؤالى علمه بحالى أى انى نظرت فرأيته أقرب الى من سؤالى ورأيت سؤالى من الوسائط وانا لا أريد ان أتمسك بشئ دونه ولانى علمت ان الحق سبحانه وتعالى عالم فلا يحتاج ان يذكر بسؤال ولا يجوز عليه الاهمال فاكتفيت بعلم الله عن السؤال وعلمت انه لا يدعنى من لطفه فى كل حال وهذا هو الاكتفاء بالله تعالى والقيام بحقوق حسبى الله *وكان شيخنا أبو العباس رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى وابراهيم الذى وفى قال وفى بمقتضى قوله حسبى الله وقال بعضهم سلم طعامه للضيفان وولده للقربان وجسده للنيران فاثنى الحق عليه بقوله وابراهيم الذى وفى *(فائدة جليلة)* اعلم ان الملائكة لما قال لهم الحق سبحانه وتعالى انى جاعل فى الارض خليفة يعنى آدم وذريته قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون فكان عدم استغاثة ابراهيم عليه السلام بجبرائيل عليه السلام فى ذلك الموطن احتجاجا من الله عليهم كانه يقول كيف رأيتم عبدى هذا يا من قال أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فظهر بذلك قوله سبحانه وتعالى انى أعلم ما لا تعلمون *جاء فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيصعد الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادى فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه كأن الحق سبحانه وتعالى يقول لهم يا من قال أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كيف تركتم عبادى فكان مراد الحق سبحانه وتعالى بارسال

وسلم قليل الدنيا يلهى عن طريق الآخرة كان لبعضهم زوجة فقالت له يوما لا أقدر على أن تغيب عنى ولا أن تشتغل بغيرى فنودى اذا كانت هذه لا خالقة ولا موجدة وهى تحب أن تجمع قلبك عليها فكيف لا أحب أنا أن تجمع قلبك على كنت مرة عند الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله تعالى عنه فقلت فى نفسى أشياء فقال الشيخ ان كانت النفس لك فاصنع بها ما شئت ولن تستطيع ذلك ثم قال النفس كالمرأة كلما أكثرت خصامها أكثرت خصامك فسلمها الى ربها يفعل بها ما يشاء فربما تعبت فى تربيتها فلا تنقاد لك فالمسلم من أسلم نفسه الى الله بدليل قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة اذا أحبك مولاك أعرض عنك أصحابك حتى لا تشتغل بهم عنه وقطع علائقك من المخلوقين حتى ترجع اليه كم تطلب نفسك الى الطاعة وهى تتقاعد انما تحتاج الى معالجة نفسك فى الابتداء فاذا ذاقت المنة جاءت اختيارا فالحلاوة التى كانت تجدها فى المعصية ترجع تجدها فى الطاعة مثال الايمان فى القلب كالشجرة الخضراء فاذا كثرت عليها المعاصى يبست وفرغ امدادها فمن أحب القيام بالواجبات فليترك المحرمات ومن ترك المكروهات أعين على تحصيل الخيرات ومن ترك المباحات وسع عليه توسعة لا يسعها عقله وأباح له حضرته ومن ترك استماع ما حرم عليه كلامه ولكن ما أهون الغرابة التى فيها هوى نفسك وهاخلقى عليك وما أثقل ما ليس فيه هوى نفسك أن تحج تنفلا فان قيل لك تصدق بذلك شق عليك لان أمر الحج يرى فالنفس فيه حظ والصدقة تطوى

جبرائيل عليه السلام اظهار رتبة الخليل عند ملائكته وتبيينا لشرف قدره ونفاذ أمره وكيف يمكن ابراهيم عليه السلام ان يستغيث بشئ دونه وهو لا يرى الا اياه ولا يشهد سواه وانما سمى الخليل خليلا لانه تخلل سره بمحبة الله وعظمته وأحديته فلم يبق فيه متسع لغيره كما قيل

قد تخللت مسلك الروح منى * وبذا سمى الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت كلامى * واذا ما صمت كنت الغليلا

(تنبيه واعلام) اعلم ان الحق سبحانه وتعالى بسط سر ابراهيم عليه السلام بنور الرضا واعطاه روح الاستسلام وصان قلبه عن النظر الى الانام فما كانت النار عليه بردا وسلاما الا لما كان قلبه مفوضا الى الله استسلاما فمن الاستسلام كان عليه السلام وعن تصحيح باطن المقام كان ما ظهر عليه من الاجلال والاعظام فافهم من ذلك أيها المؤمن أن من استسلم الى الله فى واردات الامتحان أعاد الله عليه شوكها ريحانا وخوفها أمانا فاذا قذفك الشيطان فى مضايق الامتحان فعرضت لك الاكوان قائلة ألك حاجة فقل أما اليك فلا وأما الى الله فبلى فان قالت لك سله فقل حسبى من سؤالى علمه بحالى فان الله يعيد عليك نار الدنيا بردا وسلاما ويعطيك منة واكراما لان الله سبحانه وتعالى فتح بالانبياء والرسل سبيل الهدى فسلك وراءهم المؤمنون والتزم اتباعهم الموقنون كما قال سبحانه وتعالى قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وقال فى شأن يونس عليه السلام فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين أى كذلك ننجى المؤمنين المتبعين لآثاره المتشوقين لانواره الطالبين من الله بالذلة والافتقار واللابسين شعار المسكنة والانكسار

(لطائف) فى قصة ابراهيم عليه السلام هذه بيان للمعتبرين وهداية للمتبصرين وهو أن من خرج عن تدبيره لنفسه كان الله سبحانه وتعالى هو المتولى بحسن التدبير له ألا ترى ان ابراهيم عليه السلام لما لم يدبر لنفسه ولا اهتم بها بل ألقاها الى الله تعالى وأسلمها اليه وتوكل فى كل شأنه عليه فلما كان كذلك كان عاقبة استسلامه وجود السلامة والاكرام وبقاء الثناء عليه على ممر الايام وقد أمرنا الله تعالى أن لا نخرج عن ملته وان نرعى حق تسميته بقوله تعالى ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل فحق على كل من كان ابراهيميا أن يكون عن تدبيره لنفسه بريا ومن منازعة الله خاليا ومن اعتراضه عريا ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه وملته لازمها التفويض الى الله تعالى والاستسلام فى واردات الاحكام واعلم ان المراد هو أن لا يكون لك مع الله مراد ولنا فى هذا المعنى شعر

مرادى منك نسيان المراد * اذا رمت السبيل الى الرشاد
وأن تدع الوجود فلا تراه * وتصحح ما سكا حبل اعتماد
الى كم غفلة عنى وانى * على حفظ الرعاية والوداد
الى كم أنت تنظر مبدعاتى * وتصحح هائما فى كل وادى
وتترك أن تميل الى جنابى * لعمرك قد عدلت عن السداد
وودى فيك لو تدرى قديم * ويوم ألست بشهد بانفرادى
فهل رب سواى فترتجيه * غدا ينجيك من كرب شداد
فوصف العجز عم الكون طرا * فقتقر بفقتقر ينادى
فبى قد قامت الاكوان طرا * وأظهرت المظاهر من مرادى
أفى دارى وفى ملكى وملكى * توجه للسوى وجه اعتماد
فحدق أعين الايمان وانظر * ترى الاكوان تؤذن بالنفاد
فمن عدم الى عدم مصير * وأنت الى الفنا لاشك غاد

وتنسى وكذلك درسك العلم لغير الله فانك تدرس الليل كله ونفسك طيبة بذلك فاذا قيل لك صل بالليل ركعتين شق ذلك عليك لان الركعتين بينك وبين الله ليس فيهما للنفس حظ والقراءة والدرس للنفس فيها حظ مشاركة للناس فلاجل ذلك خفف عليها

وهاخامى عليك فلا تزلها * وصن وجه الرجاء عن العباد
ببابى أوقف الآمال طرا * ولا تاتى لحضرتنا بزاد
ووصفك فالزمنه وكن ذليلا * ترى منى المنى طوع القياد
وكن عبدا لنا والعبد يرضى * بما تقضى الموالى من مراد
أأستر وصفك الادنى بوصفى * فتجزى ذاك جهلا بالعناد
وهل شاركتنى فى الملك حتى * غدوت منازعى والرشد باد
فان رمت الوصول الى جنابى * فهذى النفس فاحذرها وعاد
وخض بحر الفناء عسى تراثا * وأعددنا الى يوم المعاد
وكن مستمطرا منا التقى * جميل الصنع من مولى جواد
ولا تستهد يوما من سوانا * فما أحد سوانا اليوم هاد

(تنبيه واعلام) اعلم أن التدبير على قسمين تدبير محمود وتدبير مذموم فالتدبير المذموم هو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها الا لله قياما بحقه كالتدبير فى تحصيل معصية أو فى حظ بوجود غفلة أو طاعة بوجود رياء وسمعة ونحو ذلك وهذا كله مذموم لانه اما أن يوجب عقابا أو يوجب حجابا ومن عرف نعمة العقل استحى من الله أن يصرف عقله الى تدبير مالا يوصله الى قربه ولا يكون سببا لوجود حبه والعقل أفضل ما من الله به على عباده لانه سبحانه وتعالى خلق الموجودات وتفضل عليها بالايجاد وبدوام الامداد فهما نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد وربما يفهم من ههنا قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ لكن لما اشتركت الموجودات فى ايجاده وامداده أراد الحق تعالى أن يميز بعضها على بعض ليظهر سعة تعلقات ارادته واتساع مشيئته فميز بعض الموجودات بالنمو كالنبات والحيوان البهيمى والآدمى فظهرت القدرة فيه ظهورا أجلى من ظهورها فى الموجودات الغير نامية فلما اشتركت هذه الثلاثة فى النمو أفرد الحيوان الآدمى وغير الآدمى بوجود الحياة فشارك الآدمى فى ذلك الحيوان البهيمى فظهر بقدرته فيه ظهورا أجلى من ظهوره فى النباتيات فاراد أن يميز الآدمى عنه فاعطاه العقل وفضله لذلك على الحيوان وكمل به نعمته على الانسان وبالعقل ونوره واشراقه ونوره تتم مصالح الدنيا والآخرة فصرف نعمة العقل الى تدبير الدنيا التى لا قدر لها عند الله كفر لنعمة العقل وتوجهه الى الاهتمام باصلاح شأنه فى معاده فيا ما بوجود شكر المحسن اليه والمفيض من نوره عليه أحق به وأحرى وأفضل له وأولى فلا تصرف عقلك الذى من به عليك فى تدبير الدنيا التى هى كما أخبر عنها النبى عليه السلام بقوله الدنيا جيفة قذرة وكما قال صلى الله عليه وسلم للضحاك ما طعامك قال اللحم واللبن يا رسول الله قال ثم يعود الى ماذا قال ما علمت يا رسول الله قال فان الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء * ومثل من صرف عقله فى تدبير الدنيا التى هذه الصفات صفاتها كمثل من أعطاه الملك سيفا عظيما قدره مفخما أمره لم يسمح لكثير من رعاياه بمثله ليقتل به أعداءه ويتزين بحمله فعمد آخذ هذا السيف الى الجيف فجعل يضربها حتى تفلل ضياه وكل شباه وتغير حسنه وسناه فجدير اذا اطلع الملك على هذه الحالة منه ان ياخذ السيف منه ويعظم عقوبته على سوء فعاله وأن يمنعه من وجود اقباله فقد تبين من هذا أن التدبير على قسمين تدبير محمود وتدبير مذموم فالتدبير المحمود هو ما كان تدبيرا بما يقربك من الله كالتدبير فى براءة الذمم من حقوق المخلوقين اما وفاء واما استحلالا وتصحيح التوبة الى رب العالمين والفكرة فيما يؤدى الى قمع الهوى المردى والشيطان المغوى وكل ذلك محمود لا شك فيه ولاجل ذلك قال رسول الله عليه السلام فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة والتدبير للدنيا على قسمين تدبير الدنيا للدنيا وتدبير

(قال بعضهم) تاقت نفسى الى الزواج فرأيت المحراب قد انشق وخرج منه نعل من ذهب مكلل باللؤلؤ فقيل لى هذا نعلها فكيف وجهها فانقطعت شهوة النكاح من قلبى من هيبة ما نزل له المنازل لم يرض له بالقعود على المزابل فاعمل الاعمال الصالحات بينك وبين الله سرا ولا تطلع عليه أهلك واجعله مدخرا عند الله تجده يوم القيامة فان النفس لها تمتع بذكر العمل صام بعضهم أربعين سنة ولم يعلم به أهله لا تنفق انفاسك فى غير طاعة الله ولا تنظر الى صغير النفس بل انظر الى مقداره والى ما يعطى الله العبد فالانفاس جواهر وهل رأيت أحدا يرمى جوهرة على مزبلة أفتصلح ظاهرك وتفسد باطنك فمثالك كالمجذوم لبس ثيابا جديدة ويخرج منه فى الباطن القيح والصديد فانت تصلح ما ينظر اليه الناس ولا تصلح قلبك الذى هو لرب الحكمة كالقيدان قيدت بهما نفسك امتنعت وان رميتها تسيبت ويخاف عليك مثال ذلك كالمجنون فى بيتك يخربه ويقطع الثياب فاذا قيدته استرحت واذا طرحت القيد وخرجت فالضرر باق يا أيها الشيخ قد أفنيت عمرك فاستدرك ما فاتك قد لبست البياض وهو الشيب والبياض لا يحمل الدنس مثال القلب كالمرآة ومثال النفس كالنفس كلما تنفست النفس على المرآة تسودت قلب الفاجر كمرآة المجوز التى ضعفت

همتها أن تجلوها وتنظر فيها وقلب العارف كمرآة العروس كل يوم تنظر فيها فلا تزال مصقولة همة الزاهدين في كثرة الاعمال وهمة العارفين في تصحيح الاحوال أربعة تعينك على جلاء قلبك كثرة الذكر ولزوم الصمت والخلوة وقلة المطعم والمشرب أهل الغفلة اذا

أصبحوا يتفقدون أموالهم وأهل الزهد والعبادة يتفقدون أحوالهم وأهل المعرفة يتفقدون قلوبهم مع الله عز وجل ما من نفس يبديه الله تعالى فيك من طاعة أو مرض أو فاقة الا وهو يريد أن يختبرك بذلك ومن طلب الدنيا بطريق الآخرة كان كمن أخذ ملعقة ياقوت يغرف بها العذرة فما بعد هذا أحمق لا تعتقد ان الناس فاتهم العلم بل فاتهم التوفيق أكثر من العلم أول ما ينبغي لك أن تبكي على عقلك فكما يقع القحط في الكلأ يقع في عقول الرجال وبالعقل عاش الناس مع الناس ومع الله تعالى مع الناس بحسن الخلق ومع الله باتباع مرضاته ان من عليك بثلاثة فقد من عليك بالنعمة الكبرى (الاولى) الوقوف على حدوده (والثانية) الوفاء بعهوده (والثالثة) الغرق في شهوده وما سبب استغراقك لاحوال العارفين الا استغراقك في القطيعة ولو شاركتهم في الاسفار لشاركتهم في الاخبار ولو شاركتهم في العنا لشاركتهم في الهنا ما شأن نفسك وقت الرضا الا كالبعير المعقول فاذا سيبته انطلق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقلب ابن آدم أشد تقلبا من القدر على النار اذا غلت فكم من كان في جمع مع الله أتته الفرقة في نفس واحد وكم من بات في طاعة الله ما طلعت عليه الشمس حتى دخل في القطيعة فالقلب بمثابة العين والعين لا ترى

الدنيا للآخرة فتدبير الدنيا للدنيا هو أن يدبر في أسباب جمعها افتخارا بها واستكثارا وكلما زيد فيها شيأ ازداد غفلة واغترارا وأمارة ذلك أن يشغله عن الموافقة ويؤديه الى المخالفة وتدبير الدنيا للآخرة كمن يدبر المتاجرة والمكاسب والغراسة ليأكل منها حلالا ولينعم بها على ذوي الفاقة افضالا وليصون بها وجهه عن الناس اجمالا وأمارة من طلب الدنيا لله تعالى عدم الاستكثار والادخار والاسعاف منها والايثار وللزاهد في الدنيا علامتان علامة في فقدها وعلامة في وجدها فالعلامة التي في وجدها الايثار منها والعلامة التي في فقدها وجود الراحة منها فالايثار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة منها شكر لنعمة الفقدان وذلك ثمرة الفهم عن الله والعرفان لان الحق تعالى كما قد ينعم عليك بوجودها كذلك قد ينعم بصرفها بل نعمته في صرفها أتم * قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى لنعمة الله علي فيما زوى عني من الدنيا أتم من نعمته علي فيما أعطاني منها * وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله رأيت الصديق رضي الله عنه في المنام فقال لي أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب قلت لا أدري قال علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجود ووجود الراحة منها عند الفقد فقد تبين من هذا ان ليس كل طالب للدنيا مذموما بل المذموم من طلبها لنفسه لا لربه ولدنياه لا لآخرته فالناس اذا على قسمين عبد طلب الدنيا للدنيا وعبد طلب الدنيا للآخرة وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول العارف لا دنياه لان دنياه لآخرته وآخرته لربه وعلى ذلك تحمل أحوال الصحابة والسلف الصالحين رضي الله عنهم فكلما دخلوا فيه من أسباب الدنيا فهم بذلك الى الله منقربون والى رضاه مسببون لا قاصدون بذلك الدنيا وزينتها ووجودلذتها وبذلك وصفهم الحق تعالى بقوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود وقال في الآية الاخرى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وبقوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ونظائر هذه الآيات وما ظنك بقوم اختارهم الله لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولمواجهة خطابه في تنزيله فما أحد من المؤمنين الى يوم القيامة الا وللصحابة في عنقه منن لا تحصى واياد لا تنسى لانهم هم الذين حملوا الينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة والاحكام وبينوا الحلال والحرام وفهموا الخاص والعام وفتحوا الاقاليم والبلاد وقهروا أهل الشرك والعناد وبحق ما قال رسول الله عليه السلام فيهم * أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد وصفهم في الآية الاولى باوصاف الى ان قال يبتغون فضلا من الله ورضوانا فقد أخبر سبحانه وهو المطلع على أسرارهم العالم بهم في سرهم واجهارهم انهم ما ابتغوا بما حاولوه الدنيا ولم يقصدوا بذلك الا وجه الله الكريم وفضله العميم وقد قال سبحانه وتعالى فيهم واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقد أخبر سبحانه انهم لا يريدون سواه ولا يقصدون الا اياه وقال في الآية الاخرى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اشارة الى انه قد طهر أسرارهم وكمل أنوارهم فلذلك لا تأخذ الدنيا قلوبهم ولا تخرش وجه ايمانهم وكيف تأخذ الدنيا من قلوب ملأها بحبه وأشرق فيها أنوار قربه وقد قال سبحانه وتعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلو كان للدنيا على قلوبهم سلطان لكان للشيطان على قلوبهم أيضا اذ لا يمكن الشيطان أن يصل الى قلوب أشرقت فيها أنوار الزهد وكنست من أوساخ الرغبة فقوله سبحانه وتعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان أي ليس لك ولا لشيء من الاكوان على قلوبهم سلطان لان سلطان عظمتي في قلوبهم يمنعهم أن يكون على قلوبهم سلطان لشيء دوني فاثبت الحق سبحانه وتعالى لهم في هذه الآية انهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولم ينف عنهم انهم لا يتجرون ولا يبيعون بل في الآية

بها كلها بل بمقدار العدسة منها وكذلك القلب لا يراد منه اللحمانية بل اللطيفة التي أودعها الله فيه وهي المدركة وجعل الله القلب معلقا في الجانب الايسر كالدلو فان هب عليه هوى الشهوة حركه وان هب عليه خاطر التقوى حركه فتارة يغلب عليه خاطر الهوى وتارة يغلب عليه خاطر التقى حتى يعرفك مرة منه ومرة قهره فمرة يغلب عليه خاطر التقى ليمدحك ومرة يغلب عليه خاطر الهوى ليذمك فالقلب بمثابة السقف فاذا أوقد في البيت نار صعد الدخان الى السقف فسوده فكذلك دخان الشهوة اذا نبت في البدن صعد دخانه الى القلب فسوده اذا ظلمك القوى فارجع الى القوى ولا تخف منه فيسلط عليك مثال من يشهد الضرر من المخلوقين كمن ضرب الكلب بحجر فاقبل الكلب على الحجر يعضه ولا يعرف أن الحجر ليس بفاعل فيكون هو والكلب سواء مثال من يشهد الاحسان من المخلوقين كالدابة اذا رأت سايسها بصبصت ويدنو اليها مالكها فلا تلتفت اليه بالافان كنت عاقلا فاشهد الاشياء من الله عز وجل ولا تشهدها من غيره ليس التائه من تاه في البرية بل التائه من تاه عن سبيل الهدى تطلب العز من الناس ولا تطلبه من الله فمن طلبه من الناس فقد أخطأ الطريق ومن أخطأ الطريق لم يزده سيره الا بعدا فهذا هو التائه حقا

اذا قلت لا اله الا الله طالبك الله بها وبحقها وهو أن لا تنسب الاشياء الا اليه مثال القلب اذا سلمته الى النفس كمن تعلق بغريق فغرق كل واحد منهما ومثال النفس اذا سلمتها للقلب كمن أسلم نفسه الى عوام قوى فسلمها له فلا تكن

ما يدل على جواز البيع والتجارة من فحوى الخطاب اذا تدبرته تدبر أولى الالباب ألم تسمع قوله تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكاة فلو نهاهم عن الغنى لنهاهم عن التسبب المؤدى اليه وهو التجارة والبيع ألا ترى انه قال وايتاء الزكاة فايجابه الزكاة عليهم دليل على ان هؤلاء الرجال التي هذه الاوصاف أوصافهم قد يكون منهم أغنياء ولا يخرجهم عن المدحة غناهم اذا قاموا فيه بحقوق مولاهم قال عبد الله بن عتبة كان لعثمان ابن عفان رضي الله عنه يوم قتل عند خازنه مائة ألف وخمسون ألف دينار وألف ألف درهم وخلف ضياعا بين أربس وخيبر وادي القرى قيمته مائتا ألف دينار وبلغ ثمن مال الزبير رضي الله عنه خمسين ألف دينار وترك ألف فرس وألف مملوك وخلف عمرو بن العاص رضي الله عنه ثلاثمائة ألف دينار وغنى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أشهر من أن يذكر وكانت الدنيا في أكفهم لا في قلوبهم صبروا عنها حين فقدت وشكروا الله حين وجدت وانما ابتلاهم الحق سبحانه وتعالى بالفاقة في أول أمرهم حتى تكملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم فبذلها لهم لانهم لو أعطوها قبل ذلك فلعلها كانت آخذة منهم فلما أعطوها بعد التمكين والرسوخ في اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الامين وامتثلوا قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ومن ههنا نفهم منعهم عن الجهاد في أول الامر بقوله تعالى لهم فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره لانه لو أبيح لهم الجهاد في أول الاسلام فلعل الذي هو حديث عهد بالاسلام لو أطلق لهم الجهاد أن يكون انتصاره لنفسه من حيث لا يشعر حتى كان علي رضي الله عنه اذا ضرب أمهل حتى تبرد تلك الضربة ثم يضرب بعد ذلك خشية أن يضرب عقبها فيكون في ذلك مشاركة من حظه وذلك لمعرفته رضي الله عنه بدسائس النفوس وكمنها وعظيم حراستهم لقلوبهم وتخليص أعمالهم واشفاقهم أن يكون في عملهم شئ لم يرد به وجه الله تعالى فكانت الدنيا في أيدي الصحابة رضي الله عنهم لا في قلوبهم ويدل على ذلك خروجهم عنها وايثارهم بها وهم الذين قال الحق فيهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة حتى انه أهدي لانسان منهم رأس شاة فقال فلان أحق بها مني ثم قال الآخر لها كذلك فما زالوا يتهادونها الى أن عادت الى الذي أهداها أولا بعد ان طافت على سبعة أو نحوهم ويكفيك في ذلك خروج عمر رضي الله عنه عن نصف ماله وخروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن ماله كله وخروج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن سبعمائة بعير موقرة الاحمال وتجهيز عثمان رضي الله عنه جيش العسرة الى غير ذلك من حسن أفعالهم وسني أحوالهم * وتضمنت الآية الاخرى وهي قوله سبحانه وتعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا الاخبار عنهم بسر الصدق الذي لا يطلع عليه أحد الا الحق سبحانه وتعالى وذلك ثناء عظيم وفخر جسيم لان ظواهر الافعال قد تلبس فيها الاحوال فيما يرجع الى علم العباد فتضمنت الآيات التزكية لظواهرهم وسرائرهم واثبات محامدهم ومفاخرهم * فقد تبين من هذا أن تدبير الدنيا على قسمين تدبير الدنيا للدنيا كما هو حال أهل القطيعة الغافلين وتدبير الدنيا للآخرة كحال الصحابة المكرمين والسلف الصالحين ويدلك على ذلك قول عمر رضي الله عنه اني لاجهز الجيش وأنا في صلاتي لان تدبير عمر رضي الله عنه على المعاينة والمواجهة فهو اذا تدبير لله فلذلك لم يكن قاطعا صلاته ولا منقصا من كمالها * فان قلت قد زعمت أن ليس منهم من يريد الدنيا وأنزل الحق سبحانه وتعالى في شأنهم يوم أحد منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة حتى قال بعض الصحابة رضي الله عنهم ما كنا نظن أن أحدا منا يريد الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة * فاعلم وفقك الله للفهم عنه وجعلك من أهل الاستماع منه أنه يجب على كل مؤمن أن يظن بالصحابة الظن الجميل وأن يعتقد فيهم الاعتقاد الفضيل وأن يلتمس لهم أحسن المخارج في أقوالهم وأفعالهم وفي جميع أحوالهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته لان الحق سبحانه

وتعالى لما زاكاهم تزكية مطلقة لم يقيدها بزمن دون زمن وكذلك تزكية رسول الله عليه السلام لهم بقوله أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم * وعن هذه الآية جوابان أحدهما منكم من يريد الدنيا والآخرة كالذين أرادوا الغنيمة ليعاملوا الله بما يأخذونه منها بذلا وايثارا ومنكم من لم يكن ذلك مراده انما كان مراده تحصيل فضل الجهاد لا غير فلم يلوه على الغنائم ولم يلتفت اليها ففيهم الفاضل ومنهم الافضل ومنهم الكامل ومنهم الاكمل * الجواب الثاني أن السيد يقول لعبده ماشاء وعلينا أن نتادب مع عبده لثبوت نسبته منه فليس كما خاطب السيد به عبده ينبغي أن ننسبه للعبد ولا أن نخاطبه به اذ للسيد ان يقول لعبده ماشاء تحريضا لعبده وتنشيطا لهمته وقصده وعلينا أن نلزم حدود الادب معه وان تصفحت الكتاب العزيز وجدت فيه كثيرا منها سورة عبس حتى قالت عائشة رضي الله عنها لو كان رسول الله عليه السلام كاتما شيأ من الوحي لكتم هذه السورة * فقد تقرر من هذا انه ليس اسقاط التدبير الممدوح ترك الدخول في أسباب الدنيا والفكرة في مصالحها ليستعين بذلك على طاعة مولاه والعمل لاخراه وانما التدبير المنهي عنه هو التدبير فيها لها وعلامة ذلك أن يعصي الله تعالى من أجلها وان يأخذها كيف كان من حلها أو غير حلها

(فائدة) اعلم أن الاشياء انما تذم وتمدح بما تؤدي اليه فالتدبير المذموم ماشغلك عن الله وعطلك عن القيام بخدمة الله وصدك عن معاملة الله والتدبير المحمود هو ما ليس كذلك مما يؤديك الى القرب من الله تعالى ويوصلك الى مرضاة الله وكذلك الدنيا ليست تذم بلسان الاطلاق ولا تمدح كذلك وانما المذموم منها ماشغلك عن مولاك ومنعك الاستعداد لاخراك كما قال بعض العارفين كل ماشغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم والممدوح ما أعانك على طاعته وأنهضك الى خدمته وبالجملة ماوقع المدح به فهو ممدوح في نفسه وماوقع الذم به فهو مذموم في نفسه * وقد جاء عن رسول الله عليه السلام الدنيا جيفة قذرة مذرة وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله وماوالاه وعالم أو متعلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا فهذه الاحاديث تقتضي ذمها وتنفير العباد عنها وجاء عنه صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فالدنيا التي لعنها رسول الله عليه السلام هي الدنيا الشاغلة عن الله تعالى ولذلك استثنى في الحديث فقال الا ذكر الله وماوالاه وعالم أو متعلم فبين عليه السلام أن هذا ليس من الدنيا وقوله عليه السلام لا تسبوا الدنيا أي التي توصلكم الى طاعة الله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فنعمت مطية المؤمن فمدحها من حيث كونها مطية لا من حيث انها دار اغترار وجود أو زار واذا قد علمت هذا فقد فهمت أن اسقاط التدبير ليس هو الخروج عن الاسباب حتى يعود الانسان ضيعة فيكون كلا على الناس فيجهل حكمة الله في اثبات الاسباب وارتباط الوسائط * وقد جاء عن عيسى عليه السلام انه مر بمتعبد فقال له من أين تأكل فقال أخي يطعمني فقال أخوك أعبد منك أي أخوك وان كان في سوقه أعبد منك لانه هو الذي أعانك على الطاعة وفرغك لها وكيف يمكن أن ينكر الدخول في الاسباب بعد أن جاءه قوله تعالى وأحل الله البيع وحرم الربا وقوله وأشهدوا اذا تبايعتم وقوله عليه السلام أحل ما أكل المرء من كسب يمينه وان داود نبي الله كان يأكل من كسب يمينه وقوله عليه السلام أفضل الكسب عمل الصانع بيده اذا نصح وقال صلى الله عليه وسلم التاجر الامين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة فكيف يمكن أحدا بعد هذا أن يذم الاسباب لكن المذموم منها ماشغلك عن الله وصدك عن معاملته ولو تركت هذه الاسباب وغفلت عن الله بالتجريد كنت مذموما أيضا وليست الآفات داخلة على المتسببين فحسب بل قد تدخل على المتجردين كما تدخل على المتسببين لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم بل قد يكون دخولها على المتجردين أشد اذ الآفات الداخلة على المتسببين دخول في الدنيا مع عدم الدعوى منهم ظاهرهم كباطنهم مع اعترافهم بالتقصير ومعرفتهم بفضل المتفرغين

في صغر عقلك وكونك لا تعلم ماعليك من الملابس الا كالمولود تكسوه أمه أحسن الملابس وأفخرها وهو لا يشعر وربما دنسها ونجسها فتسرع اليه أمه وتكسوه أخرى لئلا يراه الناس كذلك وتغسل ما تنجس وهو لا يعلم ما فعل به لصغر عقله عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنه قال قيل لي ياعلي طهر ثيابك من الدنس تحفظ بمدد الله في كل نفس فقلت وما ثيابي فقيل لي ان الله كسا لكل حلة المعرفة ثم حلة التوحيد ثم حلة المحبة ثم حلة الايمان ثم حلة الاسلام فمن عرف الله صغر لديه كل شيء ومن أحب الله هان عليه كل شيء ومن وحد الله لم يشرك به شيأ ومن آمن بالله أمن من كل شيء ومن أسلم لله قبل ما يعصيه وان عصاه اعتذر اليه وان اعتذر اليه قبل عذره قال ففهمت من ذلك قوله تعالى وثيابك فطهر يا من عاش وما عاش تخرج من الدنيا وما ذاقت ألذ شيء فيها وهي مناجاة الحق سبحانه ومخاطبته لك فانت ملقى جيفة بالليل فان دفعت عنه فاستغث بالله وقل ياملائكة الله ويارسول ربي فاتتني الغنيمة التي نالوها من لذة المناجاة ووداد المصافاة اذا كان العبد محجبا بطاعته متكبرا على خلقه ممتلئا عظمة يطالب من لطاعة الخلق أن يوفوا حقوقه ولا يوفي حقوقهم فهذا يخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله واذا كان فعل معصية تراه باكيا خاشعا منكسرا ذليلا

يتطارح على أرجل الصالحين و يزورهم معترفا بالتقصير فهذا يرجى له حسن الخاتمة اذا طلبت قارئا وجدت مالا يحصى واذا طلبت طبيبا وجدت كثيرا واذا طلبت فقيها وجدت مثل ذلك وان طلبت من يدلك على الله و يعرفك بعيوب نفسك لم تجد الا قليلا فان ظفرت به فامسكه بكلتا يديك ان أردت أن تنصر فكن كلك ذلة قال الله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ان أردت أن تعطى فكن كلك فاقرا انما الصدقات للفقراء والمساكين تكون في وسط النهر وأنت عطشان تكون معه في الحضرة وأنت تطلب الاتصال كان العباد لم يتواصلوا للآخرة الا بكثرة المأكل والمشرب أو قيل لهم هذه توصلكم الى الآخرة ولكن ما أرخص نفسك عليك لولا هوانها عليك ما عرضتها لعذاب الله تعالى وما أغلاها في طلب الدنيا وجمعها والعجب كل العجب فيمن يسأل المنجم عن حاله ولا يسأل كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ضعفت عن العبادة فرقع عبادتك بالبكاء والتضرع اذا قيل لك من يبكي عليه فقل عبد عوفي فانفق عافيته في معصية الله اذا نمت على تخليط رأيت التخليط في منامك بل ينبغي لك أن تنام على طهارة وتوبة فيفاتح قلبك بنوره ولكن من كان في نهاره لاغيا كان في ليله عن الله ساهيا اذا رأيت وليا لله تعالى فلا تمنعك اجلاله من أن تقعد بين يديه متأدبا وتتبرك به واعلم ان السماء والارض لتتأدب مع الولي كما يتأدب معه بنو آدم فمن فرح بالدنيا اذا جاءته فلقد ثبت حقه وأحق منه من اذا فاتته حزن عليها فذلك كمن جاءته حية لتلدغه ثم مضت وسلمه الله منها فحزن عليها ان لم تضره من علامات الغفلة وصغر

لطاعة الله عليهم وآفات المتجرد ربما كانت عجبا أو كبرا أو رياء أو تصنعا أو تزينا للخلق بطاعة الله استجلابا لما في أيديهم وقد تكون الآفات اعتمادا واستنادا الى الخلق وامارة ذلك ذمه للناس اذا لم يكرموه وعتبه عليهم اذا لم يخدموه فالمنغمس في الاسباب مع الغفلة أحسن حالا من هذا بكثير أحسن الله منا النيات وطهر نفوسنا من الآفات بفضله وكرمه

(فصل) لعلك تفهم من هذا الكلام أن المتجرد والمتسبب في رتبة واحدة وليس الامر كذلك ولن يجعل الله من تفرغ لعبادته وشغل أوقاته به كالداخل في الاسباب ولو كان فيها متقنا فالمتسبب والمتجرد اذا استوى مقامهما من حيث المعرفة بالله فالمتجرد أفضل وما هو فيه أعلى وأكمل ولذلك قال بعض العارفين مثل المتسبب والمتجرد كعبدين للملك قال لاحدهما اعمل وكل من كسب يدك وقال للآخر الزم أنت حضرتي وخدمتي وأنا أقوم لك بما تريد فهذا قدره عند السيد أجل وصنعه به ذلك على العناية به أدل ثم انه قلما تسلم من المخالفة أو تصفو لك الطاعات مع الدخول في الاسباب لاستلزامها لمعاشرة الاضداد ومخالطة أهل الغفلة والعناد وأشد ما يعينك على الطاعات رؤية المطيعين وأشد ما يدخل بك في الذنب رؤية المذنبين كما قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل قال الشاعر

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
فان كان ذا شر فجانبه سرعة * وان كان ذا خير فقارنه تهتدى

والنفس من شأنها التشبه والمحاكاة والتزين بصفات من قارنها والمضاهاة فصحبتك للغافلين معونة لها على وجود الغفلة اذ الغفلة ملائمة لها من أصل الوضع فكيف اذا انضم الى ذلك سبب مخالطة الغافلين وقد تجد من نفسك أيها الاخ وفقك الله انه لا يستوي حالة خروجك من منزلك وعودك اليه وأنت في حين خروجك تغلب عليك الانوار وشرح الصدر والعزم على الطاعة والزهد في الدنيا فتجدك اذا رجعت لست كذلك ولا فيما هنالك وما ذاك الا لدنس المخالطة وانغماس القلوب في ظلمة الاسباب ولو كانت الاسباب والمعاصي اذا ذهبت ذهب أثرها لم تعوق القلوب عن المسير الى الله تعالى بعد انفصالها وجودز والها وانما ذلك كالنار فربما انقضى الايقاد وبقي السواد ويحتاج المتسبب الى شيئين علم وتقوى فالعلم يعلم به الحلال والحرام والتقوى تصده عن ارتكاب الآثام فأما حاجته الى العلم فانه يحتاج الى الاحكام المتعلقة بالمعاملة بيعا وسلما وصرفا وما يتعلق بذلك مع ما يحتاج اليه من أحكام الواجبات والفروض المعينات *(تنبيه واعلام)* أمور ينبغي للمتسببين ان يلتزموها *(الاول)* ربط العزم مع الله تعالى قبل الخروج من المنزل على العفو عن المسيئين اليه اذ الاسواق محل المخاصمة والمقاولة ولذلك قال رسول الله عليه السلام أيعجز أحدكم أن يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني تصدقت بعرضي على المسلمين *(الثاني)* ينبغي له ان يتوضأ ويصلي قبل خروجه ويسأل الله السلامة في مخرجه ذلك فانه لا يدري ماذا يقضى عليه فان الخارج الى السوق كالخارج الى المصاف فينبغي للمؤمن أن يلبس من الاعتصام بالله تعالى والتوكل عليه درعا صائنة تقيه سهام الاعداء ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ومن يتوكل على الله فهو حسبه *(الثالث)* ينبغي له اذا خرج من منزله أن يستودع الله أهله ومسكنه وما فيه فانه حري أن يحفظ ذلك عليه وليذكر قوله تعالى فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وليذكر قوله عليه السلام اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والولد والمال فانه اذا استودعهم الله فحري أن يرجع فيجدهم كما يحب ويحبون * سافر بعضهم وكانت زوجته حاملا فحين سافر قال اللهم اني أستودعك ما في بطنها فتوفيت زوجته في غيبته فلما قدم من سفره سأل عنها فقيل له توفيت وهي حامل فلما كان الليل رأى نورا في المقابر فتبعه فاذا هو في قبرها واذا بالصبي يرضع من ثديها

فهتف به هاتف يا هذا انك استودعتنا الولد فوجدته أما لو استودعتهما الوجد تهما جميعا *(الرابع)* يستحب اذا خرج من منزله أن يقول بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله فان ذلك كان مؤيسا للشيطان منه *(الخامس)* الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وليجعل ذلك شكر النعمة القوة والتقوى الذين وهبهما المولى له وليذكر قوله تعالى الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور فمن أمكنه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بحيث لا يصل اليه أذى فى نفسه أو عرضه أو ماله فهو ممن مكن فى الارض والوجوب متعلق به وان كان لا يصل الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا بالاذى قبل ذلك أو يغلب على ظنه وقوع ذلك بعده سقط عنه الوجوب والانكار حينئذ جائز *(السادس)* أن يكون مشيه بالسكينة والوقار لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وليس ذلك خاصا بالمشى بل المطلوب منك أن تكون أفعالك كلها تقارنها السكينة ويلازمها التثبت *(السابع)* ان يذكر الله تعالى فى سوقه فانه قد جاء عنه عليه السلام ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين ذاكر الله فى السوق كالحى بين الموتى وكان بعض السلف يركب بغلته ويأتى الى السوق فيذكر الله ثم يرجع لا يخرجه الا ذلك *(الثامن)* أن لا يشغله ما هو فيه من المبايعة والمعاش عن النهوض الى الصلاة فى أوقاتها جماعة لانه اذا ضيعها اشتغالا بسببه استوجب المقت من ربه ورفع البركة من كسبه ويستحى أن يراه الحق مشغولا بحظوظ نفسه عن حقوق ربه وقد كان بعض السلف يكون فى صنعته فربما رفع المطرقة فسمع المؤذن فرماها من خلفه لئلا يكون ذلك شغلا بعد ان دعى الى طاعة ربه وليذكر اذا سمع المؤذن قوله تعالى ياقومنا أجيبوا داعى الله وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وقوله تعالى استجيبوا لربكم وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى بيته يخصف النعل ويعين الخادم فاذا نودى للصلاة قام كأنه لا يعرفنا *(التاسع)* ترك الحلف والاطراء لسلعته وقد جاء فى ذلك الوعيد الشديد وقد قال عليه السلام التجار هم الفجار الا من بر وصدق *(العاشر)* كف لسانه عن الغيبة والنميمة وليذكر قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وليعلم أن السامع للغيبة أحد المغتابين فان اغتيب أحد بحضرته فلينكر عليه فان لم يسمع منه فليقم ولا يمنعه الحياء من الخلق من القيام بحق الملك الحق فالله أولى أن يستحى منه وأن يرضى الله ورسوله أحق من أن يرضى الناس والله ورسوله أحق أن يرضوه وقد جاء عنه عليه السلام ان الغيبة أشد من ستة وثلاثين زنية فى الاسلام وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله أربعة آداب اذا خلا الفقير المتسبب منها فلا تعبأ به وان كان أعلم البرية مجانبة الظلمة وايثار أهل الآخرة ومواساة ذوى الفاقة وملازمة الخمس الصلوات فى الجماعة وصدق رضى الله عنه فان بمجانبة الظلمة تقع السلامة فى الدين لان صحبة الظلمة تكسف نور الايمان ومجانبتهم أيضا تكون سببا للنجاة من عقوبة الله تعالى لقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وقوله وايثار أهل الآخرة أن يكون الفقير المتسبب الغالب عليه التردد الى أولياء الله والاقتباس منهم ليتقوى بذلك على كدرة الاسباب فتنفع عليه نفحاتهم وتظهر عليه بركاتهم وربما وصلت اليه فى سببه أمدادهم وحفظه من المعصية ودهم واعتقادهم وقوله رضى الله عنه ومواساة ذوى الفاقة وذلك لانه يجب على العبد أن يشكر نعمة الله عنده فاذا فتح لك فى الاسباب فاذكر من أغلقت عليه أبوابها واعلم أن الله سبحانه وتعالى اختبر الاغنياء بوجدان أهل الفاقة كما اختبر أهل الفاقة بوجود الاغنياء وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا ووجود أهل الفاقة نعمة من الله على ذوى الغنى اذ وجدوا من يحمل عنهم أزوادهم الى الدار الآخرة واذ وجدوا من اذا أخذ منهم

العقل ان تعول هما هل يقع أولا وتترك ان تعول هما لا بد من وقوعه وتصبح تقول كيف يكون السعر غدا وكيف يكون الحال فى هذه السنة والطاف الله تأتى من حيث لا تعلم والشك فى الرزق شك فى الرازق وما سرق السارق وما غصب الغاصب الا رزقه فما دمت حيا لا ينقص من رزقك شيا كفى بك جهلا ان تعول الهم الصغير وتترك الهم الكبير على هم هل تموت مسلما أو كافرا على هم هل أنت شقى أو سعيد على هم النار الموصوفة بالابدية التى لا انتهاء لها على هم أخذ الكتاب باليمين أو بالشمال هذا هو الهم الذى يعال لا تعل هم لقمة تاكلها أو شربة تشربها أيستخدمك الملك ولا يطعمك اتكون فى دار الضيافة وتضيع ان أحب ما يطاع الله به الثقة به لان تكون خاملا فى الدنيا خير لك من ان تكون خاملا يوم القيامة هذه صفاوة العمر وغربلته يا من لا يأكل الحنطة الا مغربلة لا بد لك ان تغربل عملك فلا يبقى لك الا ما أخلصت فيه وما عدا ذلك يرمى وأكثر ما يخاف عليك مخالطة الناس ولا يكفيك ان تسمع باذنك بل تشاركهم فى الغيبة وهى تنقض الوضوء وتفطر الصائم كفى بك جهلا ان تغار على زوجتك ولا تغار على ايمانك كفى بك خيانة ان تغار عليها لاجل نفسك ولا تغار على قلبك لاجل ربك اذا كنت تحفظ ما هو لك لا تحفظ ما هو لربك اذا رأيت من يصبح مهموما لاجل الرزق فاعلم انه بعيد من الله فانه لو قال لك مخلوق لا تشتغل غدا بسبب وأنا أعطيك خمسة دراهم ونقت به وهو مخلوق فقير أما تيكتفى بالغنى الكريم الذى ضمن لك رزقك مع أجلك أنشد انسان

أخذ الله منهم والله هو الغني الحميد فلو لم يخلق الفقير فكيف كان تتقبل منهم صدقاتهم وأين كانوا يجدون من يأخذها منهم ولذلك قال عليه السلام من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله تعالى الا طيبا كان كأنما يضعها في كف الرحمن يربيها له كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى أن اللقمة لتعود مثل جبل أحد ولذلك كان من اشراط الساعة أن لا يجد الرجل من يقبل صدقته وقوله وملازمته الخمس في جماعة وذلك أن التقصير المتسبب لما فاته التخلي والتجرد لعبادة الله تعالى فيدخل مدخل الخصوص بدوام الخدمة وملازمة الموافقة فينبغي أن لا تفوته ملازمة الخمس في الجماعة لتكون ملازمته لها سببا لتجديد الانوار وموجبا لوجود الاستبصار وقد قال عليه السلام تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة وفي الحديث الآخر بسبع وعشرين جزأ ولو شرع للعباد أن يصلي كل انسان في حانوته وداره لتعطلت المساجد التي قال فيها الحق سبحانه وتعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولان في ملازمة الصلاة جماعة اجتماع القلوب وتناصرها والتئامها ورؤية المؤمنين واجتماعهم وقد قال صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة ولان الجماعة اذا اجتمعت انبسطت بركات قلوبهم على من حضرهم وامتدت أنوارهم لمن شهدهم وكان اجتماعهم وتضامهم كالجيش اذا اجتمع وتضام كان ذلك سببا في وجود نصرته وهو أحد التأويلين في قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص * (استلحاق) * وعليك أيها المؤمن بغض طرفك من حين خروجك الى سبيك الى حين ترجع ولتذكر قول الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم وليعلم أن بصره نعمة من الله عليه فلا يكن لنعم الله كفورا وأمانة من الله عنده فلا يكن لها خائنا وليذكر قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله تعالى ألم يعلم بان الله يرى واذا أردت أن ترى فاعلم أنه يرى وليعلم أنه اذا غض بصره فتح الله بصيرته جزاء وفاقا فمن ضيق على نفسه في دائرة الشهادة وسع الله عليه في دائرة الغيب وقال بعضهم ما غض أحد بصره عن محارم الله الا وجده نورا في قلبه يجد حلاوة ذلك * (انعطاف) * اعلم أن التدبير مع الله عز وجل عند أولي البصائر انما هو مخاصمة للربوبية وذلك لانه اذا نزل بك أمر تريد رفعه أو رفع عنك أمر تريد وضعه أو هممت بامر أنت عالم أنه متكفل بذلك وقائم به اليك كان ذلك منازعة للربوبية وخروجا عن حقيقة العبودية واذكر ههنا قوله سبحانه وتعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ففي هذه الآية توبيخ للانسان لما غفل عن أصل نشأته وخاصم منشئه وغفل عن سر بدايته ونازع مبدأه وكيف يصلح لمن خلق من نطفة أن ينازع الله في أحكامه وأن يضاده في نقضه وابرامه فاحذر رحمك الله التدبير مع الله * واعلم أن التدبير من أشد حجب القلوب عن مطالعة الغيوب وانما التدبير للنفس ينبع من وجود الموادة لها ولو غبت عنها فناء وكنت بالله بقاء لغيبك ذلك عن التدبير لنفسك أو بنفسك وما أقبح عبدا جاهلا بأفعال الله غافلا عن حسن نظر الله ألم تسمع قوله تعالى قل كفى بالله فاين الاكتفاء بالله لعبد مدبر مع الله ولو اكتفى بتدبير الله له لاقتطعه ذلك عن التدبير مع الله * (تنبيه واعلام) * اعلم أن التدبير أكثر طريانه على العباد المتوجهين وأهل السلوك من المريدين قبل الرسوخ في اليقين ووجود القوة والتمكين وذلك لان أهل الغفلة والاساءة قد أجابوا الشيطان في الكائر والمخالفات واتباع الشهوات فليس للشيطان حاجة أن يدعوهم الى التدبير ولو دعاهم اليه لاجابوه بسرعة فليس هو أقوى اسبابه فيهم انما يدخل بذلك على أهل الطاعة والمتوجهين لعجزه عن أن يدخل من غير ذلك عليهم فرب صاحب ورد عطله عن ورده أو عن الحضور مع الله تعالى فيه هم التدبير والفكرة في مصالح نفسه وربما استضعفه الشيطان فالقى اليه دسائس التدبير ليعكر عليه صفاء وقته لانه حاسد والحاسد أشد ما يكون لك حسدا اذا صفت لك الاوقات وحسنت

منك الحالات ثم ان وساوس التدبير ترد على كل أحد من حيث حاله فمن كان تدبيره في تحصيل كفاية يومه أو غده فعلاجه أن يعلم أن الله تعالى قد تكفل له برزقه لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وسيأتي بسط القول في أمر الرزق بعد هذا في باب منفرد ان شاء الله تعالى ومن كان تدبيره في دفع ضرر العدو الذي لا طاقة له به فليعلم أن الذي يخافه ناصيته بيد الحق تعالى وأنه لا يصنع الا ما صنعه الحق فيه وليذكر قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقوله تعالى أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه وقوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم واصغ بسمع قلبك الى قوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ولتعلم أن الحق تعالى أولى من استجير به فاجاره قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه وأولى من استحفظ فحفظ لقوله تعالى فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وان كان التدبير من أجل دين حاث لا وفاء لها ولا صبر لارباب افاعلم أن الذي يسر عليك بلطفه من أعطاك هو الذي ييسر بلطفه الوفاء عنك هل جزاء الاحسان الا الاحسان وأف لعبد يسكن لما في يده ولا يسكن لما في يد الحق تعالى له وان كان التدبير من أجل عائلة تركتهم وراء ظهرك لا شيء يقوم بهم فاعلم ان الذي يقوم بهم بعد مماتك هو الذي يقوم بهم في حضورك وغيبتك في حياتك واسمع ما قال رسول الله عليه السلام اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل فالذي ترجوه امامك هو الذي ترجى لما وراءك واسمع قول بعضهم ان الذي وجهت وجهي له هو الذي خلفت في أهلي لم يخف عنه حالهم ساعة وفضله أوسع من فضلي وأن الله أرحم بهم منك فلا تهتم بمن هو في كفالة غيرك وان كان تدبيرك واهتمامك من أجل مرض نزل بك تخاف أن تتطاول ساعاته وتمتد أوقاته فاعلم أن للبلايا والاسقام أعمارا فكما لا يموت حيوان الا عند انقضاء عمره كذلك لا تنقضي بلية حتى ينقضي ميقاتها واذكر قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * وكان ولد لبعض المشايخ فتوفي أبوه وبقي الولد بعده فامتسكت عليه امداد الوقت وكان لابيه أصحاب قد تفرقوا بالعراق فتفكر أي أصحاب أبيه يقصد ثم أجمع عزمه على أن يقصد أوجههم عند الناس فلما قدم عليه أكرمه وأجل محله ثم قال يا سيدي وابن سيدي ما الذي جاء بك قال توقفت على أسباب الدنيا فاريد أن تحدث لي عند أمير البلدة لعل أن يجعلني على جهة من جهاته فيكون فيها تمشية حالي فاطرق الشيخ مليا ثم رفع رأسه اليه وقال ليس في قدرتي أن أجعل أول الليل سحرا أين أنا منك اذا ولیت حكم العراقين فخرج ولد ذلك الشيخ من عنده متغيظا ولم يفهم ما قال له الرجل الصالح فاتفق أن طاب الخليفة من يعلم ولده فدل عليه وقيل له ولد فلان فاحضر لتعليم ولد الخليفة فمكث يعلم ولد الخليفة مدة التعليم ويجالسه بعد ذلك حتى تكملت أربعين عاما فتوفي الخليفة واستخلف ولده الذي كان هذا معلما له فولاه حكم العراقين وان كانت الفكرة لاجل زوجة أو امة فقدتها كانت توافقك في أحوالك وتقوم بمهمات أشغالك فاعلم أن الذي يسرها لك لم ينفد فضله واحسانه لم ينقطع وهو قدير على أن يهبك من منته ما تزيد حسنا ومعرفة على ما فقدت فلا تكن من الجاهلين ووجوه التدبير لا تتعدد عاجلتها فاستقصاء وجوهها وعاجلاتها لا سبيل اليه لانتشارها وعدم انحصارها ومتى أعطاك الله الفهم عرفك كيف تصنع *(تنبيه واعلام)* اعلم ان التدبير انما يكون من النفس لوجود الحجاب فيها ولو سلم القلب من مجاورتها وصين من محادثتها لم تطرقه طوارق التدبير *وسمعت شيخنا أبا العباس المرسي رضي الله عنه يقول ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء اضطربت فارساها بالجبال فقال والجبال أرساها كذلك لما خلق النفس اضطربت فارساها بجبال العقل انتهى كلام الشيخ أبي العباس رضي الله عنه فاي عبد توفر عقله واتسع نوره تنزلت عليه السكينة من ربه فسكنت نفسه عن الاضطراب ووثقت

بالمولى كيف لا تحبه ما أحد يحبك فينفعك وكل من يحبك انما يحبك لنفسه وانما تحبك الزوجة لتجني منك مطايب العيش والملابس وكذلك الولد يقول أشد بك ظهري فاذا كبرت ولم تبق فيك قوة ولا بغية رفضوك لو انقطعت عن الخلق لفتح لك باب الانس به تعالى لان الاولياء قهروا أنفسهم بالخلوة والعزلة فسموا من الله وأنسوا به فان أردت ان تستخرج مرآة قلبك من الاكدار فارفض ما رفضوا وهو الانس بالخلق وانس جرى لفلان واتفق لفلان ولا تقعد على أبواب الحارات فمن استعد استمد فاذا هيأت لك الاستعداد فتح لك باب الاستمداد ومن أحسن قرع الباب فتح له فرب طالب أساء قرع الباب فرد لسوء أدبه ولم يفتح له واكثر ما أوتي العباد من قلة الصمت فلو تقربت الى الله لسمعت مخاطبته على الدوام في سوقك وبيتك ولكن من استيقظ شهد ومن نام لم تسمع اذناقلبه ولم تشهد بصيرته ولكن الحجاب مرخى ولو ان العباد فطنوا لم يقبلوا الا على الله ولم يجلسوا الا بين يديه ولم يستفتوا غيره لقوله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان أفتوك لان الخواطر الالهية تأتي من الله تعالى فهي موافقة وربما أخطأ المفتي والقلب لا يخطئ وهذا مخصوص بالقلوب الطاهرة وانما يستفتي عالم ولا علم لمن غفل عن الله تعالى (كانوا رضي الله عنهم) لا يدخلون في شيء

بنفوسهم ولكن من الله وبالله وان المسافة بعدت بين الاولياء والصحابة فجعلت الكرامات جبرا لما فاتهم من قرب المتابعة التامة فان من الناس من يقول ان الاولياء لهم الكرامات والصحابة لم يكن لهم ذلك بل كانت لهم الكرامات العظيمة بصحبتهم له صلى الله عليه وسلم وأى كرامة أعظم منها واعلم ان كل صلاة لا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر لا تسمى صلاة لقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأنت تخرج من الصلاة ومن مناجاة الحق سبحانه وتعالى فى قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين ومناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم بقولك السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وهذا فى كل صلاة ثم تخرج الى الذنوب بعد هذه النعم التى أنعم الله بها عليك (عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى) رضى الله تعالى عنه انه كان يحضر عنده فقهاء الاسكندرية والقاضى فجاؤا مرة مختبرين للشيخ فتفرس فيهم وقال يا فقهاء هل صليتم قط فقالوا يا شيخ وهل يترك أحدنا الصلاة فقال لهم قال الله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين فهل أنتم كذلك اذا مسكم الشر لا تجزعوا واذا مسكم الخير لا تمنعوا قال فسكتوا جميعا فقال لهم الشيخ فما صليتم هذه الصلاة قط ان تفضل عليك بالتوبة فمن فضله سبحانه وتعالى تبت اليه وانك تذنب سبعين سنة فتتوب اليه فى نفس واحد فيمحو ما عملته فى تلك المدة لتائب من الذنب كمن لا ذنب له فالمؤمن كما اذا ذكر ذنبه حزن وكما اذا ذكر طاعته فرح قال لقمان الحكيم المؤمن له قلبان يرجو باحدهما ويخاف بالآخر يرجو قبول

بولى الاسباب فكانت مطمئنة أى ساكنة لاحكام الله ثابتة لاقداره ممدودة بتأييده وأنواره خارجة عن التدبير والمنازعة للمقادير مسلمة لاولاها العالمة بانه يراها أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد فاستحقت أن يقال لها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وفى هذه الآية خصائص عظيمة ومناقب لهذه النفس المطمئنة جسيمة منها أن النفوس ثلاثة أمارة ولوامة ومطمئنة فلم يواجه الحق سبحانه وتعالى واحدة من الانفس الثلاث الا المطمئنة فقال فى الامارة ان النفس لامارة بالسوء وفى اللوامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وأقبل على هذه بالخطاب فقال يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى *(الثانى)* تكنيته اياها والتكنية فى لغة العرب تجليل فى الخطاب ونفر عند أولى الالباب *(الثالث)* مدحه اياها بالطمأنينة ثناء منه عليها بالاستسلام اليه والتوكل عليه *(الرابع)* وصفه هذه النفس بالطمأنينة والمطمئن هو المنخفض من الارض فلما انخفضت بتواضعها وانكسارها أثنى عليها مولاها اظهارا لفخرها لقوله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله *(الخامس)* قوله تعالى ارجعى الى ربك راضية مرضية فيه اشارة الى أنه لا يؤذن للنفس الامارة واللوامة بالرجوع الى الله تعالى رجوع الكرامة بل انما ذلك للنفس المطمئنة لاجل ما هى عليه من الطمأنينة قيل لها ارجعى الى ربك راضية مرضية فقد أبحنا لك الدخول الى حضرتنا والخلود فى جنتنا فكان فى ذلك تحريض للعبد على مقام الطمأنينة ولا يصل اليه أحد الا بالاستسلام الى الله تعالى وعدم التدبير معه *(السادس)* قوله ارجعى الى ربك ولم يقل الى الرب ولا الى الله فيه اشارة الى ان رجوعها اليه من حيث لطف ربوبيته لا الى قهر الاهيته فكان ذلك تانيسا لها وملاطفة وتكرما وموادة *(السابع)* قوله تعالى راضية أى عن الله فى الدنيا باحكامه وفى الآخرة بجوده وانعامه فكان فى ذلك تنبيه للعبد انه لا يحصل له الرجوع الى الله الا مع الطمأنينة بالله والرضا عن الله والافلا وفى ذلك اشارة الى انه لا يحصل أن يكون مرضيا عند الله فى الآخرة حتى يكون راضيا عنه فى الدنيا * فان قلت هذه الآية تقتضى أن يكون الرضا من الله نتيجة الرضا من العبد والآية الاخرى تدل على ان الرضا من العبد نتيجة الرضا من الله عنه *فاعلم ان لكل آية ما أثبتت فلا خفاء فى الجمع بين الآيتين وذلك ان قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه يدل من وجود ترتيبه على ان الرضا من العبد نتيجة لرضا من الله والحقيقة تقضى بذلك لانه لو لم يرض عنهم أولا لم يرضوا عنه آخرا والآية الاخرى تدل على ان من رضى عن الله فى الدنيا كان مرضيا عنده فى الآخرة وذلك بين لا اشكال فيه *(الثامن)* قوله تعالى مرضية وذلك مدحة عظمى لهذه النفس المطمئنة وهى أجل المدح والنعوت ألم تسمع قوله تعالى ورضوان من الله أكبر بعد ان وصف نعيم أهل الجنة أى رضوان من الله عنهم فيها أكبر من النعيم الذى هم فيه *(التاسع)* قوله تعالى فادخلى فى عبادى فيه بشارة عظمى للنفس المطمئنة اذ نوديت ودعيت الى ان تدخل فى عباده وأى عباد هؤلاء هم عباد التخصيص والنصر لا عباد الملك والقهر هم العباد الذين قال الله فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقال تعالى الا عبادك منهم المخلصين لا العباد الآخرون الذين قال فيهم ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا فكان فرح هذه النفس المطمئنة بقوله فادخلى فى عبادى أشد من فرحها بقوله تعالى وادخلى جنتى لان الاضافة الاولى اليه تعالى والاضافة الثانية الى جنته *(العاشر)* قوله تعالى وادخلى جنتى فيه اشارة الى ان هذه الاوصاف التى اتصفت بها النفس المطمئنة هى التى أهلتها الى أن تدعى أن تدخل فى عباده والى أن تدخل فى جنته جنة الطاعة فى الدنيا والجنة المعلومة فى الآخرة والله أعلم *(فائدة)* قد تضمنت الآية صفتين كل واحد منهما تدل على هدم قواعد التدبير وذلك انه سبحانه وتعالى وصف هذه النفس التى خصصها بهذه الخصائص التى ذكرناها باوصاف منها الطمانينة والرضا وهما لا يكونان الا مع اسقاط

عمله ويخاف ان لا يقبل منه لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا من أراد الجمع على الله فعليه بقيام أوامر الله اذا اطلعت على زوجتك بخيانة فانك تغضب عليها فكذلك (٣٢) نفسك قد خانتك في عمرك واجمع العقلاء على ان الزوجة اذا خانت لا يأوي جهابل

تطلقها فطلاق نفسك سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال عليه الصلاة والسلام تقوى الله وحسن الخلق فقيل له فما أكثر ما يدخل الناس النار فقال عليه الصلاة والسلام الاجوفان الفم والفرج فاغسل قلبك بالندم على ما فاتك من الله عز وجل غلطوا والله في النوائح على زوجة أو زوج أو والد أو ولد بل كان من حقهم أن يقيموا النوائح على فقدانهم تقوى الله من قلوبهم تفهقه بالضحك كانك جاوزت الصراط وعثرة النيران اذلم يكن بينك وبين الله ورع يحجزك عن المعاصي اذا خلوت والافضع التراب على رأسك لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يكن له ورع يحجزه عن معاصي الله اذا خلا لم يعبأ الله بشئ من عمله لاشئ يخجلك يوم القيامة مثل درهم انفقته في حرام ليس الشان فيمن يرفق بك اذا وافقته بل الشان فيمن يرفق بك اذا خالفته ومما يخاف عليك موالاة الذنوب ليستدرجك فيها ويمكنك منها قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ان كانت معك عناية ينفعك القليل وان لم تكن لك عناية لم ينفعك الكثير لو كشف عنك الحجاب ورفعها لرأيت كل شئ ناطقا مسبحا لله تعالى ولكن النقص فيك والحجاب منك ما أكثر احتراسك على بدنك وما أرخص دينك عليك لو قيل لك

التدبير اذ لا تكون النفس مطمئنة حتى تترك التدبير مع الله تعالى ثقة منها بحسن تدبيره لها لانها اذا رضيت عن الله استسلمت له وانقادت لحكمه واذعنت لامره فاطمانت لربوبيته وقرت بالاعتماد على الاهيته فلا اضطراب اذ ما أعطاها من نور العقل يثبتها فلا حركة لها خامدة لاحكامه مفوضة له في نقضه وابرامه *(فائدة)* اعلم ان سر خلق التدبير والاختيار ظهور قهر القهار وذلك انه سبحانه وتعالى أراد أن يتعرف الى العباد بقهره فخلق فيهم تدبيرا واختيارا ثم فسح لهم بالحجبة حتى أمكنهم ذلك اذ لو كانوا في وجود المواجهة والمعاينة لم يمكنهم التدبير والاختيار كما لا يمكن الملأ الاعلى ذلك فلما دبر العباد واختاروا توجه بقهره الى تدبيرهم واختيارهم فزلزل أركانهم وهدم بنيانهم فلما تعرف للعباد بقهر مراده علموا انه القاهر فوق عباده فما خلق الارادة فيك لتكون لك الارادة ولكن لتدحض ارادتك ارادته فتعلم انه ليس لك ارادة كذلك لم يجعل التدبير فيك ليكون لك دائما فيك وانما جعله فيك لتدبر وتدبر فيكون ما يدبر لا ما تدبر ولذلك قيل لبعضهم بماذا عرفت الله قال بنقض العزائم

(فصل) كنا قد وعدنا بانا نفرد للتدبير في شأن الرزق بابا وذلك ان أكثر دخول التدبير على القلوب من جهته فاعلم ان سلامة القلوب من التدبير في شان الرزق منة عظمى لا يسلم منها الى الموفقون الذين صدقوا الله في حسن الثقة فاطمانت قلوبهم اليه وتحققوا بالتوكل عليه حتى لقد قال بعض المشايخ احكموا لي أمر الرزق ولا عليكم من سائر المقامات وقال بعض المشايخ أشد الهموم هموم الاقتضاء * وتبيين ما قال هذا الشيخ ان الله تعالى خلق هذا الآدمي محتاجا الى مدد يمسك بنيته ويمد قوته لما كانت الحرارة الغريزية التي هي فيه تحلل أجزاء بدنه كان هذا الغذاء تطبخه المعدة فتأخذ خلاصته فتعود جزء بدنه خلفا لما احللته الحرارة الغريزية منه ولو شاء الحق تعالى لاغنى وجود الآدمي عن المدد الحسي وتناول الاغذية ولكن أراد سبحانه وتعالى أن يظهر حاجة الحيوان الى وجود التغذية واضطراره الى ذلك وغناه سبحانه وتعالى عما هو الحيوان محتاج اليه فلذلك قال سبحانه وتعالى قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم فتمدح سبحانه وتعالى بوصفين أحدهما انه يطعم غيره لان كل العباد آخذ من احسانه وآكل من رزقه وامتنانه والآخر انه لا يطعم لانه المقدس عن الاحتياج الى التغذية بل هو الصمد والصمد هو الذي لا يطعم وانما خص الحق تعالى الحيوان بالافتقار الى التغذية دون غيره من الموجودات لانه سبحانه وتعالى وهب الحيوان من صفاته ما لو تركه من غير فاقة لادعى أو ادعى فيه فاراد الحق سبحانه وتعالى وهو الحكيم الخبير أن يوجه الى ما كل ومشرب وملبس وغير ذلك ليكون تكرار الحاجة منه سببا لخمود الدعوى عنه أو فيه (فائدة) اعلم ان الحق تعالى أراد أن يجعل الحاجة لهذا النوع وهو الحيوان من الآدمي وغيره اما ليعرفه أو ليعرف به الا ترى ان الحاجة باب الى الله وسبب يوصلك اليه ألم تسمع قوله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فجعل الفقر الى الله سببا يؤدي الى الوصول اليه والدوام بين يديه ولعلك أن تفهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه أي من عرف نفسه بحاجتها وافتقارها وذاتها وفاقتها ومسكنتها عرف ربه بعزه وسلطانه وجوده واحسانه الى غير ذلك من أوصاف الكمال لاسيما هذا النوع من الآدمي فان الحق سبحانه وتعالى كرر فيه أسباب الحاجة وعدد فيه أنواع الفاقة لانه محتاج الى صلاح معاشه ومعاده وانهم ههنا قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد أي من أمر دنياه وأخراه فلكرامته عند الله كرر أسباب الحاجة فيه ألم تر ان لاصناف الحيوان غنية باصوافها أو باوبارها وأشعارها عن لباس دثارها وغنية بمراضها وأوكارها عن أن تتخذ بيتا لقرارها (فائدة أخرى) وهو ان الحق تعالى أراد أن يختبر هذا الآدمي فاحوجه لامور شتى لينظر ايدخل في استجلابها بعقله وتدبيره أو يرجع الى الله في قسمته وتقديره (فائدة أخرى) وهو انه سبحانه وتعالى أراد أن يتحبب الى هذا العبد فلما أورد عليه أسباب الفاقة

ان هذا الطعام مسموم لامتنعت منه ثم لو حلف لك بالطلاق انه ليس بمسموم لتوقفت عنه بل لو غسلت الوعاء الذى هو فيه مرارا لتنفرت منه نفسك فلم لا تكون كذلك فى دينك وكره الله عليك من اياد أكثر من أمك انها اذا أخذتك وأنت صغير تليسك أحسن الملابس فان وسخها تخلع عليك ثيابا أخر فى الوقت وأنت تأتى الى مملكة مزينة ليس فيها موضع شبر الا ويصلح للسجود عليه تتلف ثوبك وتوسخه بالمعصية تجلى عليك المجاسن فتجعل فيها ما يكدرها من المعصية ليس كل من صحب الاكابر اهتدى بصحبتهم فلا تجعل صحبة المشايخ علة فى أمنك فمن اغتر بالله فقد عصاه لانك أمنت عقوبته كما يقول الجاهل صحبت سيدى فلانا ورأيت سيدى فلانا ويدعون دعاوى كلها كاذبة باطلة بل كان ينبغى لهم أن يزيدهم صحبة المشايخ خوفا ووجلا فقد صحبت المشايخ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أكثر وجلا ومخافة وربما كان الغنى دفعا والفقر جعلا ان الفاقة تحوجك أن تتضرع الى الله والفاقة تجمعك على الله خير من غنى يقطعك عنه كما أمرت أن تعرض عن المعصية أمرت أن تعرض عن عصى وتدعوله فى الغيبة والناس اليوم على العكس وما عسى أن ينفعك صومك وصلاتك وأنت تقع فى عرض أخيك المسلم قال صلى الله عليه وسلم جددوا ايمانكم بقول لا اله الا الله فدل ذلك على أنه يحصل له غبار المعصية ودنس المخالفة وما كل غش يطهره الماء بل رب غش لا يطهره الا النار كالذهب اذا كان فيه الغش فكذلك العصاة من هذه الامة لا يصلحون لدخول

و رفعها عنه وجد العبد لذلك حلاوة فى نفسه وراحة فى قلبه فاوجب له ذلك تجديد الحب لربه قال صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فكلما تجددت النعم تجدد له من الحب بحسبها (فائدة أخرى) وهو انه سبحانه وتعالى أراد أن يشكر فلذلك أورد الفاقة على العباد وتولى رفعها ليقوموا له بوجود شكره وليعرفوه باحسانه وبره قال الله تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور (فائدة أخرى) وذلك أنه تعالى أراد أن يفتح للعباد باب المناجاة فكلما احتاجوا الى الاقوات والنعم توجهوا اليه برفع الهمم فشرفوا بمناجاته ومخاطبته ولولم تسقهم الفاقة الى المناجاة لم يفقهها عقول العموم من العباد ولولا الحاجة لم يستفتح بابها الاعقول أهل الوداد فصار ورود الفاقة سببا للمناجاة والمناجاة شرف عظيم ومنصب من الكرامة جسيم ألا ترى ان الحق سبحانه وتعالى أخبر عن موسى عليه السلام بقوله سبحانه وتعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال على رضى الله عنه والله ما طلب الا خبزا يأكله ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله فانظر رحمك الله كيف سأل من ربه ذلك لعلمه انه لا يملك شيأ غيره وكذلك ينبغى للمؤمن أن يكون كذلك يسأل الله تعالى ما قل وجل حتى قال بعضهم انى لأسأل الله فى صلاتى حتى ملح عجينى ولا يصدنك أيها المؤمن عن طلب ما تحتاج اليه من الله قلة ذلك فانه ان لم تسأله فى القليل لم تجد بايعطيك ذلك غيره والمطلب وان كان قليلا فقد صار لفتحه باب المناجاة جليلا حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله لا يكن همك فى دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا عن ربك وليكن همك مناجاة مولاك وفى هذه الآية فوائد (الفائدة الاولى) وهو أن يكون المؤمن طالبا من ربه ما قل وجل وقد ذكرناه آنفا (الفائدة الثانية) انه صلى الله عليه وسلم نادى متعلقا باسم الربوبية لانه المناسب فى هذا المكان لان الرب من رباك باحسانه وغذاك بامتنانه فكان فى ذلك استعطاف لسيده اذ ناداه باسم الربوبية التى ما قطع عنه عوائدها ولا حبس فوائدها (الفائدة الثالثة) قوله انى لما أنزلت الى من خير فقير ولم يقل انى الى الخير فقير وفى ذلك من الفائدة انه لو قال انى الى خيرك أو الى الخير فقير لم يتضمن انه قد أنزل رزقه ولم يهمل أمره فانى بقوله انى لما أنزلت الى من خير فقير ليدل على انه واثق بالله عالم بانه لا ينساه فكانه يقول رب انى أعلم انك لا تهمل أمرى ولا أمر شئ مما خلقت وانك قد أنزلت رزقى فسق لى ما أنزلت لى كيف تشاء على ما تشاء محفوفا باحسانك مقرونا بامتنانك فكان فى ذلك فائدتان فائدة الطلب وفائدة الاعتراف بان الحق سبحانه وتعالى قد أنزل رزقه ولكنه أبهم وقته وسببه وواسطته ليقع اضطرار العبد مع الاضطرار تكون الاجابة لقوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه ولو تعين السبب والوقت والوسائط لم يقع للعباد الاضطرار الذى وجوده عند ابهامها فسبحان الاله الحكيم والقادر العليم (الفائدة الرابعة) تدل الآية على ان الطلب من الله تعالى لا يناقض مقام العبودية لان موسى عليه السلام له الكمال فى مقام العبودية وبعد ذلك طلب من الله فدل على ان مقام العبودية لا يناقضه الطلب فان قلت ان كان مقام العبودية لا يناقضه الطلب فكيف لم يطلب ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم حين رمى به فى المنجنيق وتعرض له جبريل عليه السلام فقال ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قال سله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فاكتفى بعلم الله تعالى به عن اظهار الطلب منه * فالجواب ان الانبياء صلوات الله عليهم يعاملون فى كل موطن بما يفهمون عن الله انه اللائق به ففهم ابراهيم عليه السلام ان المراد به فى ذلك الموطن عدم اظهار الطلب والاكتفاء بالعلم فكان بما فهمه عن ربه وكان هذا الان الحق سبحانه أراد ان يظهر سره وعنايته به للملا الأعلى الذين لما قال لهم انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون فاراد الحق تعالى ان يظهر سر قوله انى أعلم ما لا تعلمون يوم زج

الذين طلقتهم الدنيا بل كن من الذين طلقوها وفارقوها قبل انفراقهم فتلك اذا آثرت الدنيا على الآخرة كمن له زوجتان احداهما عجوزة خائنة والاخرى شابة وفية فاذا آثرت العجوزة الخائنة على الشابة الوفية افما تكون أحق ربما قضى عليك بالذنب ليخرج منك الكبر والعجب يصلى الرجل ركعتين فيعتمد عليهما ويركن اليهما ويعجب بهما فهذه حسنة أحاطت بها سيآت وآخر يفعل المعصية فتكسبه الذلة والانكسار ويديم المسكنة والافتقار فهذه سيئة أحاطت بها حسنات كفى بك جهلا نظرك الى صغير اساءة غيرك وتعاميك عن كبير اساءتك لا تنتقد على الناس بظاهر الشرع ولا تتفكر عليهم فلو خوطبوا اليوم بما كانت عليه الصحابة والسلف الصالح لم يستطيعوا لان أولئك حجج الله على خلقه مثال الذئب عند أرباب البصائر كيفية أدخلت الكلاب خراطيمها فيها أرأيت اذا غمس رجل فمه فى جيفة افما تعيب عليه فاذا كان الحق سبحانه قد جعل ميزانا للبيع والشراء فما تجعل ميزانا للحقائق المتنجس القدم لا يصلح للمحاضرة فكيف بمن تنجس فمه من خان هان قيمة اليد ان خمسمائة دينار قطعت فى ربع دينار اذا خانت ومن تجرأ على صغيرة وقع فى كبيرة اعرف كما ان نفسك ولا تثق بها اذا قالت لك تزور فلانا

بابراهيم عليه السلام فى المنجنيق كانه يقول يا من قال أتجعل فيها من يفسد فيها كيف رأيتم خليلى نظرتم الى ما يكون فى الارض من صنع أهل الفساد كنمرود ومن ضاهاه من أهل الفساد وما نظرتم الى ما يكون فيها من أهل الصلاح والرشاد كما كان من ابراهيم عليه السلام ومن تابعه من أهل الوداد وأما موسى صلوات الله عليه فانه علم ان مراد الحق تعالى منه فى ذلك الوقت اظهار الفاقة وابداء لسان المسئلة فقام بما يقتضيه وقته ولكل وجهة هو موليها فكل على بينة وهداية وتوفيق من الله ورعاية (الفائدة الخامسة) انظر الى طلب موسى عليه السلام من ربه وجود الرزق ولم يواجهه بالطلب بل اعترف بين يدى الله بوصف الفقر والفاقة وشهد له سبحانه وتعالى بالغنى لانه اذا عرف نفسه بالفقر والفاقة عرف ربه بالغنى والملاءة وهذا من بسط المناجاة وهى كثيرة فتارة يجالسك على بساط الفاقة فتناديه ياغنى وتارة على بساط الذلة فتناديه ياعزيز وتارة على بساط العجز فتناديه ياقوى وكذلك فى بقية الاسماء فاعترف موسى عليه السلام بالفقر والفاقة الى الله تعالى فكان فى ذلك تعريض للطلب وان لم يطلب وقد يكون التعريض للطلب بذكر أوصاف العبد من فقره الى الله تعالى وحاجته وقد يكون التعريض بذكر أوصاف السيد من وجوده واحديته كما جاء فى الحديث أفضل دعائى ودعاء الانبياء من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له فجعل الثناء على الله تعالى دعاء لان فى الثناء على السيد الغنى بذكر أوصاف كماله تعرضا لفضله ونواله كما قال الشاعر

كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الكريم ولا مساء
اذا أثنى عليه المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

وقال الله تعالى حاكيا عن يونس عليه السلام فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ثم قال سبحانك وتعالى مخبرا عن نفسه فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ويونس عليه السلام لم يطلب صريحا ولكن لما أثنى على ربه عز وجل واعترف بين يديه فقد أظهر الفاقة اليه فجعل الحق تعالى ذلك طلبا * (الفائدة السادسة) * وكان من حقها أن تكون أولى ان موسى عليه السلام فعل المعروف مع ابنتى شعيب عليه السلام ولم يقصد منهما أجرا ولا طلب منهما جزاء بل لما سقى لهما أقبل على ربه فطلب منه ولم يطلب منهما وانما طلب من مولاه الذى مهما طلب منه اعطاه والصوفى من يوفى من نفسه ولا يستوفى لها وانما فى هذا المعنى شعر

لا تشتغل بالعتب يوما للورى * فيضيع وقتك والزمان قصير
وعلام تعتبهم وأنت مصدق * ان الامور جرى بها المقدور
هم لم يوفوا للاله بحقه * أتريد توفية وأنت حقير
فاشهد حقوقهم عليك وقم بها * واستوف منك لهم وأنت صبور
واذا فعلت ٧ فاشهد بعين من * هو بالخفايا عالم وخبير

فموسى عليه السلام وفى من نفسه ولم يستوف لها فكان له عند الله الجزاء الاكمل وعجل له سبحانه فى الدنيا زائدا على ما ادخره له فى الآخرة ان زوجه احدى الابنتين وجعله صهر النبيه شعيب عليه السلام وآنسه به حتى جاء أوان رسالته فلا تجعل معاملتك الا مع الله تعالى أيها العبد تكن من الرابحين ويكرمك بما أكرم به العباد المتقين * (الفائدة السابعة) * انظر الى قوله سبحانه وتعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل ففى ذلك دليل على انه يجوز للمؤمنين أن يؤثروا الظلال على الضواحى وبارد الماء على سخنه وأسهل الطريقين على أشقهما وأوعرهما ولا يخرجه ذلك عن مقام الزهد ألا ترى ان الحق سبحانه وتعالى أخبر عن موسى عليه السلام انه تولى الى الظل أى قصده وجاء اليه * فان قلت قد جاء عن بعضهم انه دخل عليه فوجد قد انبسطت الشمس على قلته التى يشرب منها فقيل له فى ذلك فقال انى لما وضعتها لم يكن شمس وانى لاستحى

فربما رحت الى نار تتاح وترمى نفسك فيها عمدا هذا زمان اجتماع قل ما تجلس مجلسا الا وتعصى الله فيه فكثير من السلف آثروا الجلوس في بيوتهم وتركوا صلاة الجماعة فان طالبتك النفس بالخروج فاشغلها بالقعود في الدار بشئ من الطاعة فان الغيبة أشد من ثلاثين زنية في الاسلام ولكن الكلاب لا ترقد على الحيطان بل على المزابل من أراد أن ينظر الى أمثلة القلوب فلينظر الى الديار فدار خربت وقد بقيت مبولة للبوالين وقلب كالدار العامرة وقلب كالدار الخراب لا تظهر شمسك حتى تعامل الله فتصدق كل يوم ولو ببصل درهم حتى يكتبك الله في ديوان المتصدقين واتل من القرآن كل يوم ولو آية حتى يكتبك الله في ديوان التالين وصل في الليل ولو ركعتين حتى يكتبك الله مع القائمين واياك تغلط وتقول من عنده قوت يوم بيوم كيف يتصدق قال تعالى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله فمثال المسكين اذا تصدق عليه كالمطية تحمل زادك للآخرة من أراد النهايات فعليه بتصحيح البدايات من صدق مع الله كفاه الله مضرة الاعداء وحمل عنه مؤنة الارداء قد هان كل الهوان من احتاج الى الخلق أتظن ان الدواء حلوا كلا ان لم تهجم عليه هجما لم يحصل لك الشفاء فاهجم على التوبة ولا تغلبنك حلاوة المعصية واذا رأيت نفسك متطلعة الى الشهوة فاهرب الى الله واستعث به فانه ينجيك منها بدل ما تقول أين أصحاب الخطوة أين الاولياء أين الرجال قل أين البصيرة هل يصلح للمتلطخ بالعذرة أن يرى بنيت السلطان عن الشيخ مكين الدين الاسمر رضي الله عنه انه قال كنت بالاسكندرية فرأيت شيئا قد طلعت مع

أن أمشي بحظ نفسي * فاعلم رحمك الله ان هذا حال عبد يتطلب الصدق من نفسه ويمنعها مناها ليشغلها بذلك عن الغفلة عن مولاها ولو اكتمل مقامه لرفع الماء عن الشمس قاصدا بذلك قيامه بحق نفسه التي أمر الله تعالى أن يقوم بها لا استجلابا لحظه ولكن ليقوم بحق ربه في نفسه وقد قال سبحانه وتعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ولذلك كان عند الفقهاء اذا نذر المشي الى مكة شرفها الله حافيا جاز له ان يتنعل ولا يلزمه الحفاء لانه ليس للشرع في متاعب العباد قصد خاص ولم تات الشرائع بمنع الملاذ للعباد وكيف وهي مخلوقة من أجلهم * قال الربيع بن زياد الحارثي لعلي رضي الله عنه اسعدني على أخي عاصم قال ما باله قال لبس العباء يريد النسك فقال علي رضي الله عنه علي به فاتي به مؤتزرا بعباءة متردیا باخرى شعث الرأس واللحية فعبس في وجهه وقال ويحك أما استحيت من أهلك امارحمت ولدك أترى ان الله تعالى أباح لك الطيبات وهو يكره ان تنال منها شيأ بل أنت أهون على الله أما سمعت من الله يقول في كتابه والارض وضعها للانام الى قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان افترى من الله أباح هذا للعباد الا ليبتذلوه ويحمدوا الله عليه فيثيبهم وان ابتذالك نعم الله بالفعل خير منه بالمقال قال عاصم فما بالك في خشونة مأكلك وخشونة ملبسك قال ويحك ان الله فرض على أئمة الحق ان يقدروا أنفسهم بضعفة الناس فقد تبين لك من علي رضي الله عنه ان الحق تعالى لم يطالب العبد بعدم تناول الملذوذات وانما طالبهم بالشكر عليها اذا تناولوها فقال تعالى كلوا من رزقكم واشكروا له وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله وقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ولم يقل لا تاكلوا وانما قال كلوا واعملوا * فان قلت الطيبات في هاتين الآيتين المراد بها الحلال اذ هو الطيب باعتبار نظر الشرع * فاعلم انه يمكن أن يكون المراد بالطيبات الحلال لانه طيب باعتبار انه لم يتعلق به اثم ولا مذمة ولا حجبة ويمكن ان يكون المراد بالطيبات الملذوذات من المطاعم ويكون سرا باحتها والامر باكلها لجد متناولها لذاذتها فتنشط همته للشكر فيقوم بوجود الخدمة ويرعى حق الحرمة * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله قال لي شيخي يا بني برد الماء فان العبد اذا شرب الماء السخن قال الحمد لله بكرازة واذا شرب الماء البارد فقال الحمد لله استجاب كل عضو فيه بالحمد لله ثم قال وأما الذي دخل علينا فوجد قد انبسطت الشمس على قلته فقيل له ألا ترفعها فقال حين وضعتها لم تكن شمس وأنا أستحي أن أمشي لحظ نفسي فانه صاحب حال لا يقتدى به (انعطاف) قد مضى قولنا في سر احواج الحيوان وهذا الآدمي خصوصا الى وجود تغذية ممدة له فالآن نتحدث في تكفل الحق تعالى بهذه التغذية وقيامه بايصالها فاعلم ان الحق تعالى لما أحوج الحيوان الى ممد ممده وتغذية يكون بها حفظ وجوده وكان هذان الجنسان اللذان هما الانس والجان خلقا ليأمرهما بعبادته ويطالبهما بطاعته وموافقته فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فبين تعالى انه انما خلق هذين الجنسين لعبادته أي ليأمرهم بها كما تقول لعبدك ما اشتريتك أيها العبد الا لتخدمني أي لآمرك بالخدمة فتقوم بها وقد يكون العبد مخالفا متأبيا ولم يكن شراؤك اياه لذلك وانما كان ليقوم بمهماتك ولقضاء حاجاتك وأهل الاعتزال يجعلون الآية على ظاهرها فيقولون الحق خلقهم للطاعة والكفر والمعصية من قبل أنفسهم وقد أبطلنا هذا المذهب قبل * وفي تبيين سر الخلق والايجاد اعلام للعباد وتنبيه لما ذا خلقوا كي لا يجهلوا مراد الله تعالى فيهم فيضلوا عن سبيل الهداية ويهملوا وجود الرعاية وقد جاء ان أربعة من الملائكة يتجاوبون كل يوم فيقول أحدهم يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر ويا ليتهم اذا خلقوا اعملوا لما ذا خلقوا ويقول الآخر ويا ليتهم اذا علموا لما ذا خلقوا اعملوا بما علموا ويقول الرابع ويا ليتهم اذا لم يعملوا بما علموا

الشمس فتعجبت من ذلك فدنوت منه فاذا شاب قد خط عذاره قد غلب نوره على نور الشمس فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له من أين
فقال صليت الصبح فى المسجد الاقصى ببيت المقدس وأصلى الظهر عندكم والعصر بمكة والمغرب بالمدينة فقلت له تكون ضيفى
قال لا سبيل الى ذلك ثم ودعنى وانصرف من أكرم مؤمنا فكأنما أكرم الله ومن آذى مؤمنا فقد آذى سيده ومولاه فاياك أن تؤذى مؤمنا فان نفسك قد امتلأت بمساويها يكفيك جملك ما مثالك الا كالبصلة اذا قشرت خرجت كلها قشورا اذا أردت تنظيف الماء قطعت عنه أسبابه الخبيثة فمثال الجوارح كالسواقى تجرى الى القلب فاياك أن تسقى قلبك بالردى كالغيبة والنميمة والكلام السيئ والنظر الى ما لا يحل وغير ذلك فان القلب لا يحبه ما خرج منه وانما يحبه ما قام فيه فاستنارة القلب باكل الحلال والذكر وتلاوة القرآن وصونه عن النظر الى الكائنات المباحات والمكروهات والمحرمات فلا تطلق صائد بصرك الا لمزيد علم أو حكمة عوض ما تقول هذه المرآة صدئت قل عينى بها رمد يكون بك حب الرياسة والجاه وغيرهما وتقول الشيخ ما يجذب فلو بنا قل العائق منى لو اعتدت فى أول يوم لما احتجت الى حضور مجلس ثان وانما احتجت الى التكرار لقوة صداء قلبك حتى تكون لكل جلسة صقلة عليك بالحوالة على مولاك واترك من لا يستطيع أن ينفع غيره اقطع اياسك واقترانها من الخلق وجه رجاءك الى الملك الحق وانظر ماذا يملك وماذا عمل معك من أول نشأتك ما صنع معك الا جودا واحسانا وانظر ماذا صنعت

تابوا مما عملوا فبين الحق تعالى أنه ما خلق العباد لانفسهم انما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه فانك لا تشترى عبدا ليخدم نفسه انما تشتريه ليكون لك خادما ففى هذه الآية حجة على كل عبد اشتغل بحظ نفسه عن حق ربه وبهواه عن طاعة مولاه ولذلك سمع ابراهيم من أدهم رحمة الله عليه وهو كان سبب توبته لما خرج متصيدا هاتفا يهتف به من قربوس سرجه يا ابراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ثم سمع الثانية يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فالفقيه من فهم سر الايجاد فعمل له وهذا هو الفقه الحقيقى الذى من أعطيه فقد أعطى المنة العظمى وفيه قال مالك رحمه الله ليس الفقه بكثرة الرواية وانما الفقه نور يضعه الله فى القلب * وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول الفقيه من انفقأ الحجاب عن عينى قلبه فمن فقه عن الله سر الايجاد بانه ما أوجده الا لطاعته وما خلقه الا لخدمته كان هذا الفقه منه سببا لزهده فى الدنيا واقباله على الاخرى واهماله لحظوظ نفسه واشتغاله بحقوق سيده مفكرا فى المعاد قائما بالاستعداد حتى قال بعضهم لو قيل لى غدا تموت لم أجد مستزادا وقال بعضهم وقد قالت له أمه يا بنى مالك لا تاكل الخبز فقال بين مضغ الخبز واكل الفتيت قراءة خمسين آية فهؤلاء قوم أذهل عقولهم عن هذه الدار ترقب هول المطلع وأهوال يوم القيامة وملاقاة جبار السموات والارض فغيبهم ذلك عن الاستيقاظ لملاذ هذه الدار والميل الى مسراتها حتى قال بعض العارفين دخلت على بعض المشايخ بالمغرب فى داره فقمت لاملأ ماء للوضوء فقام الشيخ ليملأ عنى فابيت فابى الا أن يملأ وأمسك طرف الحبل بيده وفى الدار عنده بجانب البئر شجرة زيتون قد خيمت على الدار فقلت ياسيدى لم لا تربط طرف هذا الحبل بهذه الشجرة فقال أوههنا شجرة ان لى فى هذه الدار ستين عاما ما أعرف ان فى هذه الدار شجرة * فافتح رحمك الله سمعك لهذه الحكاية وأمثالها تعلم ان لله عبادا أشغلهم به عن كل شئ ولم يشغلهم عنه شئ أذهل عقولهم عظمته وأدهش نفوسهم هيبته فاستقر فى أسرارهم وده ومحبته جعلنا الله منهم ولا أخرجنا عنهم ومثل هذه الحكاية كان رجل بالصعيد من الاولياء بمسجد طلب منه أحد من يخدمه ان يأخذ جريدة من احدى نخلتين كانتا فى المسجد فاذن له فقال ياسيدى من أيهما آخذ من الصفراء أو من الحمراء فقال يا بنى ان لى بهذا المسجد أربعين عاما لا أعرف الصفراء من الحمراء * ويحكى عن بعضهم انه كان يعبر عليه أولاده فى داره فيقول من هؤلاء أولاد من هؤلاء فيقال له أولادك فكان لا يعرفهم حتى يعرف بهم لاشتغاله بالله تعالى وكان بعض المشايخ يقول فى أولاده اذا رآهم هؤلاء الايتام وان كان أبوهم حيا والاسترسال عن هذه اللامعة يخرجنا عن غرض الكتاب *(انعطاف)* لما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون علم سبحانه وتعالى ان لهم بشريات تطالبهم بمقتضاها تشوش عليهم صدق التوجه الى العبودية فضمن لهم الرزق كى لا يتفرغوا لخدمته وكى لا يشتغلوا بطلبه عن عبادته فقال ما أريد منهم من رزق أى ما أريد منهم ان يرزقوا أنفسهم فقد كفيتهم ذلك بحسن كفايتى وبوجود ضمانى وما أريد أن يطعمون لانى أنا القوى الصمد الذى لا يطعم ولذلك عقبه بقوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين أى ما أريد منهم أن يرزقوا أنفسهم لانى أنا الرزاق لهم وما أريد أن يطعمون لانى أنا ذو القوة ومن له القوة فى ذاته غنى عن ان يطعم أو يطعم فتضمنت هذه الآية الضمان للعباد بوجود أرزاقهم لقوله تعالى ان الله هو الرزاق والزم المؤمنين أن يوحدوه فى رزقه وان لا يضيفوا شيأ منه الى خلقه وان لا يضيفوا ذلك الى أسبابهم وأن لا يسندوه الى اكتسابهم * وقد قال الراوى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثر سماء كانت من الليل فقال أتدرون ماذا قال ربكم قلنا لا يا رسول الله قال قال ربكم أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى فاما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا أو بنجم كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب ففى هذا الحديث فائدة عظمى للمؤمنين وبصيرة كبرى للموقنين وتعليم الادب مع رب العالمين ولعل هذا الحديث يكون أيها المؤمن ناهيا لك عن التعرض الى علم الكواكب

معه فلا ترى الا جفاء وعصيانا ما أكثره والاتك للمخلوقين وما أقل موالاتك لله جوارحك غنمك وأنت الراعي والله هو المالك فان رعيتها في المرعى الخصيب حتى أرضيت المالك استوجبت الرضا وان رعيتها في المرعى الوخيم حتى أعجف أكثرها ثم جاء الذئب فاخذ بعضها استوجبت العقوبة من المالك فان شاء انتقم منك وان شاء عفا عنك اما ثواب الى الجنة واما عقابك بالنار فان صرفتها فيما يرضاه كنت ساعيا في طريق الجنة والا كنت ساعيا في طريق النار فهذه موازين الحكمة فزن بها عقلك كما تزن بها الاشياء المحسوسات فان أردت ان تعرف كيف تمر على الصراط فانظر حالك في الاسراع الى المساجد فيكون حذاء الذي يأتي المسجد قبل الاذان ان يمر على الصراط كالبرق الخاطف والذي يأتي في أول الوقت يمر عليه كاجاويد الخيل وههنا صراط الاستقامة لا يشهد بالابصار ولكن تشهد القلوب قال الله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولم يشر الا الى موجود فمن أضاءت له الطريق يتبعها ومن كانت طريقه مظلمة لم يشهدها فيبقى متحيرا فان كنت قد أطلقت سمعك وبصرك ولسانك برهة من عمرك فقيد الآن ما أطلقت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وذلك لانهم

واقترانها وما تعالك ان تدعي وجود تأثيرها * واعلم ان الله تعالى فيك قضاء لا بد ان ينفذه وحكما لا بد ان يظهره فما فائدة التجسس على علم علام الغيوب وقد نهانا سبحانه أن نتجسس على عباده فقال ولا تجسسوا فكيف لنا ان نتجسس على غيبه ولقد أحسن من قال

خبرا عني المنجم اني * كافر بالذي قضته الكواكب

عالم أن ما يكون وما كا * ن قضاء من المهيمن واجب

(فائد) اعلم ان مجيء هذه الصيغة على بناء فعال يقتضي المبالغة فيما سيقت له فرزاق أبلغ من رازق لان فعال في باب المبالغة أبلغ من فاعل فيمكن أن تكون هذه المبالغة لتعداد أعيان المرزوقين ويمكن أن تكون لتعداد الرزق ويحتمل أن يكون المراد هما جميعا (فائدة) أخرى ترجع الى علم البيان * اعلم ان الدلالة على المعنى المقصود به وجود الثناء بالصفة أبلغ من الدلالة عليه بالفعل فقولك زيد محسن أبلغ من قولك زيد يحسن أو قد أحسن وذلك لان الصفة تدل على الثبوت والاستقرار والافعال أصل وضعها التجدد والانقراض فلذلك كان قوله تعالى ان الله هو الرزاق أبلغ من قوله ان الله هو يرزق ولو قال ان الله هو يرزق لم يفد الا اثبات الرزق له ولم يفد حصر ذلك فيه فلما قال ان الله هو الرزاق أفاد ذلك انحصار الرزق فيه فكانه لما قال ان الله هو الرزاق فقد قال لا رازق الا الله * الآية الثانية في أمر الرزق قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم تضمنت هذه الآية الكريمة فائدتين (الاولى) ان الخلق والرزق مقترنان أي كما سلمتم لله بانه الخالق من غير دعوى منكم للخالقية معه فكذلك سلموا له انه الرزاق ولا تدعوا ذلك معه أي كما انفرد فيكم بالخلق والايجاد كذلك هو المنفرد بالرزق والامداد فقرنهما للاحتجاج على العباد ونهيا لهم ان يشهدوا رزقه من غيره واحسانه من خلقه وانه تعالى كما خلق من حيث لا وسائط ولا أسباب كذلك هو الرزاق من غير ان يتوقف رزقه على واسطة أو وجود سبب (الفائدة الثانية) انه أفاد تعالى بقوله الله الذي خلقكم ثم رزقكم ان الرزق قد أمضى شانه وأبرم أمره وليس للقضاء فيه امر يتجدد في الاحيان ولا يتعاقب بتعاقب الزمان وانما يتجدد ظهوره لا ثبوته والرزق يطلق على قسمين على ما سبق في الازل قضاؤه وعلى ما ظهر بعد وجود العبد ابداؤه والآية تحتمل الوجهين فان كان المراد ما سبقت به الاقدار فثم لترتيب الاخبار وان كان المراد رزق الاظهار فهي تنبيه للاعتبار وسر الآية التي سيقت من أجله اثبات الالهية لله تعالى كان يقول يا من يعبد غير الله الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فهل تجدون هذه الاوصاف لغيره أم يمكن أن تكون لاحد من خلقه فمن انفرد بها ينبغي ان يعترف بالاهيته ويوحد في ربوبيته ولذلك قال بعد ذلك هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون * الآية الثالثة في أمر الرزق قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى * وفي هذه الآية فوائد * (الاولى) * يجب أن تعلم ان النبي عليه السلام وان كان هو المخاطب بهذه الآية فحكمها وعدها متعلق بامته أيضا فكل عبد مقول له وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى واذا فقد فهمت هذا فاعلم ان الله أمرك أيها العبد أن تامر أهلك بالصلاة لانه كما يجب عليك ان تصل أرحامهم باسباب الدنيا والايثار بها كذلك يجب عليك ان تصلهم بان تهديهم الى طاعة الله تعالى وتجنبهم وجود معصيته وكما كان أهلك أولى ببرك الدنيوي كذلك هم أولى ببرك الاخروي ولانهم رعيتك وقد قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وقال تعالى في الآية الاخرى وانذر عشيرتك الاقربين كما قال ههنا وأمر أهلك بالصلاة * (الفائدة الثانية) * انظر الى أنه تعالى أمره عليه السلام في الآية ان يامر أهله قبل ان يامرهو نفسه بالاصطبار عليها ليعلمك ان الآية سيقت للامر بامر الاهل بالصلاة وان غير هذا

سبقوا في الدنيا بالعبادات وأنت تترك الجماعة وتصلي وحدك واذا صليتها نفرتها نفر تها نفر الديك وهل يهدى للملوك الا ما حسن وانتخب فما سبق الفقراء الى الجنة الا لانهم سبقوا الى خدمة المولى في الدنيا والمراد بالفقراء الصبر الذين صبروا على مر الفاقة حتى ان أحدهم ليفرح

بالشدة كما تفرح أنت بالرخاء فدخول الفقراء الجنة يدل على تحضيضهم على الفاقة كفى بك جهلا ان تتردد الى مخلوق وتترك باب الخالق

فقد ارتكبت المعاصى من كل جانب أفلا تكون محزونا على نفسك والعجب كل العجب من عبد يقبل على صحبة نفسه ولا يأتيه

الشر الا منها ويترك صحبة الله ولا يأتيه الخير الا منه فان قيل كيف الصحبة لله فاعلم ان صحبة كل شئ على حسبه فصحبة الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وصحبة الملكين أن يعلمهما الحسنات وصحبة الكتاب والسنة أن يعمل بهما وصحبة السماء بالتفكر فيها وصحبتك الارض بالاعتبار لما فيها وليس من لازم الصحبة وجود الرتبة فالمعنى فى صحبة الله صحبة أياديه ونعمه فمن صحب النعم بالشكر وصحب البلايا بالصبر وصحب الاوامر بالامتثال والنواهى بالانزجار والطاعة بالاخلاص فقد صحب الله تعالى فاذا تمكنت الصحبة كانت خلة اياك أن تقول ذهب الخير وانطوى بساطه فلسنا نريد من يقنط الناس من رحمة الله ويؤيسهم منه تعالى ففى زبور داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ارحم ما أكون بعبدى اذا أعرض عنى فرب مطيع هلك بالعجب ورب مذنب غفر له بسبب كسر قلبه عن الشيخ مكين الدين الاسمر انه قال رأيت بالاسكندرية عبدا مع سيده وعليهما لواء قد أطبق ما بين السماء والارض فقلت يا ترى هذا اللواء للسيد أم للعبد فتبعتهما حتى اشترى له سيده حاجة لا وفارقه فلما ذهب العبد ذهب اللواء معه فعلمت أنه ولى من أولياء الله تعالى فجئت الى سيده وقلت له أتبيعنى هذا العبد فقال لماذا فما زال بى

انما جاء بطريق التبع وان كان مقصودا فى نفسه لكنه لما علم العبد انه مامور فى نفسه بالصلاة علما لا شك فيه فاراد الحق تعالى ان ينبه العباد على ما علمهم ان يعملوه فامر رسوله بذلك ليسمعوا بذلك فيتبعوا فيكونوا لذلك مسارعين على القيام به مثابرين * (تنبيه) * اعلم انه يجب عليك ان تامر أهلك بالصلاة من زوجة أو أمة أو ابنة أو غير ذلك ولك ان تضربهم على تركها وليس لك عند الله من حجة ان تقول أمرت فلم يسمعوا فلو علموا انه شق عليك ترك الصلاة كما يشق عليك اذا أفسدوا طعاما أو تركوا شيا من أمر مهماتك ما تركوا بل اعتادوا منك أن تطالبهم بحظوظ نفسك ولا تطالبهم بحقوق الله تعالى فلاجل ذلك أهملوها ومن كان محافظا على الصلاة وعنده أهل لا يصلون وهو غير آمر لهم بها حشر يوم القيامة فى زمرة المضيعين للصلاة فان قلت انى أمرتهم فلم يفعلوا ونصحتهم فلم يقبلوا وعاقبتهم على ذلك بالضرب فلم يكونوا له فاعلين فكيف أصنع فالجواب انه ينبغى لك مفارقة من يمكن مفارقته ببيع أو طلاق والاعراض عمن لا يمكن بينونته عنك بذلك وأن تهجرهم فى الله فان الهجر فى الله يوجب الصلابة * (الفائدة الثالثة) * قوله تعالى واصطبر عليها فيه اشارة الى أن فى الصلاة تكليفا للنفوس شاقا عليها لانها تاتى فى أوقات ملاذ العباد واشغالهم فتطالبهم بالخروج عن ذلك كله الى القيام بين يدى الله تعالى والفراغ عما سوى الله ألا ترى ان صلاة الغداة تاتيهم فى وقت منامهم فى وقت ألذ ما يكون المنام فيه فطلب الحق منهم ترك حظوظهم لحقوقه ومرادهم لمراده ولذلك كان فى نداء الصبح خاصا به الصلاة خير من النوم مرتين وأما صلاة الظهر فانها تاتيهم فى وقت قيلولتهم ورجوعهم من تعب أسبابهم وأما صلاة العصر فانها تاتيهم وهم فى متاجرهم وصنائعهم منهمكون وعلى أسباب دنياهم مقبلون وأما صلاة المغرب فانها تاتى فى وقت تناولهم لاغذيتهم وما يقيمون به وجود بنيتهم وأما صلاة العشاء فانها تاتى وقد كثرت عليهم متاعب الاسباب التى كانوا فيها فى بياض نهارهم فلذلك قال سبحانه واصطبر عليها وقال حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقد قال وأقيموا الصلاة ومما يدلك على ان فى القيام بالصلاة تكاليف العبودية وان القيام بها على خلاف ما تقتضيه البشرية قول الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فجعل الصبر والصلاة مقترنين اشارة الى أنه محتاج فى الصلاة الى الصبر صبرا على ملازمة أوقاتها وصبرا على القيام بواجباتها ومسنوناتها وصبرا يمنع القلوب فيها من غفلاتها ولذلك قال الله تعالى بعد ذلك وانها لكبيرة الا على الخاشعين فافرد الصلاة بالذكر ولم يفرد الصبر به اذ لو كان كذلك لقال وانه لكبير فذلك يدل على ما قلناه أولان الصبر والصلاة مقترنان متلازمان فكان أحدهما هو عين الآخر كما قال فى الآية الاخرى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله وقال تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها فافهم والصلاة شأنها عظيم وأمرها عند الله جسيم ولذلك قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل أى الاعمال أفضل قال الصلاة لوقتها وقال صلى الله عليه وسلم المصلى يناجى ربه وقال أقرب ما يكون العبد من ربه فى السجود ورأينا أن الصلاة اجتمع فيها من العبادات ما لم يجتمع فى غيرها منها الطهارة والصمت واستقبال القبلة واستفتاح بالتكبير والقراءة والقيام والركوع والسجود والتسبيح فى الركوع والسجود والدعاء فى السجود الى غير ذلك فهى مجموع عبادات عديدة لان الذكر بمجرده عبادة والقراءة بمجردها عبادة وكذلك التسبيح والدعاء والركوع والسجود والقيام فكل واحد منها بمجرده عبادة ولولا خشية الاطالة لبسطنا الكلام فى أسرارها وشوارق أنوارها وهذه اللمعة ههنا كافية والحمد لله (الفائدة الرابعة) قوله تعالى لا نسألك رزقا نحن نرزقك أى لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك وكيف نامرك بذلك ونكفلك الى أن ترزق نفسك وأنت

حتى ذكرت له أمره فقال لي ياسيدي الذي تطلبه أنت أنا أولى به واعتقه وكان وليا كبيرا فمنهم من يعرف الاولياء بالشم من غير وجود طيب ومنهم من يعرف بالذوق اذا رأى وليا ذاق طعم الحلاوة في فمه واذا رأى صاحب قطيعة ذاق طعم المرارة في فمه فمن لم يترك المحرمات لم ينفعه القيام بالواجبات من لم يحتم لم ينفعه الدواء ما قل وبرك مال وقعت فيه أيدي الناهبين فهذا والله عمر الغافلين منهوب مثال الدنيا كعجوز جذماء برصاء سترت بثوب حرير فالمؤمن ناظر ومتفرج عنها لانكشافها له وما لبس أحد لباسا أزين من لباس الدعوى بان يقول في الخاصة أنت مثلي وأنت يصلح لك ان تكلمني ومن أنت حتى أكلمك فاول من هلك بذلك ابليس فاياك وهذا ولو كان أعرج أجذم أحرب فلا تحقره لحرمة لا اله الا الله في قلبه وحسن ظنك بكل أحد تفلح أتحسب أن حسن الخلق هو أن يكون الانسان حسن الملتقى ومن أكرم الناس وضيع حقوق الله ليس هذا بخلق حسن بل لا تكون ممدوحا بحسن الخلق حتى تكون قائما بحقوق الله تعالى وقائما باحكامه مستسلما لاوامر الله مجتنبا لنواهيه فمن منع نفسه معاصي الله وأدى حقوق الله فقد حسن خلقه ما سلط الله عليك ألسنة العباد الا لترجع اليه لا تزال لك قيمة عند الله حتى تعصي فاذا عصيت فلا قيمة لك التقوى هي تركك معصية الله حيث كنت لا تراك أحد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا شرب الماء قال الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا وهو صلى الله عليه وسلم مقدس عن الذنوب ولكن تواضعا منه وتعليما وكان يمكنه ان يقول

لا تستطيع ذلك وكيف يحمد بنا أن نأمرك بالخدمة ولا نقوم لك بالقسمة فكأنه سبحانه لما علم ان العباد ربما يشوش عليهم طلب الرزق في دوام الطاعة وحجبهم ذلك عن التفرغ للموافقة خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم ليسمعوا فقال وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك أي قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيئان شئ ضمنه الله لك فلا تتبعه وشئ طلب منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل ما يتنبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد ان يشتغل بما طلب منه عما ضمن له اذا كان سبحانه قد رزق أهل الجحود فكيف لا يرزق أهل الشهود واذا كان قد أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لا يجري رزقه على أهل الايمان فقد علمت أيها العبد ان الدنيا مضمونة لك مضمون لك منها ما يقوم بأودك والآخرة مطلوبة منك أي العمل لها بقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك حتى قال بعضهم ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا وأتى قوله تعالى نحن نرزقك على هذه الصيغة ليدل ذلك على الاستقرار والدوام لان قولك أنا أكرمك ليس كقولك أنا أكرمتك لان قولك أنا أكرمك يدل على اكرام بعد اكرام وقولك أنا أكرمتك لا يدل الا على ان ثم اكراما كان وقوعه فيما مضى من غير ان يدل على التكرار والدوام فقوله تعالى نحن نرزقك أي رزقا بعد رزق لا نعطل عنك منتا ولا نقطع عنك نعمتنا وكما تفضلنا على العباد بالايجاد فكذلك أيضا قنا لهم بدوام الامداد ثم قال تعالى والعاقبة للتقوى كأنه تعالى يقول نحن نعلم اذا تبتلت لخدمتنا وتوجهت لطاعتنا معرضا عن أسباب الدنيا تاركا للدخول فيها والاشتغال بها لا يكون رزقك فيها رزق المترفين ولا عيشك عيش المتوسعين ولكن اصطبر على ذلك فان العاقبة للتقوى كما قال تعالى في أول الآية الاخرى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى فان قلت لم اذا خص التقوى بالعاقبة وأهل التقوى لهم مع العاقبة العيشة الطيبة في الدنيا لقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فاعلم انه تعالى يخاطب العباد على حسب عقولهم فكأنه يقول أيها العباد ان نظرتم ان لاهل الغفلة والعدوان بداية فلاهل التقوى والايمان نهاية والعاقبة للتقوى فخاطب العباد على حسب ما تصل اليه عقولهم وتدركه افهامهم كما جاء الله أكبر وان كان غيره لم يشاركه في الكبرياء لكن لما كانت النفوس قد تشهد كبرياء الآثار كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس فكأنه يقال لها ان كان ولا بد وشهدت لشئ كبرياء فالله عز وجل أكبر منه وأكبر من كل كبير كما جاء الصلاة خير من النوم فلو قيل ليس في النوم خير قالت النفوس قد أدركت لذاذته وراحته فسلم لها ما أدركت ثم قيل لها ما دعوناك اليه خير مما هو خير عندك الصلاة خير من النوم لان ما ملت اليه من المنام عرض يفنى وما دعوناك اليه معاملة يبقى جزاؤها ما يفنى وما عند الله خير وأبقى (فائدة جليلة) اعلم ان الآية علمت أهل الفهم عن الله كيف يتطلبون رزقه فاذا توقفت عليهم أسباب المعيشة أكثروا من الخدمة والموافقة لان هذه الآية دلتهم على ذلك ألا ترى انه قال تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك فجاء الوعد بالرزق بعد أمرين أحدهما أمر الاهل بالصلاة والآخر الاصطبار عليها ثم بعد ذلك قال نحن نرزقك ففهم أهل المعرفة بالله انه اذا توقفت عليهم أسباب المعيشة قرعوا باب الرزق بمعاملة الرزاق لا كاهل الغفلة والعمى اذا توقفت عليهم أسباب الدنيا ازدادوا كدحا عليها وتهافتا فيها بقلوب غافلة وعقول عن الله ذاهلة وكيف لا يكون أهل الفهم عن الله تعالى كذلك وقد سمعوا الله تعالى يقول وأتوا البيوت من أبوابها فعلموا ان باب الرزق طاعة الرزاق فكيف يطلب منه رزقه بمعصيته أم كيف يستمطر فضله بمخالفته وقد قال عليه السلام انه لا ينال ما عند الله بالسخط أي لا يطلب رزقه الا بالموافقة له وقال سبحانه وتعالى مبينا لذلك

بذنوبكم وما أكل صلى الله عليه وسلم ولا شرب الا ليعلمنا الادب والا فكان عليه الصلاة والسلام يطعم ويسقى فالعارف ينكس رأسه اذا شرب وربما تقطر عيناه بالدموع ويقول هذا تودد من الله تعالى كان بعضهم لا يخرج لصلاة الجماعة لما يعرض له فى طريقه منهم مالك بن انس رضى الله عنه لان الجماعة ربح والربح لا يحسب الا بعد الاحاطة على رأس المال ليس السباع فى البرية بل السباع فى الاسواق والطرق وهى التى تنهش القلوب نهشا مثال من يكثر الذنوب والاستغفار كمثل من يكثر شرب السم ويكثر استعمال الترياق فيقال له قد لا تصل الى الترياق مرة فيهجم عليك الموت قبل الوصول اليه من مرض قلبه منع ان يلبس لباس التقوى فلو صح قلبك من مرض الهوى والشهوة تحملت أثقال التقوى فمن لم يجد حلاوة الطاعة دل على مرض قلبه من الشهوة وقد سمى الله تعالى الشهوة مرضا بقوله تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض ولك فى علاجه طريقان استعمال ما هو لك نافع وهو الطاعة واجتناب ما هو لك مضر وهو المعصية فان فعلت ذنبا أعقبته بالتوبة والندم والانكسار والانابة كان ذلك سبب وصلتك به وان فعلت طاعة فاعقبتها بالعجب والكبر كان ذلك سببا لقطيعة عنه عجبا لك كيف تطلب صلاح قلبك وجوارحك تفعل ما شاءت من المحرمات كالنظر والغيبة والنميمة وغير ذلك فشا لك كمن يتداوى بالسم أو كمن أراد تنظيف ثوبه بالسواد فعليك بالحلاوة والعزلة فمن كانت العزلة دأبه كان العزلة فمن صدقت عزلته ظفر بمواهب الحق له

ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا الى غير ذلك من الآيات الدالة على أن التقوى مفتاح الرزقين رزق الدنيا ورزق الآخرة كما قال الله تعالى ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فبين سبحانه وتعالى انهم لو أقاموا التوراة والانجيل أى عملوا بما فيهما لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم أى لوسعنا عليهم أرزاقهم وأدمنا عليهم انفاقنا لكنهم لم يفعلوا ما نحب فلاجل ذلك لم نفعل بهم ما يحبون * (الآية الرابعة) * فى أمر الرزق قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين فهذه الآية صرحت بضمان الحق الرزق وقطعت ورود الهواجس والخواطر على قلوب المؤمنين فان وردت على قلوبهم كرت عليها جيوش الايمان بالله والثقة به فهزمتها بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فقوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها ضمان تكفل به لعباده تعريفا بوداده ولم يكن ذلك واجبا عليه بل أوجبه على نفسه ايجاب كرم وتفضل ثم انه عمم الضمان فكانه يقول أيها العبد ليست كفالتى ورزقى خاصا بك بل كل دابة فى الارض فانا كافلها وارازقها وموصل اليها قوتها فاعلم بذلك سعة كفالتى وغنار بوبيتى وان الاشياء لا تخرج عن احاطتى وثق بى كفيلا واتخذنى وكيلا فاذا رأيت تدبيرى لاصناف الحيوانات ورعايتى لها وقيامى بحسن الكفالة بها وأنت أشرف هذا النوع فانت أولى بان تكون بكفالتى واثقا بفضلى راسقا ألا ترى كيف قال تعالى ولقد كرمنا بنى آدم على سائر أجناس الحيوان أى اذ دعوناهم الى خدمتنا وعدناهم دخول جنتنا وخطبناهم الى حضرتنا ومما يوضح لك كرامة الآدمى على غيره من المكونات ان المكونات مخلوقات من أجله وهو مخلوق من أجل حضرة الله تعالى * سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول قال الله سبحانه يا ابن آدم خلقت الاشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تشتغل بما هو لك عما أنت له وقال سبحانه وتعالى والارض وضعها للانام وقال تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وسمعت الشيخ رحمه الله يقول الاكوان كلها عبيد سخرها لك وأنت عبيد الحضرة وقال تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما فقد بين لك ان السموات والارض مخلوقة من أجل ان تعلم أيها الآدمى فاذا علمت أن الاكوان مخلوقة من أجلك اما انتفاعا واما اعتبارا وهو نفع أيضا فينبغى لك ان تعلم ان الله تعالى اذا رزق من هو مخلوق من أجلك كيف لا يكون لك رازقا ألم تسمع كيف قال تعالى وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم وقوله تعالى ويعلم مستقرها ومستودعها تأكيد لانه المتكفل بها أى لا يخفى عليه مكانها ولا ينبهم عليه شأنها بل يعلم مكانها فيوصل اليها ما قسم لها * (الآية الخامسة) * فى شأن الرزق قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وهذه الآية هى التى غسلت الشكوك من قلوب المؤمنين وأشرقت فى قلوبهم أنوار اليقين فاوردت على قلوبهم الزوائد لما تضمنته من الفوائد وذلك انها تضمنت ذكر الرزق ومحله والقسم عليه والتشبيه له بامر لا خفاء به ولنتبع ذكر هذه الفوائد فائدة فائدة * (الفائدة الاولى) * اعلم انه تعالى لما علم كثرة اضطراب النفوس فى شأن الرزق كرر ذكره لما تكررت ورود عوارضه على القلوب كما تكرر الحجة اذا علمت ان الشبهة متمكنة فى نفس خصمك كما كرر تعالى الاستدلال على المعاد فى آيات عديدة لما اضطربت فيه الملحدون واستبعدوا أن يعود الانسان بعد ان تمزقت أوصاله واضمحل بناؤه وصار ترابا أو أكلته السباع والهوام فاحتج عليهم فى كتابه العزيز بحجج كثيرة منها قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وبقوله

بالمن وعلامتها كشف الغطاء واحياء القلب وتحقيق المحبة فعليك بحسن العمل لا بكثرته كثرة العمل مع عدم الحسن فيه كالثياب الكثيرة الوضيعة الثمن وقلة العمل مع حسنه كالثياب القليلة الرفيعة الثمن كالياقوتة صغير جرمها كثير ثمنها فمن

وبقوله في الآية الاخرى وهو أهون عليه وبقوله تعالى ان الذي أحياها لمحي الموتى الى غير ذلك وكذلك لما علم الحق تعالى شدة اضطراب النفوس في أمر الرزق أكد الحجة في ذلك في آيات عديدة منها ما تقدم ذكره ومنها ما لم نذكره فلما علم الحق تعالى ذلك من نفوس العباد وقال تارة ان الله هو الرزاق وقال أخرى الله الذي خلقكم ثم رزقكم وقال أخرى نحن نرزقك وقال أخرى أمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه وقال ههنا وفي السماء رزقكم وما توعدون ليبين محل الرزق فتسكن اليه القلوب وليس الضمان مع ابهام المحل كالضمان مع تبيينه فكانه تعالى يقول لم يكن يجب علينا أن نبين لكم محل رزقكم لكم عند ارزق توصله لكم اذا جاء اباه وليس علينا بيانه ولكن بلطفه ورحمته وفضله ومنته بين محل الرزق ليكون ذلك أبلغ في ثقة النفوس به وأقوى في دفع الشك فيه وفيه فائدة أخرى وهو انه تضمن تبيين المحل رفع همم الخلق عن الخالق وأن لا يطلبوا الا من الملك الحق وذلك اذا وقع في قلبك طمع في مخلوق أو حوالة على سبب قال لك الحق تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون أي يا هذا المتطلع للرزق من المخلوق الضعيف العاجز في الارض ليس رزقك عنده انما رزقك عندي وأنا الملك القادر ولاجل هذا انه لما سمع بعض الاعراب هذه الآية نحر ناقته وخرج فارا الى الله تعالى وهو يقول سبحان الله رزقي في السماء وأنا أطلبه في الارض فانظر رحمك الله كيف فهم عن الله ان مراده بهذه الآية أن يدفع هموم عباده اليه وأن يكون رغبتهم فيما لديه كما قال في الآية الاخرى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم لتجاش الهمم الى بابه وتنخلع القلوب الى جنابه فكن رحمك الله سماويا علويا ولا تكن سفليا أرضيا ولذلك قال بعضهم

اذا أعطشتك اكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا جسمه في الثرى * وهامة همته في الثريا
فان اراقة ماء الحيا * ة دون اراقة ماء المحيا

وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول والله ما رأيت العز الا في رفع الهمم عن الخلق واذكر أيها الاخ رحمك الله ههنا قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فمن العزة التي أعز الله بها المؤمن رفع همته الى مولاه وثقته به دون ما سواه واستج من الله أن تكون بعدان كسالك حلة الايمان وزينك بزينة العرفان ان تستولي عليك الغفلة والنسيان حتى تميل الى الاكوان أو تطلب من غيره وجودا حسانا ولذلك قال بعضهم

أبعد نفوذي في علوم الحقائق * وبعد انبساطي في مواهب خالقي
وفي حين اشرافي على ملكوته * أرى باسطا كفي الى غير رازقي

فان كفتك النفس الغافلة عن مولاها بان ترفع حاجتك الى المخلوقين فارفعها الى من يرفع ذلك المخلوق حاجته اليه وهين على النفس ان تهين ايمانك لتحصيل هواها وان تذلك لتبلغ مناها كما قال بعضهم

تكلفت اذلالا لنفسي لعزها * وهان عليها ان أهان لتكرما
تقول سل المعروف يحيى بن اكثم * فقلت سلي ربا يحيي بن اكثما

وقبيح بالمؤمن أن ينزل حاجته بغير الله مع علمه بوحدانيته وانفراده بربوبيته ويسمع قوله تعالى أليس الله بكاف عبده وذلك من كل أحد قبيح ومن المؤمن أقبح وليذكر قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ومن العقود التي عاقدته عليها أن لا ترفع حوائجك الا اليه ولا تتوكل الا عليه وذلك لازم اقرارك له بالربوبية يوم الميثاق يوم ألست بربكم قالوا بلى فكيف تعرفه وتوحده هنالك وتجهله هنا وقد توالت عليك احسانه وعمرك فضله وامتنانه كما قال بعضهم

في القلب لكم منزلة عليه * لا تسكنها سعدى ولا لبناء
في الذر عرفتكم فهل يجمل بي * ان أنكركم ولحيتي شمطاء

أشغل قلبه بالله وعالجه مما يطرأ عليه من الهوى كان أفضل ممن يكثر من الصلاة والصوم مثال من صلى الصلاة بغير حضور قلب كان كمن أهدى للملك مائة صندوق فارغة فيستحق العقوبة من الملك يذكره عليها دائما ومن صلاها بحضور القلب كان كمن أهدى له ياقوتة تساوي ألف دينار فان الملك يذكره عليها دائما اذا دخلت في الصلاة فانك تناجي الله سبحانه وتعالى وتكلم رسوله صلى الله عليه وسلم لانك تقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ولا يقال أيها الرجل عند العرب الا لمن يكون حاضرا ركعتان بالليل خير من ألف بالنهار وأنت لا تصلي فيه ركعتين الا لتجد ذلك في ميزانك وهل تشتري عبدا الا لخدمة هل رأيت عبدا يشتري ليأكل وينام ما أنت الا عبد اشتريت قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون من لم يلزم نفسه لزمته ومن لم يطالبها طالبته فلو جعلت عليها الأثقال بالطاعة لما طالبتك بالمعصية ولما كانت تتفرغ لها وهل رأيت الصالحين والعباد يتفرجون في الاعياد من شغل نفسه بالفرح والمباحات شغل عن قيام الليل فيقال له شغلت نفسك عنا فشغلنا لك عن عباد تنا ركعتان في جوف الليل أثقل عليك

من جبل أحد فاعضاه يبست عن الطاعة لا تصلح الا للقطع فان الشجرة اذا يبست لا تصلح الا للنار من أحب الدنيا بقلبه كان كمن بنى بناء حسنا فوقه مرحاض فرشح عليه

فلا يزال كذلك حتى يرى ظاهره كباطنه ومنهم من ينقيه فلا يزال قلبه أبيض و تنقيته بالتوبة والاذكار والندم والاستغفار كذلك أنت فى حضرة الله ملوث بمعصيتك تأكل الحرام و تنظر المحرم فمن ينعل المخالفات والشهوات يظلم قلبه فان لم تتب فى حال الصحة ربما ابتلاك بالامراض والمحن حتى تخرج نقيا من الذنوب كالثوب اذا غسل فاصقل مرآة قلبك بالخلوة والذكر حتى تلقى الله تعالى وليكن قلبك ذاكرا فينبع لك الانوار ولا تكن كمن يريد أن يحفر بئرا فيحفر ذراعا هنا وذراعا هنا فلا ينبع له ماء أبدا بل احفر فى مكان واحد فينبع لك الماء ياعبدالله دينك هو رأس مالك فان ضيعت رأس مالك فاشغل لسانك بذكره وقلبك بمحبته وجوارحك بخدمته واحرث وجودك بالمحارث حتى يجىء البذر فينبت ومن فعل بقلبه كما يفعل الفلاح بارضه أنار قلبه مثالك مثال رجلين اشتريا أرضا قياسا واحدا فاخذها الواحد فنقاها من الشوك والحشيش وأجرى بها الماء و بذرها فنبتت وجنى منها وانتفع بها فهذا كمن نشأ فى الطاعة قد أشرقت أنوار قلبه وأما الآخر فانه أهملها حتى نبت فيها الشوك والحشيش وبقيت ماوى للافاعى والحيات فهذا قد أظلم قلبه بالمعاصى اذا حضرت مراد المجلس وخرجت الى المخالفات والغفلات فيالك تقول ماذا يفيد الحضور بل احضر يكون بك مرض أربعين سنة فتريد أن يذهب عنك

و رفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء ومسبار الرجال وكما توزن الذوات كذلك توزن الاحوال والصفات وأقيموا الوزن بالقسط فيظهر الصادق بصدقه والمدعى بمذقه وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وقد ابتلى الله بحكمته و وجوده منه الفقراء الذين ليسوا بصادقين باظهار ما كنوا من الرغبة وأسروا من الشهوة فابتذلوا أنفسهم لابناء الدنيا مباسطين لهم ملائمين لهم موافقين لهم على ما آربهم مدفوعين على أبوابهم فترى الواحد منهم يتزين كما يتزين العروس مفتونون باصلاح ظواهرهم غافلون عن اصلاح سرائرهم ولقد وسمهم الحق سبحانه وتعالى بسمة كشف بها عوارهم وأظهر أخبارهم فبعدا ان كان نسبته ان لو صدق مع الله أن يقال فيه عبدالكبير فاخرج عن هذه النسبة بعدم صدقه فصار يقال فيه شيخ الامير أولئك الكذابون على الله الصادون للعباد عن صحبة أولياء الله لان مايشهده العموم منهم يحسبونه على كل منتسب الى الله صادق وغير صادق فهم حجب أهل التحقيق وسحب شموس أهل التوفيق ضربوا طبولهم ونشروا أعلامهم ولبسوا دروعهم فاذا وقعت الحملة ولوا على أعقابهم ناكصين ألسنتهم منطلقة بالدعوى وقلوبهم خالية من التقوى ألم يسمعوا قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم أترى اذا سأل الصادقين أيترك المدعين من غير سؤال ألم يسمعوا قول الله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فهم فى اظهار زى الصادقين وعملهم عمل المعرضين كما قيل

أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نسائها
لا والذى حجت قريش بيته * مستقبلين الركن من بطحائها
ما أبصرت عينى خيام قبيلة * الا بكيت أحبتى بفنائها

فقد علمت رحمك الله ان رفع الهمة عن الخلق هو زينة أهل الطريق وسمة أهل التحقيق ولنا فى هذا المعنى

بكرت تلوم على زمان أجحفا * فصدفت عنها عليها ان تصدفا
لا تكثرى عتبا الدهر فانه * ما ان يطاب بالوفاء ولا الصفا
ماضرنى أن كنت فيه خاملا * فالبدر بدران بدا أو ان خفا
الله يعلم انى ذو همة * تأبى الدنايا عفة وتطرفا
لم لا أصون عن الورى ديباجتى * وأريهم عز الملوك وأشرفا
أريهم أنى الفقير اليهم * وجميعهم لا يستطيع تصرفا
أم كيف أسأل رزقه من خلقه * هذا لعمرى ان فعلت هو الجفا
شكوى الضعيف الى ضعيف مثله * عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذى احسانه * عم البرية منة وتلطفا
والجأ اليه تجده فيما ترتجى * لا تعدن عن أبوابه متحرفا

(الفائدة الثانية) يحتمل أن يكون قوله سبحانه وتعالى وفى السماء رزقكم ان يكون المراد اثبات رزقكم أى اثباته فى اللوح المحفوظ فان كان المراد كذلك فهو تطمين للعباد واعلام لهم ان رزقكم أى الشئ الذى منه رزقكم كتبناه عندنا وأثبتناه فى كتابنا وقضيناه بآياتنا من قبل وجودكم وعيناه من قبل ظهوركم فلاى شئ تضطربون ومالكم الى لا تسكنون وبوعدى لا تثقون ويحتمل أن يكون المراد وفى السماء رزقكم أى الشئ الذى منه رزقكم وهو الماء كما قال تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون وكذلك قال ابن عباس رضى الله عنه هو المطر فيكون قوله وفى السماء رزقكم أى الشئ الذى منه أصل رزقكم ولان الماء فى نفسه رزق *(الفائدة الثالثة)* يمكن أن يكون

في ساعة واحدة أو في يوم واحد فمثاله كرمل رمي في موضع أربعين عاما أفتريد أن نزول في ساعة واحدة أو في يوم واحد فمن فعل المعاصي وتقلب في الحرام لو انغمس في سبعة أبحر لم تطهره حتى يعتقد مع الله عقدة التوبة للظاهر

مرادا لحق سبحانه وتعالى بهذه الآية تعجيز العباد عن دعوى القدرة على الاسباب لان الله تعالى لو أمسك الماء عن الارض لتعطل سبب كل ذي سبب من حارث وزارع وناجر وخائط وكاتب وغير ذلك فكانه يقول ليست أسبابكم هي الرازقة لكم ولكن أنا الرازق لكم وبيدي تيسير أسبابكم لانى أنا المنزل لكم ما به كانت أسبابكم وتمت أكسابكم *(الفائدة الرابعة)* في اقتران الرزق بالامر الموعود فائدة جليلة وذلك ان المؤمنين لما علموا ان ما وعدهم الحق لابد من كونه ولا قدرة لهم على تحصيله ولا تأجيله ولا حيلة لهم في جلبه فكانه سبحانه وتعالى يقول كما لا شك عندكم ان عندنا ما توعدون كذلك لا يكن عندكم شك في أن عندنا ما ترزقون وكما انكم على استعجال ما وعدنا قبل وقته عاجزون كذلك أنتم عاجزون عن أن تستعجلوا رزقا أجلته ربوبيتنا و وقته الاهيتنا *(الفائدة الخامسة)* قوله سبحانه وتعالى فو رب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون في ذلك حجة عظيمة على العباد أن يكون الوفي الوعد الذي لا يخلف الميعاد يقسم للعباد على ما ضمن لهم لعلمه بما النفوس منطوية عليه من الشك والاضطراب ووجود الارتياب فلذلك قالت الملائكة حين سمعت هذه الآية هلك بنو آدم أغضبوا رجم الجليل حتى أقسم وقال بعضهم حين سمع هذه الآية سبحان الله من الجأ الكريم الى القسم ومن علمت ثقته بك لم تحتج الى القسم معه واذا علمت اضطرابه في وعدك أقسمت له فهذه الآية سرت أقواما وأخجلت آخرين أما الذين سرتهم فهم الذين في المقام الاول اذ زيدهم ايمانهم و يرسخ بها ايقانهم فينتصروا بها على وساوس الشيطان وشكوك النفس وأما الذين أخجلتهم فانهم علموا ان الحق سبحانه وتعالى علم منهم عدم الثقة ووجود الاضطراب فاقامهم مقام أهل الشك فاقسم لهم فاخجلهم ذلك حياء منه وذلك مما أفادهم الفهم عنه ورب شئ واحد أوجب سرور أقوام وحزن آخرين على حسب تفاضل الافهام و واردات الالهام ألم تراه لما أنزل قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فرح بها الصحابة وحزن بها أبو بكر رضي الله عنهم أجمعين لانه فهم منها نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى وأخذ من ذلك أن الشئ اذا استتم خيف عليه من التراجع الى وجود النقصان كما قال

اذا تم شئ دنا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم
اذا كنت في نعمة فارعها * فان المعاصي تزيل النعم

وعلم ان الامر لا يتقاصر مادام الرسول عليه السلام حيا وفرح الصحابة رضي الله عنهم لظاهر البشارة التي فيها ولم ينفذوا ما نفذ اليه أبو بكر رضي الله عنه فظهر لذلك سر قوله صلى الله عليه وسلم ما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر في صدره والذي كان سابقا هو بعينه الذي أوجب أن يفهم ما لم يفهم غيره ومثل ذلك قوله سبحانه وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وسمعت الشيخ أبا محمد المرجاني رحمه الله يقول قوم سمعوا هذه الآية الكريمة فاستبشروا بهذه المبايعة فابيضت وجوههم سرورا بما اذ أهلهم الحق أن يشتري منهم واذ أجل أقدارهم اذ رضيهم للشراء وسرورا بالثمن الجليل والثواب الجزيل وقوم اصفرت وجوههم خجلا من الله اذ اشترى منهم ما هو ملكه فلولا انه علم منهم وجود الدعوى الكامنة في أنفسهم ودعوى الملكية منهم لها لما قال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم فكان للذين ابيضت وجوههم جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وكان للذين اصفرت وجوههم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما انتهى كلام الشيخ فلو سلم المؤمنون من بقايا المنازعة ما أوقع عليهم مبايعة ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين ولم يقل من الانبياء والمرسلين ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله النفوس على ثلاثة أقسام نفس لا تشترى لخستها ونفس تشترى لكرامتها ونفس لا يقع عليها الشراء لثبوت حريتها (فالاولى) نفوس الكافرين لا يقع عليها الشراء لخستها

جنابة تمنعك من دخول بيته وتلاوة كتابة وللباطن جنابة تمنعك من دخول حضرته وفهم كلامه وهي الغفلة فاذا طلبت النفس الشهوات فالجمها بلجام الشرع فمثالها كالدابة اذا مالت لزرع غيرك فغمض الابصار عن ميلها الى المستحسنات والقلوب عن ميلها الى الشهوات وليكن قلبك معمورا لا يصلح لها على الدوام والحق سبحانه وتعالى اختار لحضرته من يصلح لها ٧ ومن رماد الكائنات فمثالهم كالعبيد يعرضون على الملك فمن أخذه الملك أعزه ومن لا يصلح بقي للرعية ما أتيت لموطن حكمة أو معصية الا وفي عنقك سلسلة نورانية أو ظلمانية فان كنت لا تشهدها أنت فغيرك يشهدها ألا ترى ان الشمس يشهدها الناس أجمعون الا من كان أعمى ما فائدة العلم الا العمل به مثاله كذلك كتب الى نائبه كتابا فما فائدة الكتاب أن تقرأه فقط انما فائدته العمل به مثال من يشتغل بالعلم وليس له بصيرة كمثل مائة ألف أعمى سلكوا طريقا متحيرين فيها فلو كان فيهم واحد بعين واحدة لتبعه الناس أجمعون وتركوا مائة ألف أعمى

ومثال العلم مع ترك العمل كالشمعة تضيء للناس باحراق نفسها علم فيه الغفلة عن الله الجهل خير منه فمن أثمرت جوارحه فقد أمطر قلبه ولسانه بالذكر وعينيه بالغض وأذنيه بالاستماع الى العلم ويديه ورجليه بالسعي الى الخيرات من أكثر من مجالسة أهل هذا الزمان فقد

الخوف القلب الحسن هو الذي لا يشغله عن الله حسن ان أردت شفاء قلبك فاخرج الى صحراء التوبة وحول حالك من الغيبة الى الحضور والبس ثياب الذلة والمسكنة فان القلب يشفى ولكنك تحشر بطنك وتتفاخر بالسمن فمثالك كالحروف الذي يسمن للذبح الا فقد ذبحت نفسك وأنت لا تشعر لا يفتك مجلس الحكمة ولو كنت على معصية فلا تقل ما الفائدة في سماع المجلس ولا أقدر على ترك المعصية بل على الرامي ان يرمي فان لم يأخذ اليوم يأخذ غدا ولو كنت كيسا فطنا لكانت حقوق الله عندك أحظى من حظوظ نفسك ما يطلع على الاسرار الا أمين وأنت تعطي نفسك حظها من المآكل والمشارب حتى تملأ بيت الخلاء أو يكفيك حب الدنيا ومن أحب الدنيا فقد خان ومن خان فهل يطلعه الملك على أسراره فاستعمل الافكار وعليه أنزل الانوار ما نفع القلب شئ مثل خلوة يدخل بها ميدان فكرة كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته أم كيف يرحل الى الله وهو منكب على شهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هواته أصل كل معصية وغفلة وسهو الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا

(والثاني) نفوس المؤمنين وقع عليها الشراء لكرامتها (والثالث) نفوس الانبياء والمرسلين لم يقع عليها الشراء لثبوت حريتها (الفائدة السادسة) وهو انه تعالى أقسم بالربوبية الكافلة للسماء والارض ولم يقسم بغيرها من الاسماء وذلك لان الربوبية الكافلة للسماء والارض لا ينبغي أن يشك في الثقة بها ومن شانها كفالة هذا العالم العظيم الذي أنت فيه واذا نسبت اليه كنت كلا شئ موجود فيه فذلك أبلغ في وجود الثقة من أن يقول فوالسميع أو العليم أو الرحمن أو غير ذلك من الاسماء فافهم *(الفائدة السابعة)* قوله سبحانه وتعالى فورب السماء والارض انه لحق والحق هو ضد الباطل والباطل هو المعدوم الذي لا ثبات له والرزق حق كما ان الرزاق حق والشك في الرزق شك في الرزاق حتى كان بعضهم ينبش المقابر ثم تاب فقال لبعض العارفين نبشت ألف قبر فوجدتهم كلهم وجوههم محولة عن القبلة فقال عارف ذلك الزمان انما حول وجوههم عن القبلة تهمة الرزق *(الفائدة الثامنة)* قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون تاكيد في اثبات الرزق وتقرير لحقيقته وانه لا ينبغي أن يرتاب فيه مؤمن ولا يشك فيه موقن وان ثبوته بمشهد بصائر القلوب كثبوت المنطق الظاهر بمشهد الابصار فنقل المعنى الى الصورة ومثل الغيب بالشهادة وقطع شك العباد في أمر الرزق أي فكما انكم تنطقون لا تشكون في ذلك لما أثبته العيان كذلك لا ترتابوا في أمر الرزق فقد أثبته نور الايمان فانظر رحمك الله اعتناء الحق سبحانه وتعالى بامر الرزق وتكراره له وتبيين مواطنه وتنظيره وتمثيله بالامور المحسوسة التي لا يرتاب فيها شاهدها واقسامه على ذلك بالربوبية المحيطة بالسماء والارض وكذلك تكرر في كلام صاحب الشرع صلوات الله عليه فقال ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقال عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال عليه السلام طالب العلم تكفل الله رزقه الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في ذلك *(فائدة)* اعلم انه لا ينافي التوكل على الله في أمر الرزق وجود السبب كما أشار اليه رسول الله عليه السلام لانه قال فاتقوا الله وأجملوا في الطلب فقد أباح الطلب ولو كان منافيا لمقام التوكل على الله لما أباحه لانه لم يقل لا تطلبوا انما قال أجملوا في الطلب فكانه قال اذا طلبتم فاطلبوا مجملين أي كونوا مع الله في الطلب متأدبين واليه مفوضين فقد أباح صلوات الله عليه وسلامه وجود الطلب والطلب من الاسباب وقد سبق قوله عليه السلام أحل ما أكل المرء من كسب يمينه الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على جواز الاسباب بل على الحث عليها والندب اليها وفي الاسباب فوائد منها ان الحق تعالى علم ضعف قلوب العباد وقصورهم عن مشاهدة القسمة وعجزهم عن صدق الثقة فاباح لهم الاسباب اسناد القلوب بهم وتثبيتا لنفوسهم فكان ذلك من فضله عليهم *(الفائدة الثانية)* ان في الاسباب صيانة للوجوه عن الابتذال بالسؤال وحفظا لبهجة الايمان أن تزول بالطلب من الخلق فما يعطيك الله من الاسباب فلا منة فيه لمخلوق عليك اذ لا يمن عليك أحد ان اشترى منك أو استأجرك على عمل شئ فانه في حظه سعى ونفع نفسه قصدا فالسبب أخذ منه بغير منة *(الفائدة الثالثة)* ان في شغل العباد باسبابهم شغلا عن معصيته والتفرغ الى مخالفته ألا تراهم اذا تعطلت أسبابهم في أعيادهم وغيرها كيف يتفرغ أهل الغفلة لمخالفة الله تعالى وينهمكون في معصية الله فكان شغلهم بالاسباب رحمة من الله عليهم *(الفائدة الرابعة)* ان في الاسباب والقيام بها رحمة بالمتجردين ومنة من الله على المتوجهين لطاعته والمتفرغين لها ولولا قيام أهل الاسباب بها فكيف كان يصح لصاحب الخلوة خلوته ولصاحب المجاهدة مجاهدته فجعل الحق تعالى الاسباب كالخدمة للمتوجهين اليه والمقبلين عليه *(الفائدة الخامسة)* ان الحق تعالى أراد من المؤمنين أن يتآلفوا لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة فكانت الاسباب سببا لتعارفهم وموجبة لتوادهم ولا ينكر

الاسباب الا جاهل أو عبد عن الله غافل ولم يبلغنا ان رسول الله عليه السلام لما دعا الناس الى الله أمرهم بالخروج عن أسبابهم ولكن أقرهم على ما رضاه الله منها ودعاهم الى وجود الهدى والقرآن والسنة محشوان باثبات الاسباب ولقد أحسن من قال

ألم تران الله قال لمريم * اليك فهزى الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أدنى الجذع من غير هزها * اليها ولكن كل شئ له سبب

اشارة الى قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وظاهر صلوات الله عليه بين درعين يوم أحد وأكل عليه الصلاة والسلام القثاء بالرطب وقال هذا يدفع ضرر هذا وذلك كثير * وفى قوله صلى الله عليه وسلم تغدوخماصا وتروح بطانا اثبات الاسباب أيضا الا ان غدوها ورواحها سبب أقيمت فيه فهو كغدو الآدميين الى مكاسبهم ورواحهم اليها والقول الفصل فى ذلك انه لا بد لك من الاسباب وجودا ولا بد لك من الغيبة عنها شهودا فاثبتها من حيث أثبتها بحكمته ولا تستند اليها لعلمك بحدوثه * فان قلت فما هو الاجمال فى الطلب فى قوله عليه السلام فاتقوا الله واجملوا فى الطلب * فاعلم ان الاجمال فى الطلب يحتمل وجوها كثيرة ونحن نذكر لك منها ما فتح الله به بفضله فاعلم رحمك الله ان الطالب للرزق على قسمين عبد يطلبه منهمكا عليه ومتوجها بكل همته اليه وذلك مما يصرف وجهته عن الله لان الهمة اذا توجهت لشئ انصرفت عما عداه * قال الشيخ أبو مدين رحمه الله ليس للقلب الا وجهة واحدة ان وجهته اليها انصرف عن غيرها وقد قال الحق سبحانه وتعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه أى ما جعل له من وجهتين فى وقت واحد وذلك لضعف البشرية عن التوجه الى وجهتين فمتوجه انسان الى وجهتين الا ويقع الخلل فى احدى الوجهتين والقيام بالاوجه كلها فى الوقت الواحد من غير أن يقع فى شئ منها خلل انما ذلك من شأن الالاهية ولذلك قال سبحانه وتعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله فافاد بذلك أنه متوجه لاهل السماء ولاهل الارض لا يشغله توجهه لاهل السماء عن توجهه لاهل الارض ولا توجهه لاهل الارض عن توجهه لاهل السماء ولا شئ عن شئ فلذلك كرر سبحانه وتعالى ذكر الالاهية فى الآية ولو لم يكررها لم يفد ذلك من هذا اللفظ بل مما اوجبه ما هو الحق عليه سبحانه فتبين لك من هذا ان من طلب الرزق مكبا عليه مشتغلا عن الله تعالى به فليس مجملا فى الطلب ومن طلبه على غير ذلك فهو مجمل * وجه ثان وهو ان الاجمال فى الطلب أن يطلب من الله تعالى ولا يعين قدرا ولا سببا ولا وقتا فيرزقه الحق ما شاء كيف شاء فى أى وقت شاء وذلك من حسن الادب فى الطلب ومن طلب وعين قدرا أو سببا أو وقتا فقد تحكم على ربه وأحاطت الغفلة بقلبه * ويحكى عن بعضهم أنه كان يقول وددت لو أنى تركت الاسباب وأعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك أن يستريح من تعب الاسباب قال فسجنت ثم كنت فى السجن يؤتى لى كل يوم برغيفين فطال ذلك على حتى ضجرت ففكرت يوما فى أمرى فقيل لى انك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية فاعطيناك ما طلبت فاستغفرت الله من ذلك ورجعت الى الله فاذا بباب السجن يقرع فتخلصت وخرجت فتأدب بهذا أيها المؤمن ولا تطلب أن يخرجك من أمر ويدخلك فيما سواه اذا كان ما أنت فيه مما يوافق لسان العلم فان ذلك من سوء الادب مع الله فاصبر لئلا تطلب الخروج بنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك سببا وداخل فى غيره لجد الثروة والراحة فاتعب وقوبل بوجود التعسر عقوبة لوجود الاختيار * وفى كلام كتبناه فى غير هذا الكتاب طلبك التجريد مع اقامة الله اياك فى الاسباب من الشهوة الخفية وطلبك الاسباب مع اقامة الله اياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية فافهم رحمك الله ان من شأن هذا العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه فيشوش قلبك ويتكدر وقتك وذلك انه يأتى للمنسبين

الله ان ينصر عبده أمده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم والاغيار النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها متى أوحشك من خلقه فاعلم انه يريد أن يفتح لك باب الانس به الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة يتسع فيها ميادين الاسرار وتشرق فيها شوارق الانوار علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها وعلم احتياجك الى فضله فكثر امدادها الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلم منها فان أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغيب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك علم ان العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية فقال تعالى يختص برحمته من يشاء وعلم انه لو أخلاهم من ذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ان أردت ورود المواهب عليك فصحح الفقر والفاقة لديك انما الصدقات للفقراء والمساكين أنوار أذن لها فى الدخول وأنوار أذن لها فى الوصول ربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت فرغ قلبك من الاغيار تملؤه بالمعارف والاسرار المؤمن يشغله الثناء على الله عن ان يكون

لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا جعلك الله في العالم الاوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين
مخلوقاته وانك جوهرة انطوت عليها اصداف مكونانه أنت مع الاكوان مالم تشهد الملكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك

فيقول لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار ولصفت منكم القلوب والاسرار قائلا وكذلك صنع
فلان وفلان ويكون هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به وانما صلاحه في الاسباب فيتركها
فيتزلزل ايمانه ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب من الخلق والى الاهتمام بامر الرزق فيرمى في بحر القطيعة
وذلك قصد العدو منه لانه انما يأتيك في صورة ناصح اذ لو أتاك في غير هذه لم تقبل منه كما أتى آدم وحواء عليهما
السلام في صورة ناصح وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين كما
تقدم بيانه وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك يأتي للمتجردين ويقول لهم الى متى تتركون
الاسباب ألم تعلموا ان ترك الاسباب تتطلع معه القلوب الى ما في أيدي الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنك
الاسعاف ولا الايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظرا ما يفتح به عليك من الخلق فلو دخلت في
الاسباب بقي غيرك منتظرا ما يفتح عليه منك الى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره
ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا تزال به حتى يعود الى الاسباب فيصيبه كدرتها وتغشاه ظلمتها ويعود
الدائم في سببه أحسن حالا منه لان ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها ولا قصد مقصدا ثم انعطف عنه فافهم
واعتصم بالله منه ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد من
الرضا عن الله فيما هم فيه وان يخرجهم عما اختاره الله تعالى لهم الى مختارهم لانفسهم وما أدخلك الله تعالى
فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج
صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق ان تدخل به لا بنفسك والمخرج الصدق أيضا كذلك
فافهم والذي يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق تعالى هو الذي يتولى اخراجك
كما تولى ادخالك وليس الشأن أن تترك السبب انما الشأن أن يتركك السبب قال بعضهم تركت السبب كذا
كذا مرة فعدت اليه ثم تركني السبب فلم أعد اليه * ودخلت على الشيخ أبي العباس المرسي وفي نفسي
العزم على التجريد قائلا في نفسي ان الوصول الى الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر
ووجود المخالطة للناس فقال لي من غير أن أسأله صحبني انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة وهو متصدر فيها
فذاق من هذه الطريق شيئا فجاء الى فقال ياسيدي أخرج عما أنا فيه وأتفرغ بصحبتك فقلت له ليس الشأن
ذا ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو اليك واصل ثم قال الشيخ ونظر الي وقال هكذا
شان الصديقين لا يخرجون عن شئ حتى يكون الحق تعالى هو الذي يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد
غسل الله تعالى من قلبي تلك الخواطر ووجدت الراحة بالتسليم الى الله ولكنهم كما قال رسول الله عليه السلام
هم القوم لا يشقى بهم جليسهم * (وجه ثالث) * وقد يكون الاجمال في الطلب أن تطلب من الله تعالى ويكون
قصدك مناجاته لا عين ما طلبت وانما يكون الطلب توسلا لها ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله لا يكن
همك في دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا عن ربك ولتكن همتك مناجاة مولاك وقيل
ان موسى عليه السلام كان يطوف في بني اسرائيل ويقول من يحملني رسالة الى ربي وذلك لتطول مناجاته
مع الله تعالى * (وجه رابع) * وقد يكون الاجمال في الطلب أن تطلب وأنت تشهد انك مطلوب بما
قسم لك وانك مقصود به وليس طلبك موصلا اليه فيكون طلبك وأنت غريق في بحر العجز مغموس في
وجود الفاقة وقد يكون الاجمال في الطلب أن لا تطلب بحظ البشرية ولكن لاظهار العبودية كما حكي
ان سمنون المحب رحمه الله كان يقول

وليس لي في سوالك حظ * فكيفما شئت فاختبرني

فابتلي بعلة الاسر وهو احتباس البول فصبر وتجلد فطاوله ذلك فصبر وتجلد الى أن جاءه بعض أصحابه فقال
يا أستاذي سمعتك البارحة وأنت تطلب من الله الشفاء والعافية ولم يكن هو طلب ثم جاءه ثان ثم جاء ثالث ثم

العاقل بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى قد أشرق نوره وظهرت تباشيره فصد عن هذه الدار موليا وأعرض عنها مغضيا فلم يتخذها موطنا ولا جعلها سكنا بل نهض الهمة فيها الى الله تعالى وسار اليه مستعينا به في القدوم عليه فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها دائما تسيارها الى ان أناخت بحضرة القدس وبساط الانس محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والملاطفة وصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يستوطنون فان نزلوا الى سماء الحقوق وأرض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة بل دخلوا في ذلك كله بالله ولله ومن الله والى الله فايانا أخي ان تصغي الى الواقعين في هذه الطائفة لئلا تسقط من عين الله وتستوجب المقت من الله فان هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق واخلاص الوفاء ومراقبة الانفاس مع الله قد سلموا قيادهم اليه والقوا أنفسهم سلما بين يديه وتركوا الانتصار لانفسهم حياء من ربهم فكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم والغالب جاء لمن غالبهم ولقد ابتلى الله هذه الطائفة بالخلق خصوصا ولا سيما أهل العلم فقل أن تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولي معين بل

يقول لك نعم ان الاولياء موجودون ولكن أين هم فلا يذكر له أحدا لا وأخذ يدفع خصوصية الله فيه طلق اللسان بالاحتجاج عاريا من التصديق فاحذر ممن هذا وصفه وفر منه فرارك من الاسد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالى عنه ليس الفقيه من فقأ الحجاب عيني قلبه وانما الفقيه من فهم سر الايجاد وأنه ما أوجده الا لطاعته ولا خلقه الا لخدمته فاذا فهم هذا كان هذا الفقه منه سببا لزهده في الدنيا واقباله على الآخرة واهماله لحظوظ نفسه واشتغاله بحقوق سيده مفكرا في المعاد قائما بالاستعداد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير عند الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير والمؤمن القوي هو الذي أشرق في قلبه نور اليقين قال الله تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم سبقوا الى الله فخلص قلوبهم مما سواه فلم تعقهم العوائق ولم تشغلهم عن الله الخلائق فسبقوا الى الله اذ لا مانع لهم وانما منع العباد من السبق جواذب التعلق بغير الله فكلما هممت قلوبهم ان ترحل الى الله سبحانه وتعالى جذبهم ذلك التعلق الذي به تعلقت فكرت راجعة اليه ومقبلة عليه فالحضرة محرمة على من هذا وصفه وممنوعة على من هذا نعته وافهم ههنا قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو الذي لا تعلق له بشيء غير الله تعالى وقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم يفهم منه انه لا يصح مجيئك الى الله ولا الوصول اليه الا اذا كنت فردا مما سواه وقوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى يفهم منه انه لا يأويك الله الا اذا صح يتمك مما سواه وقوله

جائعا رابع فعلم ان مراد الحق منه اظهار الحاجة والعافية فسأل من الله الشفاء ثم صار يدور على صبيان المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب *(وجه خامس)* وقد يكون الاجمال في الطلب أن تطلب من الله ما يكفيك ولا تطلب منه ما يطغيك غير متطلع الى ما سوى الكفاية بالشره ولا منبسطا اليه بالرغبة وقد علمنا ذلك رسول الله عليه السلام اذ قال اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا والطالب لما زاد على الكفاية ملوم وطالب الكفاية غير ملوم بذلك جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ولا تلام على كفاف ويكفيك في ذلك ما قال رسول الله لثعلبة بن حاطب لما قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله عليه السلام يا ثعلبة بن حاطب قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فكرر عليه ثعلبة فاعاد عليه السلام ما قال أولا قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فما زال الى أن دعا له رسول الله عليه السلام بما اختار لنفسه فكان عاقبة اختياره لنفسه ومخالفته لمختار رسول الله عليه السلام أن كثر ماله حتى تعطل عن بعض الصلوات أن يصليها خلف رسول الله عليه السلام ثم كثر ماله حتى تعطل عن الصلوات أن يصليها مع رسول الله عليه السلام الا صلاة الجمعة ثم كثرت أغنامه ومواشيه حتى لم يمكنه صلاة الجمعة أيضا ثم جاء مصدق رسول الله عليه السلام يأخذ منه الزكاة فقال ما أراها الا اخت الجزية أو أخت الجزية وامتنع من دفع الزكاة وقصته مشهورة فانزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون *(وجه سادس)* وقد يكون الاجمال في الطلب أن يطلب العبد حظوظ دنياه قال تعالى فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار *(وجه سابع)* وقد يكون الاجمال في الطلب أن يكون طلبك غير شاك في القسمة ولا تارك احفظ الحرمة *(وجه ثامن)* وقد يكون الاجمال في الطلب أن تطلب ولا تستعجل الاجابة وغير الاجمال أن تستعجلها وقد نهى النبي عليه السلام عن ذلك بقوله يستجاب لاحدكم ما لم يعجل دعوت فلم يستجب لي وقد دعا موسى وهرون عليهما السلام على فرعون فيما حكاه الله تعالى عنهما بقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فقال سبحانه وتعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وكان بين قول الله تعالى لهما قد أجيبت دعوتكما وهلاك فرعون أربعون عاما قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله في قوله سبحانه وتعالى فاستقيما أي على عدم استعجال ما طلبتما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قال هم المستعجلون الاجابة *(وجه تاسع)* وقد يكون الاجمال في الطلب أن يطلب وهو شاكر لله تعالى ان أعطى وشاهد حسن اختيار ربه اذا منع فرب طالب لا يشكر ان أعطى ولا يشهد حسن اختيار ربه في المنع بل طالب من الله جازم ان المصلحة له أن يعطى ومن أين لهذا العبد الجاهل أن يحكم على علم الله وأن يعلم ما فيه غيب الله وكفى بالعبد جهلا أن يتخير على مولاه بل اذا سألته فسله مفوضا اليه غير مدبر معه ولا مختار عليه وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة هذا فيما أبهم أمره *والبيان في ذلك ان المدعو به على ثلاثة أقسام ما هو خير قطعا فاطلبه من الله تعالى من غير استثناء كالايمان وجميع الطاعات وما هو شر قطعا فاطلب من الله السلامة منه من غير استثناء كالكفر والمعصية وما هو مبهم الامر كالغنى والعز والرفعة فاطلب ذلك من الله تعالى قائلا ان علمت ذلك خيرا لي كذلك سمعته من الشيخ رحمه الله *(وجه عاشر)* وقد يكون الاجمال في الطلب أن يكونوا في الطلب على سابق قسمته معتمدين ولا يكونوا الى طلبهم مستندين وقد يكون الاجمال في الطلب أن يطلبوا وهم لعدم الاستحقاق شاهدون فاولئك حري بهم ان يستوجبوا منة رب العالمين قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله ما طلبت من الله شيأ الا وقدمت اساءتي أمامي يريد رحمه الله حتى لا يطلب من الله بوصف غير الله تعالى وقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم يفهم منه انه لا يصح مجيئك الى الله ولا الوصول اليه الا اذا كنت فردا مما سواه وقوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى يفهم منه انه لا يأويك الله الا اذا صح يتمك مما سواه وقوله

الحسن الشاذلى رضى الله عنه قوى على الشهود فسأله ان يستر على ذلك فقيل لى لو سألته بما سأله موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد حبيبه وصفيه صلى الله عليه وسلم يفعل ولكن سله أن يقويك فسألته فقوانى فاهل الفهم أخذوا عن الله وتوكلوا عليه فكانوا بمعونته لهم فكفاهم ما أهمهم وصرف عنهم ما أغمهم واشتغلوا بما أمرهم عما ضمن لهم علما منهم بانه لا يكلهم الى غيره ولا يمنعهم من فضله فدخلوا فى الراحة ووقفوا فى جنة التسليم ولذاذة التفويض فرفع الله بذلك مقدارهم وكمل أنوارهم واعلم رحمك الله تعالى ان العلم حيث ما تكرر فى الكتاب العزيز أو فى السنة المطهرة انما المراد به العلم النافع الذى تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان العلم تلازمه الخشية فالعلماء هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله وقوله تعالى الراسخون فى العلم وقوله تعالى وقل رب زدنى علما وقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء انما المراد بالعلم فى هذه المواطن كلها العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس وذلك متعين بالضرورة لان كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل من أن يحمل على غير هذا والعلم النافع هو الذى يستعان به على الطاعة ويلزم الخشية من الله تعالى

يستحق العطاء بل لا يكون طلبه وجود فضله الا بفضله * فهذه عشرة أوجه فى الاجمال فى الطلب وليس القصد بها الحصر اذ الامر أوسع من ذلك ولكن بحسب ما تاول الغيب وأنعم به المولى سبحانه وتعالى وهو كلام صاحب الانوار المحيطة فما يأخذ الآخذ منه الا على حسب نوره ولا يأخذ من جواهر بحره الاعلى قدر قوة غوصه وكل يفهم على حسب المقام الذى أقيم فيه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ومالم يأخذوه أكثر مما أخذوا واسمع قوله عليه السلام وأوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا فلو عبر العلماء بانه أبد الآباد عن أسرار الكلمة الواحدة من كلامه لم يحيطوا بها علما ولم يقدروها فهما حتى قال بعضهم عملت بهذا الحديث سبعين عاما وما فرغت منه وهو قوله عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وصدق رضى الله عنه ولو مكث عمر الدنيا أجمع وأبد الآباد لم يفرغ من حقوق هذا الحديث وما أودع فيه من غرائب العلوم وأسرار الفهوم * (انعطاف) * انظر الى قوله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا تراه يدل على الامر بالتوكل على الله تعالى لا على نفى الاسباب بل يدل على اثباتها لقوله عليه السلام تغدو خماصا وتروح بطانا فقد أثبت لها غدوها ورواحها وهو سببها ونفى عنها الادخار فكانه صلى الله عليه وسلم يقول لو توكلتم على الله حق توكله لما ادخرتم ولاغناكم التوكل على الله عن الادخار معه ورزقتم كما رزق الطير تؤتى برزق يومها ولا تدخر لغدها فقه منها بان الله تعالى لا يضيعها فانتم أيها المؤمنون أولى بذلك فافاد عليه السلام ان الادخار انما هو من ضعف اليقين * فان قلت أكل ادخار هذا حكمه أو هو مختلف الحال * فاعلم ان الادخار على ثلاثة أقسام ادخار الظالمين وادخار المقتصدين وادخار السابقين فاما القسم الاول فهم المدخرون بخلا واستكثارا المسكون مباهاة وافتخارا فقد استحكمت الغفلة على قلوبهم واستولى الشره على نفوسهم فهم لا تفرغ من الدنيا نهمتهم ولا تتوجه الى غيرها همتهم الثابت فقرهم وان كانوا أغنياء الظاهر ذلهم وان كانوا أعزاء فهم من الدنيا لا يشبعون وعن طلبها لا يفترون تلاعبت بهم الاسباب وتفرقت بهم الارباب أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون لم يبق فى قلوبهم متسع لوعى الحكمة واستماع الموعظة فقل أن ترفع أعمالهم أو تزكى أحوالهم لان خوف الفقر قد سكن قلوبهم وقد قال صلى الله عليه وسلم من سكن خوف الفقر قلبه قلما يرفع له عمل فيجب على المؤمن المعافى مما هم فيه داخلون والسالم مما هم فيه منصرفون والمتطهر مما هم به متدنسون أن يحمد الله تعالى على ما خصه به من افضاله وأنعم به عليه من نواله وقل اذا رأيتهم الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاهم به وفضلنى على كثير من خلق تفضيلا كما انك اذا رأيت مصابا فى بدنه حمدت الله الذى عافاك وشهدت ما أنعم به عليك مولاك كذلك يجب عليك واحرى أن تشكر الله اذا عافاك من أسباب الدنيا والخوض فيها وابتلى بذلك غيرك وأن لا تحقرهم بل اجعل عوض احتقارك بهم رحمتك بهم وعوض دعائك عليهم دعاءك لهم واقتد بما فعل العارف بالله معروف رحمه الله فانه فعله هو وعين المعروف عبره وأصحابه على دجلة فرأى أصحابه سمارية فيها قوم أهل لهو وفسوق وطرب فقالوا يا أستاذ ادع الله عليهم فرفع يديه وقال اللهم كما فرحتهم فى الدنيا فرحهم فى الآخرة فقالوا يا أستاذ انما قلنا لك ادع عليهم فقال اذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم ولا يضركم من ذلك شئ فالتفت السمارية فى الوقت الى البر ونزل الرجال ناحية والنساء ناحية فتطهروا وصلوا وهؤلاء وهؤلاء وخرجوا الى الله تائبين فكان منهم زهاد وعباد ببركة دعوة معروف فاذا نظرت أهل التخليط والاساءة فاعلم انه محكوم عليهم بسابق العلم ونافذ المشيئة وان لم تفعل خيف عليك أن تبتلى بمثل محنتهم وأن تقطع كقطيعتهم * واسمع ما قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله اكرم المؤمنين وان كانوا عصاة فاسقين وأمرهم بالمعروف وانههم عن المنكر واهجرهم رحمة بهم لا تعزازا عليهم * وقال رحمة الله عليه لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن المطيع ويكفيك

والوقوف على حدود الله تعالى وهو علم المعرفة بالله تعالى ولكن من استرسل باطلاق التوحيد ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به في بحر الزندقة ولكن الشان أن يكون بالحقيقة مؤيدا وبالشريعة مقيدا وكذلك المحقق فلا يكون منطلقا مع الحقيقة ولا واقفا مع ظاهر اسناد الشريعة وكان بين ذلك قواما فالوقوف مع ظاهر الاسناد شرك والانطلاق مع الحقيقة من غير تقيد بالشريعة تعطيل ومقام الهداية فيما بين ذلك وكل علم تسبق اليك فيه الخواطر وتتبعها الصور وتميل اليه النفس وتلتذ به الطبيعة فارم به وان كان حقا وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتد به وبالخلفاء من بعده وبالصحابة والتابعين من بعدهم وبالهداة الى الله تعالى الائمة المبرئين من الهوى ومتابعيهم تسلم من الشكوك والظنون والاوهام ولوساوس والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه وحسبك من العلم النافع العلم بالوحدانية ومن العلم محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة واذا أردت أن يكون لك نصيب مما لاولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة الا من يدلك على الله تعالى اما باشارة صادقة أو باعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة فارفع همتك الى مولاك واشتغل به دون غيره سمعت الشيخ أبا العباس المرسي يقول والله ما رأيت العز الا في رفع الهمة عن الخلق واذكر رحمك الله ههنا قوله

سبحانه وتعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فمن العز الذي أعز الله به المؤمن رفع همته الى مولاه وثقته به دون ماسواه واستغنائه من الله بعد

ويكفيك في تعظيم المؤمنين وان كانوا عن الله غافلين قول رب العالمين ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فانظر كيف أثبت لهم الاصطفاء مع وجود ظلمهم ولم يجعل ظلمهم مخرجا لهم عن اصطفائيته ولا من وراثة كتابه واصطفاهم بالايمان وان كانوا ظالمين بوجود العصيان فسبحان الواسع الرحمة والعظيم المنة * واعلم انه لابد في مملكته من عباد هم نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لولم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم وقوله عليه السلام شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي * وجاء رجل الى الشيخ أبي الحسن رحمه الله فقال ياسيدي كان البارحة بحوارنا من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب أن يكون هذا فقال ياهذا كانك تريد أن لا يعصى الله في مملكته من أحب أن لا يعصى الله في مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته وأن لا تكون شفاعة رسول الله عليه السلام انتهى كلام الشيخ وكم من مذنب كثرت اساءته وزلة محا الفته أوجبت له الرحمة من ربه فكن له راجيا وبقدر ايمانه وان عصى عالما * (القسم الثاني) * من أقسام الادخار ادخار المقتصدين وهم الذين لم يدخروا استكثارا ولا مباهاة ولا افتخارا انما علموا من نفوسهم الاضطراب عند الفقر فعلموا انهم ان لم يدخروا تشوش عليهم ايمانهم وتزلزل ايقانهم فادخروا لضعفهم عن حال المتوكلين وعلما منهم بعجزهم عن مقام اليقين وقد قال رسول الله عليه السلام المؤمن القوي خير عند الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير * فالمؤمن القوي هو الذي أشرق في قلبه نور اليقين فعلم ان الله تعالى سائق اليه رزقه ادخر أو لم يدخر وانه ان لم يدخر ادخر له الحق تعالى وان المدخرين محالون على مدخراتهم وأهل التوكل محالون على الله لا على شئ دونه فالمؤمن القوي من لم يستند الى الاسباب سواء كان فيها أو لم يكن والمؤمن الضعيف الداخل في الاسباب مع المراكنة والخارج عنها مع التطلع اليها * (القسم الثالث) * بالنسبة الى الادخار وعدمه السابقون وهم الذين سبقوا الى الله ليخلص قلوبهم مما سواه فلم تعقهم العوائق ولم تشغلهم عن الله العلائق فسبقوا الى الله اذ لا مانع لهم وانما منع العباد من السبق الى الله تعالى جواذب التعلق بغير الله فكلما دعت قلوبهم أن ترحل الى الله جذبها ذلك التعلق الى مابه تعلقت فكرت راجعة اليه ومقبلة عليه فالحضرة محرمة على من هذا وصفه ومحمية عمن هذا نعته * قال بعض العارفين أتظن أن تدخل الى الحضرة الالاهية وشئ من ورائك يجذبك وافهم ههنا قوله سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وان القلب السليم هو الذي لا تعلق له بشئ دون الله تعالى وقوله سبحانه وتعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة يفهم منه أيضا أنه لا يصح مجيئك الى الله تعالى بالوصول اليه الا اذا كنت فردا مما سواه وقوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى يفهم منه انه لا يأويك اليه الا اذا صح يتمك مما سواه وقوله عليه السلام ان الله وتر يحب الوتر أي يحب القلب الذي لا يشفع بشوبات الآثار فكانت هذه القلوب لله وبالله تركوا الله يتصرف لهم فلم يكلهم الى أنفسهم ولم يدعهم لتدبيرهم فهم أهل الحضرة المفتاحون بعين المنة لا تقطعهم عن الله محاسن الآثار ولا تشغلهم عنه بهجة الحسن المعار ولنا في هذا المعنى يا بهجة الحسن التي ماثلها * من بهجة طرحت على الاكوان

لي فيك معنى ما تدى سره * الا ثني طرفي ومد عناني

وقال بعضهم لو كلفت ان أرى غيره لم يستطع لانه لا غير معه حتى أشهده معه وهذا حال أقوام تولتهم الرعاية واكتنفتهم العناية فاي تدبير هم وهؤلاء أم كيف يمكن هؤلاء ان يكونوا من المدخرين وهم في حضرة رب العالمين وان ادخروا لم يكونوا على ما ادخروه معتمدين أم كيف يمكنهم أن يكونوا الى سواه مستندين وهم لوجود الاحدية مشاهدون * قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله قوي على الشهود مرة فسالت

أن يكون كسائك حلة الايمان وزينك بزينة العرفان ان تستولي عليك الغفلة والنسيان حتى تميل الى الاكوان أو تطلب من غيره وجود الاحسان وقبيح بالمؤمن ان

ينزل حاجته بغير مولاه مع علمه بوحدانيته وانفراده بربوبيته وهو يسمع قوله

تعالى أليس الله بكاف عبده وليذكر قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ومن العقود التي عاقدته عليها ان لا ترفع حوائجك الا اليه ولا تتوكل الا عليه ورفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء وأقيموا الوزن بالقسط فيظهر الصادق بصدقه والمدعي بكذبه وقد ابتلى الله تعالى بحكمته ووجود منته الفقراء الذين ليسوا بصادقين باظهار ما كنوه من الرغبة وأسروه من الشهوة فابتذلوا أنفسهم لابناء الدنيا مباسطين لهم موافقين لهم على ما ربهم مدفوعين عن أبوابهم فترى الواحد منهم يتزين كما تتزين العروس معتنون باصلاح ظواهرهم غافلون عن اصلاح سرائرهم ولقد وسمهم الحق وسمة كشف بها عوارهم وأظهر أخبارهم فيعدان كانت نسبتهم مع الله ان لو صدق مع الله أن يقال له عبد الكبير فاخرج عن هذه النسبة فصار يقال له شيخ الامير أولئك الكاذبون على الله تعالى الصادون العباد عن محبة أولياء الله لان ما يشهده العوام منهم يحملونه على كل منتسب الى الله صادق وغير صادق فهم حجب أهل التحقيق وسحب نمس أهل التوفيق ضربوا طبولهم ونشروا أعلامهم ولبسوا درعهم فاذا وقعت الحملة ولوا على أعقابهم ناكصين ألسنتهم منطلقة بالدعوى وقلوبهم خالية من التقوى ألم يسمعوا

جواز

أن يسترذلك عني فقيل لو سالته بما سأله موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد صفيه لم يفعل ولكن سله أن يقويك فسالته فقواني فمن كان هذا حاله فكيف يحتاج الى الادخار أم كيف يمكنه أن يستند الى الاغيار وكفى بالمؤمن أن يدخر ايمانا بالله وثقة به وتوكلا عليه وأهل الفهم عن الله توكلوا على الله فكان هو المدخر لهم واستحفظوه فكان هو الحافظ لهم وكانوا له وبه فكان بمعونته لهم فكفاهم ما أهمهم وصرف عنهم ما أغمهم اشتغلوا بما أمرهم بما ضمن لهم علمانهم بانه لا يكلهم اليهم ومن فضله لا يمنعهم فدخلوا في الراحة ووقعوا في جنة التسليم ولذاذة التفويض فرفع الله بذلك مقدارهم وكمل أنوارهم ويحق أن يرفع المحاسبة عنهم بفضله كما قال رسول الله عليه السلام سبعون ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وكيف يحاسب من لا شيء له أم كيف يسأل عن فعله من شهد انه لا فعل له وانما يحاسب المدعون وينا قش الغافلون الذين يشهدون أنهم مالكون أو مع الله فاعلون ومن لم يدخر ثقة بالله وتوكلا عليه ساق الله له رزقه بوجود الهنا وأوجد في قلبه وجود الغنا * أفلس بعض العارفين فقال لزوجته أخرجي كل ما في البيت فتصدق به ففعلت الا الرحا فانها قالت لعلنا نحتاج اليها ولا نجد مثلها فهي قد فعلت واذا بالباب قد دق فقيل هذا قمح أرسل الى الشيخ فلأت الدار قمحا فلما رجع العارف ونظر قال أخرجت كل ما في البيت قالت نعم قال وليس الامر كذلك فقالت ما تركت الا الرحا خيفة أن نحتاج اليها فقال لو أخرجت الرحا لجاءك دقيق ولكن أبقيتها فجاءك ما به تتعبين فان ادخر السابقون فلا لانفسهم ولكن ادخارا أمانة لانهم خزان أمناء وعبيد كبراء ان أمسكوا الدنيا أمسكوها بحق وان بذلوها بذلوها بحق وليس الممسك لها بحق بدون الباذل لها بحق ولا يشهدون انهم مع الله مالكون بل ما في أيديهم يشهدونه من ودائع الله ويتصرفون فيها بالنيابة عن الله سمعوا قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فعلموا انه لا مالك لهم مع الله وانما هي نسبة أضيفت اليك واضافة منة من بها عليك ليرى كيف تعمل وهو العليم الخبير أتقف مع ظاهرها أم تتفقد الى أسرارها ولذلك كان الانبياء عليهم السلام لا تجب عليهم الزكاة لانهم لا مالك لهم مع الله حتى تجب عليهم الزكاة فيه وانما تجب عليك زكاة ما أنت له مالك انما يشهدون ما في أيديهم من ودائع الله تعالى لهم يبذلونه في أوان بذله ويمنعونه من غير محله ولان الزكاة انما هي طهرة لما عساه أن يكون ممن وجبت عليه لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء عليهم السلام مبرؤن من الدنس لوجود العصمة ولاجل ذلك لم يوجب أبو حنيفة رحمه الله على الصبيان زكاة لعدم دنس المخالفة والمخالفة لا تكون الا بعد جريان التكليف وذلك بعد البلوغ وافهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة يتبين لك ما ذكرناه ويتضح ما قررناه واذا كان أهل المعرفة بالله تعالى المشاهدون لاحديته لا يشهدون لهم مع الله ملكا فما ظنك بالانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأهل التوحيد والمعرفة انما غرفوا من بحارهم واقتبسوا من أنوارهم * يحكى ان الشافعي وأحمد رحمهما الله كانا جالسين اذ أقبل شيبان الراعي رحمه الله فقال أحمد للشافعي أريد أن أسأل هذا المشار اليه في هذا الزمن فقال الشافعي لا تفعل فقال لا بد من ذلك فقال يا شيبان ما تقول فيمن نسي أربع سجدات من أربع ركعات فقال يا أحمد هذا قلب غافل عن الله عز وجل يجب أن يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك فخر أحمد مغشيا عليه ثم أفاق ثم سأله فقال ما تقول فيمن له أربعون شاة مازكاتها فقال على مذهبنا أو مذهبكم فقال وهما مذهبان قال نعم قال أما على مذهبكم ففي الاربعين شاة شاة وأما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيأ وقد جاء في الحديث ان النبي عليه السلام ادخر قوت سنة فاما أن يكون ذلك لما قلناه أولا من أن ادخار الانبياء عليهم السلام انما هو امساك بالامانة مختارين له وقتا يصلح انفاقه وانما ادخر رسول الله عليه السلام لاجل عائلته أو ليبين

قوله سبحانه وتعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم أترى اذا سأل الصادقين أيترك المدعين من غير سؤال ألم يسمعوا قوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فهم (٥١) فى اظهار زى الصادقين وعملهم عمل المعرضين قال الله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها فاعلم ان باب الرزق طاعة الرازق فكيف يطلب منه بمعصيته أم كيف يستمر فضله بمخالفته وقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام لا ينال ما عند الله بسخطه أى لا يطلب رزقه الا برضاه وقد قال تعالى مبينا لذلك بقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولهذا المعنى قال الشيخ أبو العباس رضى الله تعالى عنه فى حزبه لما قال واعطنا كذا وكذا قال والرزق الهنى الذى لا حجاب به فى الدنيا ولا حساب ولا سؤال ولا عقاب عليه فى الآخرة على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع واحذر من التدبير مع الله فمثال المدبر مع الله كعبد أرسله السيد الى بلد ليصنع له ثيابا فدخل العبد تلك البلدة فقال أين أسكن ومن أتزوج فاشتغل بذلك وصرف همته لما هنالك وعطل ما أمره السيد به حتى دعاه اليه فجزاؤه من السيد ان جازاه القطيعة ووجود الخيبة لاشتغاله بأمر نفسه عن حق سيده كذلك أنت أيها المؤمن أخرجك الحق الى هذه الدار وأمرك فيها بخدمته وقام لك بوجود التدبير منه لك فان اشتغلت فيها بتدبير نفسك عن حق سيدك فقد عدلت عن سبيل الهدى وسلكت مسالك الردى ومثال المدبر مع الله والذى لا يدبر مع الله كعبدين للملك اما أحدهما فيشتغل بأوامر سيده

جواز الادخار لامته فانه اذا لم تقع الحوالة عليه لنافى التوكل ومما يدلك على ان المراد انما كان ليبين جوازه انه كان عليه السلام أغلب أحواله عدم الادخار وانما ادخر توسعة على أمته ورحمة بهم واشفاقا على الضعفاء منهم اذ لو لم يدخر لم يكن لمؤمن أن يدخر بعده ففعل ذلك ليبين حكمه وقد قال عليه السلام انى لا أنسى أو أنسى لاسن فبين لك صلى الله عليه وسلم ان النسيان ليس من شأنه ولا من وصفه وانما يدخل فيه ليبين حكمه وما يتعلق به لامته فافهم الحديث *(فائدة)* قوله عليه السلام طالب العلم تكفل الله برزقه اعلم ان العلم حيثما تكرر فى الكتاب العزيز أو فى السنة انما المراد به العلم النافع الذى تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء انما هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى قال الذين أوتوا العلم والراسخون فى العلم وقل رب زدنى علما وقوله عليه السلام ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وقوله عليه السلام العلماء ورثة الانبياء وقوله ههنا طالب العلم تكفل الله برزقه انما المراد بالعلم فى هذا الموطن العلم النافع القاهر للهوى القامع وذلك متعين بالضرورة لان كلام الله تعالى وكلام رسول الله عليه السلام أجل من أن يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك فى غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذى يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما به أمر الله اذا كان تعلمه لله فقوله عليه السلام طالب العلم تكفل الله برزقه أى تكفل له ان يوصله له مع الهناء والعزة والسلامة من الحجبة وانما أولنا هذا التأويل وان معنى التكفل تكفل خاص وذلك لان الحق سبحانه وتعالى متكفل برزق العباد أجمع طلبوا هذا العلم أو لم يطلبوه فدل على ان هذه الكفالة كفالة خاصة كما ذكرنا لانه أفردها بالذكر * ولهذا المعنى قال الشيخ أبو العباس فى حزبه لما قال وأعطنا كذا وكذا قال والرزق الهنى الذى لا حجاب به فى الدنيا ولا حساب ولا سؤال ولا عقاب عليه فى الآخرة على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع * فسأل من الله الرزق الهنى وهو الرزق المتكفل به لطالب العلم ثم فسر الرزق الهنى بانه الذى لا حجاب معه فى الدنيا ولا حساب له فى الآخرة لان ما وقعت فيه الحجبة فلا هناء فيه اذ الحجبة توجب تكسر السر بالمنع عن المحاضرة والصد عن المفاتحة لا على ما يفهمه العموم من ان الرزق الهنى الذى حصل من غير وجود تعب ولا نصب فالهناء عند أهل الغفلة فيما يرجع الى الابدان وعند أهل الفهم فيما يرجع الى القلوب ووقوع الحجبة فى الرزق اما بشهود الغفلة والاسباب عن الله تعالى واما بان تتناوله ليس قصدك التقوى على طاعة الله تعالى فالاول حجبة فى الحصول والثانى حجبة فى التناول وقول الشيخ ولا سؤال ولا حساب ولا عقاب عليه فى الآخرة فالسؤال يكون عن حقوق النعم لقوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وأكل النبى عليه السلام وبعض أصحابه طعاما ثم قال والله لتسألن عن نعيم هذا اليوم وكان الشيخ رحمه الله يقول السؤال على قسمين سؤال تشريف وسؤال تعنيف فسؤال أهل الموافقة والعناية سؤال التشريف وسؤال أهل الغفلة عن الله والاعراض عنه سؤال التعنيف وافهم رحمك الله ان الحق سبحانه وتعالى انما يسأل أهل الصدق وان كان هو العالم باخبارهم وبخفى أسرارهم ليظهر مرتبة صدقهم للعباد وينشر محاسنهم فى المعاد كما يقول السيد لعبده ماذا صنعت فى أمر كذا وكذا وهو يعلم أنه أحكمه وأتقنه ولكن أراد أن يعلم الحاضرون اعتناءه بأمره وقيامه وعنايته بشأنه فافهم (وقول الشيخ رحمه الله) ولا حساب فالحساب هو نتيجة السؤال واذا سلموا من السؤال سلموا من الحساب واذا سلموا من السؤال والحساب سلموا من المعاقبة فذكرها الشيخ رحمه الله وان كانت ملازمة ليتبين ما يستلزم هذا الرزق من المنن التى لو انفردت واحدة منها لكان حريا أن تطلب وقول الشيخ رحمه الله على بساط علم التوحيد أى على ان أشهدك فيما رزقتنى وأراك فيما أطعمتنى فلا أشهد ذلك من

لا يلتفت الى ملبس ولا مأكل بل انما همته خدمة السيد فاشغله ذلك عن التفرغ لحظوظ نفسه وأما العبد الآخر فكيف ما طلبه سيده وجده

غيرك ولا أضيفه لاحد من خلقك وكذلك أهل الله لا يا كلون الا على مائدة الله أطعمهم من أطعمهم لعلمهم ان غير الله تعالى لا يملك معه شيأ فيسقط بذلك شهود الخلق عن قلوبهم فلم يصرفوا لغير الله حبهم ولا وجهوا الى سواه ودهم اذ رأوا أنه هو الذي أطعمهم ومنحهم من فضله وأكرمهم قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله يوما انا نحن لا نحب الا الله تعالى أي لا يتوجه الحب منا الى الخلق فقال له رجل قد أبى ذلك جدك يا سيدي بقوله عليه السلام جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فقال نعم نحن قوم لا نرى المحسن الا الله تعالى فلذلك جبلت قلوبنا على محبته ومن رأى ان المطعم هو الله سبحانه وتعالى تجدد عنده مزيد الحب على حسب ما يتجدد من تناول النعم لقوله عليه السلام أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وقد سبق بيانه ومن رأى ان الله هو المطعم له صانته هذه المطالعة عن الذل للخلق أو أنه يميل قلبه بالحب لغير الملك الحق ألم تسمع قول ابراهيم الخليل عليه السلام والذي هو يطعمني ويسقين فشهد لله تعالى بانفراده بذلك واعترف له تعالى بوحدانيته فيه (وقول) الشيخ رحمه الله على بساط علم التوحيد والشرع لان من استرسل من اطلاق التوحيد ورأى ان الملك لله وان لا ملك لغيره معه ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به في بحر الزندقة وعاد حاله بالوبال عليه ولكن الشأن أن يكون بالحقيقة مؤيدا بالشريعة مقيدا وكذلك المحقق فلا منطلق مع الحقيقة ولا واقف مع ظاهر اسناد الشريعة وكان بين ذلك قواما فالوقوف مع ظواهر الاسناد شرك والانطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل ومقام أهل الهداية فيما بين ذلك من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين

(فصل) واعلم أنه يرد في شأن الرزق أمور ويعرض فيه عوارض وقد ذكر الشيخ رحمه الله كثيرا منها بقوله وسخر لي أمر هذا الرزق واعصمني من الحرص والتعب في طلبه ومن شغل القلب وتعلق الهم به ومن الذل للخلق بسببه ومن التفكر والتدبير في تحصيله ومن الشح والبخل بعد حصوله وليس العوارض الواردة في شأن الرزق بمنحصرة حتى تستوفى فلنتكلم على ما قاله الشيخ رحمه الله * فاعلم ان للعبد بالنسبة الى الرزق ثلاثة أحوال حال قبل أن يرزقه وهي حالة السعي وحال بعد ذلك وهي حالة الحصول وحال بعد انقضائه وهي الحالة الثالثة فاما ما يعرض قبل حصوله فالحرص والتعب في طلبه وشغل القلب وتعلق الهم به والذل للخلق بسببه والتفكر والتدبير في تحصيله فاما الحرص فهو الرغبة القائمة بالنفس في التحصيل له والانكباب على ذلك وهو ينشأ عن فقدان الثقة وضعف اليقين وهما ناشئان عن فقدان النور وفقدان النور ناشئ عن وجود الحجبة اذ لو كان القلب بانوار المشاهدة معمورا وبمن الله مغمورا لم تطرقه طوارق الحرص ولو انبسط نور اليقين على القلب لكشف له عن سابق القسمة فلم يمكنه الحرص وعلم العبد أن له عند الله قسمة لا بد أن يوصلها اليه وأما التعب في طلبه فاما أن يكون تعب الظواهر ويكون الاستعاذة منه الى الله تعالى لانه اذا استولى على الطالب للرزق التعب في الظاهر شغله ذلك عن القيام بالاوامر والرزق مع الراحة فيه اعانة على التفرغ الى طاعة الله تعالى والقيام بخدمته وان كان التعب هو تعب القلوب لا تعب الظواهر فهو أولى بان يستعاذ منه وذلك لان القلوب يتعبها تكلفها في طلب الرزق والفكرة فيه ويثقلها ما جلت من ذلك ولا راحة لها الا بالتوكل على الله لان المتوكل على الله وضع أثقاله والله تعالى يحملها عنه لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه * ثم قال الشيخ رضي الله عنه ومن شغل القلب وتعلق الهم به فشغل القلب بامر الرزق قاطع عظيم حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله أكثر ما حجب الخلق عن الله تعالى شيآن هم الرزق وخوف الخلق وهم الرزق أشد الحجابين وذلك ان أكثر الناس قد يخلو من هم خوف الخلق ولا يخلو من هم الرزق الا قليل لا سيما وشاهد الفاقة قائم بوجودك وأنت مفتقر الى ما يقيم بنيتك ويشد قوتك (وقوله) وتعلق الهم به أي تعلق الهمة بامر الرزق توجها واستغرافا حتى

كذلك العبد البصير الموفق لا تراه الا مشغولا بحقوق الله وامتثال أوامره عن محاب نفسه ومهماتها فلما كان كذلك قام له الحق سبحانه وتعالى بكل أموره وتوجه له بجزيل عطائه لصدقه في توكله لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه والغافل ليس كذلك لا تجده الا في تحصيل دنياه وفي الاشياء التي توصله الى هواه ومثال العبد مع الله في هذه الدار كالطفل مع أمه ولم تكن الام لتدع تدبير ولدها في كفالتها ولا ان تخرجه من رعايتها كذلك المؤمن مع الله قائم له بحسن الكفالة فهو سائق اليه المزود دافع عنه المحن ومثال العبد في الدنيا كمثل عبد قال له السيد اذهب الى أرض كذا وكذا واحكم أمرك لان تسافر منها في برية كذا وكذا وخذ أهبتك وعدتك فاذا أذن له السيد في ذلك فعلوم انه قد أباح له أن يأكل ما يستعين به على اقامة بنيته ليسعى في طلب العدة وليقوم بوجود الاهبة كذلك العبد مع الله أوجده في هذه الدار وأمره أن يتزود منها لمعاده فقال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فعلوم انه اذا أمره بالزاد للآخرة فقد أباح له أن يأخذ من الدنيا ما يستعين به على تزوده الى الآخرة واستعداده وتأهبه لمعاده ومثال العبد مع الله كمثل أجير أتى به ملك الى داره وأمره أن يعمل عملا فما كان الملك ليأتي بالاجير ويستخدمه

في داره ويتركه من غير تغذية اذ هو أكرم من ذلك فكذلك العبد مع الله فالدنيا دار الله والاجير هو أنت والعمل هو الطاعة والاجرة هي الجنة ولم يكن الله ليأمرك بالعمل ولا يسوق لك ما به تستعين عليه الا لخير لك ومثال العبد مع الله تعالى كمثل عبد أمره الملك ان يقيم في أرض كذا ويحارب فيها العدو ويجاهده فيها فعلوم انه اذا أمره بذلك أباح له ان يأكل من مخازن تلك الارض بالامانة ليستعين به على محاربة العدو وكذلك العباد أمرهم الحق سبحانه وتعالى بمحاربة النفس والشيطان ومجاهدتهما لقوله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلما أمر العبد بمحاربته أذن له ان يتناول من منابت أرضه ما يستعين به على محاربة الشيطان اذ لو تركت المأكل والمشرب لم يمكنك ان تقوم بطاعته ولا ان تنهض لخدمته ومثال العبد مع الله كمثل ملك له عبد فبنى دارا وبهجها وحسنها وتولى غراسها وكمل المشتهيات فيها في غير الموطن الذي فيه العبيد وهو يريد أن ينقلهم اليها أترى اذا كانت هذه عنايته بهم فيما ادخر لهم عنده وهيأه لهم بعد الرحلة أيمنعهم ههنا أن يتناولوا من منه وفضلات طعامه وهو قد هيأ لهم الامر العظيم والفضل الجسيم كذلك العباد مع الله جعلهم في الدنيا وهيأ لهم الجنة فلا يريد أن يمنعهم من الدنيا ولكن ما يقيم به وجودهم فقال تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الناس كلوا من طيبات ما رزقناكم واذا ادخرلك الباقي ومن عليك به لا يمنعك الفاني فانما يمنعك ما لم يقسمه لك وما لم يقسمه لك فليس لك ومثال المهموم بأمر

لا يبقى فيه متسع لغيره وهذه حالة توجب القطيعة وتكسف أنوار الوصلة وتنادي على صاحبها بخراب قلبه من نور اليقين وفلسه من القوة والتمكين (وقوله) ومن الذل للخلق بسببه فاعلم ان من ضعف يقينه وقل من قسمة العقل نصيبه فالذلة لازمة له لطمعه في الخلق ولعدم ثقته بالملك الحق وذلك لانه لم يشهد سابق قسمة الله تعالى ولم يظفر بصدق وعده فذل للخلق متملقا ولهم متعلقا وذلك عقوبة الغفلة عن الله تعالى ولعذاب الآخرة أشد ولو صح ايمانه وثقته بالله لكان بذلك عزيزا ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فعزة المؤمن بربه لا يعتز بغيره لعلمه ان العزة لله جميعا وانه العزيز فلا عزيز معه والمعز فلا معز معه فاعزته الثقة ونصره التوكل فلم يهن لصدق ثقته بربه في قسمته ولم يحزن لاعتماده عليه في وجود منته سامعا قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فعزة المؤمن بترك الطمع في الخلق ووجود الثقة بالملك الحق أبى له ايمانه أن يرفع حاجته لغير ربه أو أن يصرف لما سواه قلبه ولذلك قال بعضهم

حرام على من وحد الله ربه * وأفرده أن يجتدي أحدا رفدا
ويا صاحبي قفا لي مع الحق وقفة * أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا
وقل للملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

ومن حرره الله من رق الطمع وأعزه بوجود الورع فقد أجزل عليه منته وكمل عليه همته واعلم ان الله قد كساك أيها المؤمن خلعا عديدة منها خلعة الايمان والمعرفة والطاعة والسنة فلا تدنسها بالطمع في المخلوقين وبالاستناد الى غير رب العالمين قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله رأيت النبي عليه السلام في المنام فقال لي يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمد الله في كل نفس فقلت يا رسول الله وما ثيابي فقال اعلم ان الله تعالى كساك حلة الايمان وحلة المعرفة وحلة التوحيد وحلة المحبة قال ففهمت حينئذ قوله تعالى وثيابك فطهر فمن عرف الله صغر لديه كل شئ ومن أحب الله هان عليه كل شئ ومن وحد الله لم يشرك به شيأ ومن آمن بالله أمن من كل شئ ومن أسلم لله قل ما يعصيه وان عصاه اعتذر اليه وان اعتذر اليه قبل عذره واعلم رحمك الله ان رفع الهمة لسالكي طريق الآخرة عن الخلق وعدم التعرض لهم أزين لهم من الحلي للعروس وهم أحوج اليه من الماء لحياة النفوس ومن خلعت عليه خلعة الملك فحفظها وصانها فحري أن تدام له وأن لا تسلب عنه والمدنس لخلع المواهب فحري أن لا تترك له فلا تدنس أيها الاخ ايمانك بطمعك في المخلوقين ولا تجعل اعتمادك الا على رب العالمين فان اعززت بالله دام عزك بدوام من اعززت به وان اعززت بغيره فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لمن أنت به معتز انشد لي بعض الفضلاء لنفسه

لكن بربك كل عز * لم يستقر ويثبت
فان اعززت بمن يموت فان عزك ميت

ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال ما شأنك قال مات أستاذي فقال له ذلك العارف ولم جعلت أستاذك من يموت ويقال لك اذا اعززت بغير الله فقدته واذا استندت الى غيره عدمته وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شئ علما وكن أيها العبد ابراهيميا فقد قال أبوك ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه لا أحب الآفلين وما سوى الله تعالى آفل اما وجودا واما امكانا وقد قال الله تعالى ملة أبيكم ابراهيم أي اتبعوا ملة أبيكم ابراهيم فواجب على المؤمن أن يتبع ملة ابراهيم ومن ملة ابراهيم رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به في المنجنيق تعرض له جبرائيل عليه السلام فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى قال سله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فانظر كيف رفع ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه همته عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم يستغث بجبرائيل ولا احتال على السؤال من الله تعالى بل رأى الحق أقرب اليه من جبرائيل ومن سؤاله فلذلك سلمه من النمرود ونكاله وأنعم

دنياه الغافل عن التزود للاخراه كمثل انسان جاءه سبع وهو يريد أن يفترسه ووقع عليه ذباب فاشتغل بذب الذباب ودفعه عن التحرز من السبع
والحق ان هذا عبد أحمق فاقد وجود العقل ولو كان متصفا بالعقل لشغله أمر الاسد وصولته وهجومه عليه عن الفكرة
في الذباب كذلك المهتم بامر دنياه عن التزود للآخرة دل ذلك منه على وجود حمقه اذ لو كان فهما عاقلا لتأهب للدار الآخرة التي هو مسؤل عنها وموقوف عليها فلا يشتغل بامر الرزق فان الاهتمام به بالنسبة للآخرة نسبة الذباب الى مفاجاة الاسد وهجومه ومثال المدخر للامانة كعبد الملك لا يرى ان له مع سيده شيأ ولا يعتمد على ادخار ما في يده ولا بد له منه بل على ما يختاره السيد له فاذا فهم هذا العبد ان الامساك مراد السيد أمسك لسيده لا لنفسه حتى يختبر موضع صرفه فيكون له صار فاحين يفهم من سيده ارادة صرفه فهذا بامساكه غير ملوم لانه أمسك لسيده لا لنفسه كذلك أهل المعرفة بالله ان بذلوا ففيه وان أمسكوا فلله يبتغون فما فيه رضاه لا يريدون ببذلهم وامساكهم الا اياه فهم خزان امناء وعبيد كبراء وابرار كرماء قد حررهم الحق من رق الآثار فلم يميلوا اليها بحب ولم يقبلوا عليها بود ومنعهم من ذلك ما أسكنه في قلوبهم من حب الله ووده وما امتلأت به صدورهم من عظمته ومجده فصارت الاشياء في أيديهم كهي في خزائن الله من قبل أن تصل اليهم علما منهم بان الله تعالى ملكهم وملك ما ملكهم * بيان للمعتبرين وهداية للمستبصرين وهو أن من خرج من تدبيره لنفسه كان الله هو المتولي بحسن التدبير له والتدبير على قسمين تدبير محمود وتدبير مذموم فالتدبير

عليه بنواله وافضاله وخصه بوجود اقباله ومن ملة ابراهيم معاداة كل ما يشغل عن الله وصرف الهمة بالرد الى الله تعالى لقوله فانهم عدو لي الا رب العالمين والغنى ان أردت الدلالة عليه فهو في الياس من الناس ولقد قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله أيست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا أيأس من نفع غيري لنفسي و رجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي وهذا هو الكيمياء والاكسير الذي من حصل له حصل له غنى لا فاقة فيه وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاد له وهو كيمياء أهل الفهم عن الله تعالى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله صحبني انسان وكان ثقيلا على فبسطته فانبسط فقلت له يا ولدي ما حاجتك ولم صحبتني قال يا سيدي قيل لي انك تعلم الكيمياء فصحبتك لاتعلم منك فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكن اخالك أن لا تقبل فقال بلى أقبل فقلت له نظرت الى الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء فنظرت الى الاعداء فعلمت أنهم لا يستطيعون أن يشوكوني بشوكة لم يردني الله بها فقطعت نظري عنهم ثم تعلقت بالاحباء فرأيتهم لا يستطيعون أن ينفعوني بشيء لم يردني الله به فقطعت اياسي منهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لي انك لن تصل الى حقيقة هذا الامر حتى لا تشك فينا ولا تيأس من غيرنا أن يعطيك غير ما قسمناه لك * وقال مرة أخرى رحمه الله لما سئل عن الكيمياء فقال أخرج الطمع من قلبك واقطع يأسك من ربك أن يعطيك غير ما قسم لك وليس يدل على شعار العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده وانما يدل على نوره غناه بربه وانحباسه اليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الاعمال وتزكو الاحوال قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا فحسن الاعمال انما هو بالفهم عن الله والفهم هو ما ذكرناه من الاغتناء بالله والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه والدوام بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ما سواه وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ما طهره الا الياس منهم ورفع الهمة عنهم وقدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فاقامهم حتى جاء الى الحسن البصري فقال يا فتى اني سائلك عن شيء فان أجبت عنه أبقيتك والا أفقتك كما أفقت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت فقال له علي رضي الله تعالى عنه ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس * وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول كنت في ابتداء أمري بثغر الاسكندرية فجئت الى بعض من يعرفني فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت في نفسي لعله لا ياخذه مني فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع أبدا ألا ترى حروفه كيف هي مجوفة الطاء واللام والعين فعلى أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم في شان الرزق فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته ظهورك * واسمع ما قال بعض المشايخ أيها الرجل ما قدر لما ضغينك أن يضغاه فلا بد أن يمضغاه فكله بعز ولا تاكله بذل * اعلم ان من عرف الله وثق بضمانه وكفالته وانه لا يكمل فهم العبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يديه وبضمان الحق أوثق منه بضمان الخلق ويكفيك جهلا أن لا تكون كذلك ورأى بعضهم رجلا يلازم الجامع ولا يخرج عنه فتعجب من ملازمته وفكر في نفسه من أين يا كل فقال له يرما من أين تا كل فقال له ذلك الرجل ان لي صاحبا يهوديا وعدني كل يوم برغيفين فهو يا تيني بهما فقال له ذلك اذا فقال له ذلك العارف يا مسكين وثقت لي بوعد يهودي وما وثقت لي بوعد الله سبحانه وتعالى وهو الصادق الوعد الذي لا يخلف الميعاد وقد قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فاستحيا منه ذلك الرجل وذهب * وعن آخر انه صلى خلف امام أياما فقال له الامام يوما وقد تعجب من ملازمته المسجد وتركه الاسباب من أين تا كل فقال قف حتى أعيد صلاتي فاني لا أصلي خلف من شك في الله والحكايات في هذا كثيرة * قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله

المذموم هو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها ليس لله فيه شئ كالتدبير في تحصيل معصية أو في حظ بوجود غفلة أو طاعة بوجود رياء وسمعة ونحو هذا فهذا كله مذموم لانه اما موجب عقابا واما موجب حجابا ومن عرف نعمة العقل استحيا من الله سبحانه أن يصرف عقله الى تدبير ما لا يوصله الى قربه ولا يكون سببا لوجود حبه والعقل أفضل ما من الله به على عباده لانه سبحانه خلق الموجودات وتفضل عليها بالايجاد ودوام الامداد فاشتركت الموجودات في ايجاده وامداده فلما اشتركت أراد الحق سبحانه ان يميز الآدمي عنهم فاعطاه العقل وأيده به وفضله بذلك على الحيوان وأكمل به نعمته على الانسان وبالعقل ووفوره واشراقه ونوره تتم مصالح الدنيا والآخرة فصرف نعمة العقل الى تدبير الدنيا التي لا قدر لها عند الله تعالى كفر لنعمة العقل وتوجهه الى الاهتمام باصلاح شأنه في معاده قياما بشكر المحسن اليه والمفيض من نوره عليه أحق به وأحرى وأفضل له وأولى فلا تصرف عقلك الذي من الله به عليك في تدبير الدنيا التي هي كما أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الدنيا جيفة قذرة وكما قال الضحاك ما طعامك قال اللحم واللبن قال ثم يعودان الى ماذا قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله قد جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا والتدبير المحمود هو ما كان تدبيرا الى ما يقربك الى الله سبحانه وتعالى كالتدبير في براءة الذمة من حقوق المخلوقين اما وفاء واما استحلالا وتصحيح التوبة الى رب العالمين والفكرة فيما يؤدي الى قمع الهوى المردي والشيطان الغوي فهذا كله محمود لا شك فيه ولذلك قال

الله عنه لو ان انسانا أدخل بيتا وطين ذلك البيت عليه من أين يأتيه رزقه فقال يأتيه رزقه من حيث يأتيه أجله فانظر هذه الحجة ما أبهرها وهذه البينة ما أظهرها (وقول) الشيخ رحمه الله ومن التفكر والتدبير في تحصيله فالتفكر ان تستحضر في نفسك انه لا بد لك من غذاء يقيم بنيتك والتدبير أن تقول هو من وجه كذا وكذا الا ولكن هو من وجه كذا وكذا ويكثر ذلك ويتردد على القلب حتى لا تدري ان كنت مصليا ما اذا صليت أو تاليا ما اذا تلوت فتتكدر عليك تلك الطاعة التي أنت فيها وتحرم أنوارها وتمنع أسرارها فاذا ورد عليك ذلك فاهدم بناءه بفاس الثقة وذكه بوجود اليقين واعلم رحمك الله ان الله تعالى قد تولى تدبيرك من قبل ان تكون وانك ان أردت نصح نفسك فلا تدبر لها فان التدبير منك لها اضرار بها اذ ذاك مما يوجب احالتك عليك ويمنع امداد اللطف أن يصل اليك والمؤمن لا يدعه الحق سبحانه وتعالى لوجود التدبير ولا لمنازعة المقادير فان عرض ذلك عليك أو خطر فلا تثبت له فان نور الايمان لا يدعه لذلك وكان حقا علينا نصر المؤمنين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (وقول) الشيخ رحمه الله ومن الشح والبخل بعد حصوله فهذان من العوارض بعد الحصول وهما ينشئان عن ضعف اليقين وعدم الثقة فحينئذ يكون الشح ويقع البخل وقد ذم الله تعالى الشح والبخل كليهما في كتابه العزيز فقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ففهومه ان صاحب الشح لا فلاح له أي لا نور له والفلاح هو النور وقال تعالى في وصف المنافقين أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم وقال تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون وقال تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والبخل والشح يطلق على أقسام ثلاثة *(الاول)* أن تبخل بما في يدك أن تبذله في واجبات الله تعالى *(الثاني)* أن تبخل به ولم يتعلق بذلك الوجوب على عباد الله *(الثالث)* أن تبخل بنفسك أن تبذلها لله تعالى * والبخل الاول هو أن تبخل فلا تؤتي الزكاة وقد خوطبت بها أولا تقوم بحق وقد تعين عليك من نفقات الابوين في فقرهما والاولاد في فقرهم وصغرهم وكنفقات الزوجات وبالجملة فكل حق أوجب الله عليك القيام به فتخلفك عنه مما يطلق عليك لسان الذم وتستحق به العقوبة وفي ذلك جاء قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم قال أهل العلم الكنز هو المال الذي لا تؤدى زكاته فاذا أديت زكاته لا يكون كنزا معناه لا يدخل تحت هذا الوعيد ولا يطلق عليه لسان الذم *القسم الثاني البخل بالبذل فيما لم يتعلق به الوجوب كمن أخرج زكاة ماله ثم لم يبذل منه شيا بعد ذلك وهذا وان كان قد فعل ما أمره الله تعالى به من اخراج ما وجب عليه فينبغي أن لا يقتصر عليه فان الاقتصار على الواجبات وترك نوافل الخيرات انما هو حال الضعفاء فلا ينبغي للمؤمن المعتني باصلاح شأنه مع الله تعالى ان يترك معاملة الله تعالى فيما لم يوجبه الله عليه فانه ان كان كذلك كان حاله كمن يصلي الفرائض ولا يقوم بروا تبها ويكفيك أيها العبد قوله تعالى فيما حكاه عنه رسول الله عليه السلام ما تقرب الي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا فقد بين سبحانه وتعالى أن تكرار النوافل والقيام بها يوجب للعبد وجود الحب من الله تعالى والنوافل كل ما لم يطلبك بها لسان ايجاب من صلاة أو صدقة أو حج أو غير ذلك ومثل القائم بالفرائض من الصلوات المقتصر عليها والقائم بها وبالنوافل أو المخرج للزكاة المقتصر عليها والمخرج لها والمؤثر معها كعبدين لسيد جعل عليهما كل يوم خراجا على كل عبد درهمين فاما العبد الواحد فانه يؤتي للسيد بذلك ولا يزيد عليه شيا ولا يهدي له ولا يواده وأما العبد الآخر فانه يقوم للسيد كل يوم بما قام به صاحبه لكن يشتري من الطرف والفواكه ما يهدي الى سيده زائدا عن خراجه فهذا العبد لا محالة أحظى عند السيد وأوفر نصيبا من الحب وأقرب الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة والتدبير للدنيا على قسمين تدبير الدنيا للدنيا وتدبير الدنيا للآخرة فتدبير الدنيا للدنيا هو ان يدبر في أسباب جمعها افتخارا بها واستكثارا لها وكلما زيد فيها شيء ازداد غفلة واغترارا فامارة ذلك ان تشغله عن الموافقة وتؤديه الى المخالفة وتدبير الدنيا للآخرة كمن يدبر المتاجر ليأكل منها حلالا أو لينعم بها على ذي الفاقة افضالا وليصون بها نفسه عن الناس اجمالا فامارة ذلك عدم الاستكثار والادخار والاسعاف والايثار فقد تبين من هذا انه ليس كل طالب للدنيا مذموما بل المذموم من طلبها لنفسه لا لربه ولدنياه لا لآخرته فالناس اذا على قسمين عبد طلب الدنيا للدنيا وعبد طلب الدنيا للآخرة وسمعت شيخنا أبا العباس المرسي رضي الله عنه يقول العارف لا دنيا له ولا آخرة لان دنياه لآخرته وآخرته لربه وعلى هذا تحمل أحوال الصحابة والسلف رضي الله عنهم أجمعين فكلما دخلوا فيه من الاسباب فهم بذلك الى الله متقربون ولرضاه منتسبون لا يقصدون بذلك الدنيا وزينتها ووجود لذاتها ولهذا وصفهم الحق سبحانه وتعالى بقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الآية وما ظنك بقوم يحبهم الله واختارهم الله لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولوا جهة خطابه في تنزيله فما أحد من المؤمنين الى يوم القيامة الا وللصحابة في عنقه منن لا تحصى وأيادي بما لا تنسى لانهم هم الذين حملوا الينا عن النبي صلى الله عليه وسلم الحكم والاحكام وبينوا الحلال من الحرام وفهمنا الخاص والعام وفتحوا

اقبال السيد لان العبد القائم بما خوطب عليه غير متودد للسيد وانما أعطاه اشفاقا من عقوبته والعبد الذي أعطى لسيده ما خاطبه عليه وهاداه بعد ذلك فهو قد سلك مسلك التودد للسيد والتعرض لحبه فهو حري أن يظفر بقربه وحبه وانما جعل الحق تعالى الايجاب على العباد علما منه بما هم عليه من وجود الضعف وبما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فاوجب عليهم ما أوجب لانه لو خيرهم فيما أوجب عليهم لم يكونوا به قائمين الا قليلا وقليل ما هم فاوجب عليهم وجود طاعته وفي التحقيق ما أوجب عليهم الا دخول جنته فساقهم الى الجنة بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل (تنبيه واعلام) اعلم رحمك الله انا لما علمنا الواجبات فرأينا الحق تعالى جعل في كل ما أوجبه تطوعا من جنسه في أي الانواع كان ليكون ذلك التطوع في ذلك الجنس جابرا لما عساه أن يقع من الخلل في قيام العبد بالواجبات وكذلك جاء في الحديث انه ينظر في مفروض صلاة العبد فان نقص منها شيء كمل له من النوافل فافهم رحمك الله هذا ولا تكن مقتصرا على ما فرض الله عليك بل ليكن فيك ناهضة حب توجب اكبابك على معاملة الله فيما لم يوجبه عليك ولو كان العباد لا يجدون في موازينهم الا فعل الواجبات وثواب ترك المحرمات لفاتهم من الخير والمنة ما لم يحصره حاصر ولا يحزره حازر فسبحان الفاتح للعباد باب المعاملة والمبين لهم أسباب المواصلة واعلم أن الحق تعالى علم أن في عباده ضعفاء وأقوياء فاوجب الواجبات وبين المحرمات فالضعفاء اقتصروا على الواجبات والترك للمحرمات وليس في قلوبهم من سلطان الحب ووجود الشغف ما يحملهم على المعاملة من غير ايجاب فمثلهم كمثل العبد الذي يعلم السيد منه انه ان لم يخاطبه لم يهد اليه شيئا فلذلك وقت سبحانه وتعالى الاوراد ووظف وظائف العبودية وعرف ذلك بالطالع والغارب والزوال وصيرورة كل شيء مثله في الصلاة وبالحول في الاموال النامية في العين والحرث والماشية وبوقت حصول المنفعة في الزرع وآتوا حقه يوم حصاده وبعشر ذي الحجة في الحج وبشهر رمضان في الصيام فوظف الوظائف ووقتها وجعل للنفوس فيما سواها فسحة للحظوظ والسعي في الاسباب وأهل الله تعالى وأهل الفهم عنه جعلوا الاوقات كلها وقتا واحدا والعمر كله نهجا الى الله قاصدا فعلموا ان الوقت كله لله فلم يجعلوا شيئا منه لغيره ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة أن تستعمل محبا الا فيما يوافق محبوبه وعلموا ان الانفاس أمانات الحق عندهم وودائعه لديهم فعلموا أنهم مطالبون برعايتها فوجهوا هممهم لذلك وكما ان له الربوبية الدائمة كذلك حقوق ربوبيته عليك دائمة فربوبيته عليك غير موقتة بالاوقات فحقوق ربوبيته ينبغي أن تكون أيضا كذلك يقول الشيخ أبو الحسن رحمه الله فان لكل وقت سهما في العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية ولنحبس عنان المقال لئلا نخرج عن غرض الكتاب (القسم الثالث) من أقسام الايثار وهو الايثار بالنفس فهذا هو أفضل الوجوه الثلاثة وانما أوثر بغيره لاجله فمن آثر الله تعالى بما أوجبه عليه قد لا يؤثره بما في يديه مما لم يوجبه عليه ومن آثر الله تعالى بما في يديه مما لم يوجبه عليه فقد لا يؤثره بنفسه ولا يسخو ببذلها فان السخاء بالنفس والبذل لها من أخلاق الصديقين وشان أهل اليقين الذين عرفوا الله فبذلوا له نفوسهم علما منهم أن العبد لا يملك مع السيد شيئا واذا كان الايثار بالنفس هو أكمل الوجوه فيكون البخل بها أقبح الوجوه فقد تبين من هذا قول الشيخ ومن الشح والبخل بعد حصوله على طريق الالماح لا الاستقصاء فان الكتاب غير موضوع لهذا المعنى (القسم الثالث) من أقسام العوارض في شأن الرزق فاذا ذكرنا ان العوارض التي تعرض في شان الرزق على ثلاثة أقسام عوارض قبل الحصول وعوارض في حين الحصول وقد تقدم ذكرهما في كلام الشيخ فهما وبينا نحن ذلك وعوارض بعد حصوله ونفاده من الاسف والندم عليه ودوام التطلع اليه فينبغي أن نطهر منها أيضا واسمع قوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا

الاقاليم والبلاد وقهروا أهل الشرك والعناد وبحق قوله صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما دائما أبدا أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد وصفهم الله في الآية الكريمة باوصاف الى ان قال يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ذل ذلك من قوله سبحانه وتعالى انهم ما ابتغوا بما جاهدوه من الدنيا ولم يقصدوا بذلك الا وجهه الكريم وفضله العظيم وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه الآية ولم ينف عنهم الاسباب ولا التجارة ولا البيع ولا الشراء فلا يخرجهم عن المدحة غناهم اذا قاموا بحقوق مولاهم قال عبد الله بن عتبة كان لعثمان بن عفان رضي الله عنه عند خازنه يوم قتل زنة مائة ألف وخمسمائة دينار وألف ألف درهم وترك ألف فرس وألف مملوك وخلف ضياعة بثرأريس وخيبر ووادي القرى ما قيمته مائتا ألف دينار وخلف عمرو بن العاص ثلثمائة ألف دينار وبلغ من مال الزبير بن العوام خمسين ألف دينار وترك ألف فرس وألف مملوك وغنى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أشهر من أن يذكر وكانت الدنيا في أكفهم لا في قلوبهم صبروا عنها حين فقدت وشكروا الله حين وجدت وانما ابتلاهم الله بالفاقة في أول أمرهم حتى تكملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم فبذلها في اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الامين وامتثلوا فيها قول رب العالمين وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فكانت الدنيا في أيدي الصحابة

بما آتاكم وقول النبي عليه السلام لما توفي ولد لاحدى بناته قال عليه السلام اعلمها أن لله ما أخذ وله ما أعطى ومن أسف على فقد شئ دون الله تعالى فقد نادى على نفسه بوجود الجهل وثبات القطيعة اذ لو وجد الله لم يفقد شيا دونه فمن وجد الله فلا يجد شيا دونه حتى يكون له فاقدا وليعلم العبد ان ما فاته ليس له برزق وما كان عنده فافقده فليس له لانه لو كان رزقه ما ذهب عنه الى غيره بل كان عارية عنده أخذ العارية من أعارها واسترجع الشئ من أوجده وكان لبعضهم ابنة عم مسماة عليه من الصغر فلما كبرت جرى ما منع زواجه اياها ثم تزوجت بزوج غيره فجاء اليه بعض أهل الفهم وقال له يصلح لك ان تعتذر الى هذا الزوج الذي تزوج ابنة عمك اذ كنت أنت المتطلع لزوجته اذ هي زوجته في الازل وكفى بالمؤمن تحذرا من الندم على ما فات قول الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمان به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فقد ذم الحق تعالى من يسكن للاشياء في حين وجدها ألا تراه كيف قال فان أصابه خير اطمان به أي اطمان بذلك الخير ولو فهم لما اطمان بشئ دون الله تعالى ولكانت طمانينته بالله وحده وكذلك من يحزن عليها عند فقدها لقوله تعالى وان أصابته فتنة والفتنة فقد ذلك المشتهى الذي كان اليه ساكنا انقلب على وجهه أي دهش عقله وذهلت نفسه وغفل قلبه وما ذاك الا لعدم معرفته بالله تعالى ولو عرف الله تعالى أغناه وجوده عن كل موجود واستغنى به عن كل مفقود ومن فقد الله لم يجد شيأ ومن وجده لم يفقد شيأ وكيف يفقد شيأ من يجد من بيده ملكوت كل شئ وكيف يفقد شيأ من وجد الموجد لكل شئ وكيف يفقد شيا من وجد الظاهر في كل شئ فما سوى الله عند أهل المعرفة لا يتصف بوجد ولا بفقد اذ لا وجد غيره معه لثبوت أحديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان ولاشرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان * واذ قد فهمت هذا فينبغي لك أيها العبد أن لا تاس على فقد شئ وان لا تركن بوجود شئ فان من وجد شيا فركن اليه أو فقد شيا فحزن عليه فقد أثبت عبوديته لذلك الشئ الذي أفرحه وجوده وأحزنه فقده * وافهم ههنا قوله عليه السلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش فلا تحكم في قلبك أيها المؤمن شيأ لا حب الله ووده فانك أشرف من أن تكون عبد الغيره فقد جعلك عبدا كريما فلا تكن عبدا لئيما وقد أبى لاهل الفهم عن الله تعالى فهمهم أن يركنوا لوجد أو يتطلعوا لفقد حفظا لعبوديتهم وتصحيحا لحريتهم بما سواه * وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول الكائن في الحال على قسمين عبد هو في الحال وعبد هو في الحال بالمحول والذي هو في الحال بالحال هو عبد الحال الذي يفرح بها اذا وجدها ويحزن عليها اذا فقدها وعبد هو في الحال بالمحول فذلك عبد الله لا عبد الحال وهو الذي لا يأسى عليها اذا فقدها ولا يفرح اذا وجدها فقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على وجهة واحدة فان زالت زالت طاعته وانفصلت موافقته ولو فهم عنا العبد نا على كل حالة وفي كل وجهة كما انه ربك تعالى في كل حال كذلك فكن له عبدا في جميع الاحوال فقوله سبحانه وتعالى فان أصابه خير اطمان به أي ان أصابه خير مما يلائم نفسه هو في نظره خير وقد يكون شرا في نفس الامر وان أصابته فتنة انقلب أي فقد ذلك الخير الذي كان به مطمئنا وسماه فتنة لان في الفقد اختبار ايمان المؤمن وفي الفقد يظهر أحوال الرجال فكم من ظان أن غناه بالله وانما غناه بوجود أسبابه وتعددات اكتسابه وكم من ظان أن أنسه بربه وانما أنسه بحاله دليل ذلك فقد انه لانسه عند فقد ان حاله فلو كان أنسه بربه لدام أنسه بدوامه ولبقي ببقائه وقوله تعالى خسر الدنيا والآخرة خسر الدنيا بفقد ان ما أراد منها وخسر الآخرة لانه لم يعمل لها فقد فاته ما طلبه وهو ما طلبنا حتى نكون له فافهم

لهم حينئذ لانهم لو أعطوا منها قبل ذلك لعلها كانت تاخذ منهم فلما أعطوها بعد التمكين والرسوخ في اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الامين وامتثلوا فيها قول رب العالمين وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فكانت الدنيا في أيدي الصحابة

الى غير ذلك من حسن أفعالهم وسنى أحوالهم رضى الله عنهم أجمعين ورضاه دائما أبدا فتضمنت الآيات الزكية لظواهرهم وسرائرهم واثبات محامدهم ومفاخرهم فقد تبين من هذا ان التدبير على قسمين تدبير الدنيا للدنيا كما هو حال أهل القطيعة اللئام الغافلين وتدبير الدنيا للآخرة كحال الصحابة الاكرمين والسلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وجعلنا ممن اقتدى بهم آمين بل ألف ألف آمين

(فصل) نذكر فيه مناجاة الحق سبحانه وتعالى لعبده على لسان هواتف الحقائق فى شأن التدبير والرزق أيها العبد ألق سمعك وأنت شهيد ياتك منى المزيد واصغ بسمعك فانا لست عنك ببعيد كنت بتدبيرى لك قبل أن تكون لنفسك فكن لنفسك بان لا تكون لها وتوليت رعايتها قبل ظهورك وأنا الآن على الرعاية لها أنا المنفرد بالخلق والتصوير وأنا المنفرد بالحكم والتدبير لم تشاركنى فى خلقى وتصويرى فلا تشاركنى فى حكمى وحكمى وتدبيرى أنا المدبر لملكى وليس لى فيه ظهير وأنا المنفرد بحكمى فلا أحتاج الى وزير أيها العبد من كان لك بعد بتدبيره قبل الايجاد فلا تشاركه فى المراد ومن عودك حسن النظر منه اليك فلا تقابله بالعناد عودتك حسن النظر منى لك فعودنى اسقاط

(فصل) نذكر فيه أمثلة التدبير مع الله تعالى والمدبرين معه وأمثلة الرزق وضمان الحق تعالى له فان بالمثال يتبين الحال * مثل المدبر مع الله كمن بنى بناءه على شاطئ البحر كلما اجتهد فى بنائه كثرت عليه الامواج فتداعى جميع أبنائه كذلك المدبر مع الله تعالى يبنى مبانى التدبير وتهدمها واردات المقادير لاجل ذلك قيل يدبر المدبر والقضاء يضحك وقال الشاعر

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

(مثال آخر) مثل المدبر مع الله تعالى كرجل جاء الى رمال مترا كمة فوضع عليها بناءه فجاءت العواصف فنسفت الرمال فتهدم ما بناه كما قيل

وعهودهم بالرمل قد درست * وكذاك ما يبنى على الرمل

(مثال آخر) مثل المدبر مع الله تعالى كمثل ولد سافر مع والده فسار اليلا والاب لا يفارقه على الولد يراقبه من حيث لا يراه الولد والولد لا يرى الوالد للظلمة الحائلة بينهما فالولد مهموم بامر نفسه كيف يفعل فى شأنه فاذا طلع القمر ورأى قرب الاب منه سكن جاشه وهدأ روعه لانه رأى قرب أبيه منه فاغتنى بتدبيره له عن تدبيره لنفسه كذلك المدبر مع الله تعالى لنفسه انما يدبر لانه فى ليل القطيعة فلم يشهد قرب الله تعالى منه فلو طلع قمر التوحيد أو شمس المعرفة لرأى قرب الحق تعالى منه فاستحى أن يدبر معه واغتنى بتدبير الله تعالى له عن تدبيره لنفسه *(مثال آخر)* التدبير شجرة تسقى بماء سوء الظن وثمرتها القطيعة عن الله تعالى اذ لو حسن العبد ظنه به لماتت شجرة التدبير من قلبه لانقطاع غذائها وانما كان ثمرتها القطيعة عن الله تعالى لان من دبر لنفسه فقد اكتفى بعقله ورضى بتدبيره واحتال على وجوده فعقوبته أن يحال عليه وأن يمنع واردات المنن أن تصل اليه *(مثال آخر)* مثل المدبر مع الله كعبد أرسله سيده الى بلد له ليصنع له فيها قماشا فدخل العبد تلك البلدة فقال أين أسكن ومن أتزوج فاشتغل بذلك وصرف همته لما هنالك وعطل ما أمره به السيد حيث دعاه سيده اليه فجزاؤه من سيده أن جازاه بالقطيعة ووجود الحجبة لاشتغاله بامر نفسه عن حق سيده كذلك أنت أيها المؤمن أخرجك الحق الى هذه الدار وأمرك فيها بخدمته وقام لك بوجود التدبير لك منه فان اشتغلت بتدبير نفسك عن حق سيدك فقد عدلت عن سبيل الهدى وسلكت مسلك الردى *(مثال آخر)* مثل المدبر مع الله تعالى والذى لا يدبر كعبدين للملك أمر أحدهما فاشتغل بامر سيده ولا يلتفت الى ملبس ولا مأكل بل انما همته خدمة السيد فاغفله ذلك عن التفرغ لحظوظ نفسه ومهماتها وعبد آخر كيفما طلبه السيد وجده فى غسل ثيابه وسياسة مركوبه وتحسين زيه فالعبد الاول أولى بإقبال السيد من العبد الثانى المشتغل بحظوظ نفسه ومهماتها عن حقوق سيده والعبد انما اشترى للسيد لا لنفسه كذلك العبد البصير لا تراه الا مشغولا بحقوق الله تعالى ومراقبة أوامره عن محاب نفسه ومهماتها فلما كان كذلك قام له الحق تعالى بكل أمره وتوجه له بجزيل عطائه لصدقه فى توكله ومن يتوكل على الله تعالى فهو حسبه والغافل ليس كذلك لا تجده الا فى تحصيل أسباب دنياه وفى الاشياء التى توصله الى هواه قائما بوجود التدبير من نفسه لنفسه محالا عليها مقطوعا به عن وجود حسن الثقة وصدق التوكل *(مثال آخر)* مثل المدبر مع الله تعالى كالظل المنبسط فى عدم استواء الشمس فاذا استوت الشمس فنى ذلك الظل حتى لا يبقى منه الا بقية رسم لا تمحوه المقابلة كذلك شمس المعرفة اذا قابلت القلوب محت منها وجود التدبير الا بقاء رسم من تدبير العبد أبقى فيه ليجرى عليه التكليف *(مثال آخر)* مثل المدبر مع الله تعالى لنفسه كرجل باع دارا أو عبدا ثم بعد المبايعة واتمامها جاء البائع الى المشترى فقال له لا تبن فيها شيأ أو اهدم منها بيت كذا أو افعل فيها كذا أو جاء البائع ليفعل ذلك فيقال له أنت قد بعت وليس لك بعد البيع تصرف فيما بعته اذ ليس

التدبير منك معي أشكا بعد وجود التجربة وحيرة بعد وجود البيان وضلالا بعد وضوح الهدى وقد سلمت لي قيامي بما ملكتني وأنت من مملكتي فلا تنازع ربوبيتي ولا تضاد بتدبيرك مع وجود ألوهيتي متى أحوجتك إليك حتى تحتال عليك متى وكلت شيأ من مملكتي لغيري حتى أكل ذلك إليك متى خاب من كنت له مدبرا ومتى خذل من كنت له ناصرا أيها العبد لتشغلك خدمتي عن طلب قسمتي وليمنعك حسن الظن بي عن اتهام ربوبيتي لا ينبغي أن يتهم محسن ولا أن ينازع مقتدر ولا أن يضاد قهار ولا أن يعترض على حكيم ولا أن يعال هم مع لطيف لقد فاز بالنجح من خرج عن الارادة معي ولقد دل على تسيير الامور من احتال علي ولقد استوجب النصر مني عبد اذا تحرك بي ولقد استمسك بأقوى الاسباب من استمسك بسببي أيها العبد تريد مني أن تريدني ولا تريد معنا وتريد مني ان تختارنا ولا تختار معنا ونرضى لك أن نرضانا ولا نرضى سوانا وكما سألت لي تدبيري في أرضي وسمائي وانفرادي بهما بحكمي وقضائي سلم وجودك لي فانك لي ولا تدبر معي فانك معي واتخذني وكيلا وثق بي كفيلا أعطك عطاء جزيلا وأهبك نفرا جليلا ويحك انا أجللناك قدرك أن نشغلك بامر نفسك فلا تصغر قدرك بامن رفعناه لا تذكر بحوائجك على غيري يا من أعززناه ويحك أنت عندنا أجل من أن نشغلك بغيرنا لحضرتي خلقتك وإليها خطبتك وبجواذب عنايتي إليها جذبتك فان اشتغلت بنفسك حجبتك وان اتبعت هواها طردتك وان خرجت عنها قربتك وان توددت إلى باعراضك عما سواي أحببتك أيها العبد ما آمن بي من نازعني ولا وحدني من دبر

بعد المبايعة منازعة وقد قال سبحانه وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فعلى المؤمن أن يسلم نفسه لله وما انتسب إليها لانه أنشأها ولانه اشتراها ومن لازم التسليم ترك التدبير لما أنت له مسلم كما بيناه * وأما الرزق فمثال رزق العبد في هذه الدار كمثل سيد قال لعبده الزم هذه الدار قائما فيها بخدمة كذا فلم يكن السيد ليأمره بذلك الا وهو يطعمه ويسقيه ويكسيه ويقوم له بوجود الكفاية ولا يهمله من الرعاية كذلك العبد أمره الله تعالى في الدنيا بالطاعة والموافقة وضمن له وجود القسمة فليقم العبد بخدمته فان السيد قائم عليه بمنته قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقد تقدم بيانه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى في هذه الدنيا كالطفل مع أمه ولم تكن الام لتدع ولدها من كفالتها ولا أن تخرجه من رعايتها وكذلك المؤمن مع الله تعالى قائم له الحق تعالى بحسن الكفالة فهو سائق إليه المنن ودافع عنه المحن رأى رسول الله عليه السلام امرأة معها ولدها فقال أترون أن هذه طارحة ولدها في النار فقالوا لا يا رسول الله فقال عليه السلام الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها *(مثال آخر)* مثل العبد في الدنيا كمثل عبد قال له سيده اذهب إلى أرض كذا وكذا واحكم أمرك لان تسافر من تلك الارض في بر به كذا وخذ أهبتك وعدتك فاذا أذن له السيد في ذلك فعلوم انه قد أباح له أن يأكل ما يستعين به على اقامة بنيته ليسعى في طلب العدة وليقوم بوجود الاهبة كذلك العبد أوجده الحق في هذه الدار وأمره أن يتزود منها لمعاده فقال الحق تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فعلوم انه اذا أمره بالزاد للآخرة فقد أباح له أن يأخذ من الدنيا ما يستعين به على تزوده واستعداده وتأهبه لميعاده *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل سيد له بستان أمر عبده أن يكون فيه غارسا وزارعا وقائما بمصلحته فان كان ذلك العبد حين أمر بذلك قام بما طلبه السيد منه لا يخرج عنه فليس السيد بلائم له ولا مانع اياه من أكله من ذلك البستان فانه اذا أكل منه عمل فيه لكن على العبد أن يأكل ما يستعين به على الخدمة وأن لا يأكل أكل التمتع والتشهي *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله كمثل والد غرس غرسا كثيرا وبنى ربعا كبيرا فقيل له لمن فعلت هذا فقال لولد عساه أن يحدث لي فهيأ للولد ما يحتاج اليه قبل وجوده حبا منه له أفترى اذا أعد له الاب قبل وجوده أيمنعه اياه بعد وجوده كذلك العبد مع الله تعالى هيأ له الحق المنة من قبل أن يخلقه في هذه الدار لان المنة سابقة لوجودك ان فهمت ألا ترى انه سبق عطاؤه اياك وجودك ومنته عليك ظهورك اذ هو أعطى في الازل قبل أن يكون العبد ويكون منه له عمل فما قسمه لك في الازل وادخره لك ليس بمانعه عنك أهو هيأ لك قبل الوجود ويمنعك لما وجدت *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل أجير أتى به ملك الى داره وأمره بان يعمل له عملا فما كان الملك ليأتي بالاجير فيستخدمه في هذه الدار ويتركه من غير تغذية اذ هو أكرم من ذلك كذلك العبد مع الله تعالى فالدنيا دار الله والاجير هو أنت والعمل هو الطاعة والاجرة هي الجنة ولم يكن الله ليامرك بالعمل ثم لا يسوق لك ما به تستعين عليه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل ضيف نزل على ملك كريم في داره فحق على ذلك الضيف أن لا يتم بما كل ولا مشرب لانه ان فعل ذلك كان تهمة للملك وسوء ظن منه به وقد تقدم ذلك من قول الشيخ أبي مدين رحمه الله كذلك الدنيا دار الله والعباد فيها ضيوفه ولم يكن الله تعالى ليامر بالضيافة على لسان رسوله عليه السلام ويكون لها تاركا فالمهتم فيها بما كل ومشرب ثقوت في نظر الملك اذ لولا شكه في الله لما كان يهتم بشأنه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل عبد أمره الملك أن يقيم في أرض كذا يحارب العدو الذي هنالك وأن يبذل عزمه في مجاهدته وأن يدوم على محاربته فعلوم أنه اذا أمره بذلك أنه يبيح له أن يأكل من اهداء تلك البلدة ومخازنها بالامانة ليستعين بذلك على محاربة العدو الذي أمره الملك بمحاربته كذلك العباد أمرهم الحق

معي ولا رضي بي من شكى ما أنزلت به الى غيري ولا اختارني من اختار معي ولا امتثل أمري من لم يستسلم لقهري لو طلبت التدبير لنفسك
لجهلت فكيف اذا دبرت لها ولو (٦٠) اخترت معي ما أنصفت فكيف اذا اخترت على أيها العبد يكفيك من الجهل ان تسكن لما في يدك

ولا تسكن لما في يدي انا
اختار لك أن تختارني
أفتختار على يا مهموما
بنفسه لو ألقيتها الينا
لاسترحت ويحك اعباء
التدبير لا يحملها الا
الربوبية وليس يقوى
عليها ضعيف البشرية
ويحك أنت محمول فلا تكن
حاملا أردنا راحتك فلا
تكن لنفسك متعبا أيها
العبد أمرتك بخدمتي
وضمنت لك بقسمتي فاهملت
ما أمرت وشككت فيما
ضمنت ولم أكتف بقسمتي
لك بالضمان حتى أقسمت ولم
أكتف بالقسم حتى مثلت
لخاطبك عباذا يفهمون
فقلت وفي السماء رزقكم
وما توعدون فورب السماء
والارض انه لحق مثل
ما أنكم تنطقون وقد
رزقت من غفل عني
وعصاني فكيف لا أرزق
من أطاعني ودعاني ويحك
الغارس للشجرة ساقيها
والمعد للخليقة هو باريها
مني كان الايجاد وعلي
دوام الامداد مني كان
الخلق وعلي دوام الرزق
أأدخلك داري وأمنعك
ابراري أأرزقك لكوني
وأمنعك وجود عوني
أأخرجك الى وجودي
وأمنعك جودي لك هيأت
مني وفيك أطهرت رحمتي وما قنعت بالدنيا حتى ادخرت لك جنتي وما اكتفيت لك بذلك حتى أتحفتك برؤيتي فاذا كانت هذه أفعالي فكيف تشك في افضالي فاخترني ولا تخترعلي ووجه قلبك بالصدق الي فان فعلت أريتك غرائب لطفي وبدائع جودي وامتع

بمحاربة الشيطان بقوله وجاهدوا في الله حق جهاده وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلما أمرهم بمحاربته أذن لهم أن يتناولوا من منته ما يستعينون به على محاربة الشيطان اذ لو تركت المأكل والمشرب لم يمكنك أن تقوم لطاعته ولا أن تنهض بخدمته فقد تضمن أمر الملك بالمجاهدة اباحة تناول ما هو منسوب للملك مما هو معد لذلك لكن على طريق الامانة محفوفا بالصيانة *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كشجرة غرسها غارس طالبا نموها ونتاجها فقد علمت الشجرة ان يكن لها علم أو علمنا ذلك فيها انه ما كان ليغرسها ويمنعها السقي كيف وهو حريص على نتاجها مريد لنمائها كذلك أنت أيها العبد شجرة الله غارسك وهو ساقيك في كل وقت قائم لك بوجود التغذية فلا تتهمه أن يغرس شجرة وجودك ثم يمنعك من السقيا بعد الغرس فانه ليس بغافل *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل مالك له عبيد بنى دارا وأحسنها وبهجها وتولى غراسها وكل المشتهيات فيها في غير الموطن الذي العبيد فيه وهو يريد أن ينقلهم اليها أترى اذا كان هذا غايته بهم فيما ادخره لهم عنده وهيأه لهم بعد الرحلة أيمنعهم ههنا أن يتناولوا من منته وفضلات طعامه وهو قد هيأ لهم الامر العظيم والفضل الجسيم كذلك العباد مع الله جعلهم في الدنيا وهيأ لهم الجنة كما هيأ لهم الآخرة وهو يريد أن يمنعهم من الدنيا ما يقوم به وجودهم ولذلك قال تعالى كلوا واشربوا من رزق الله وقال تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له وقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فاذا ادخر لك الباقي ومن به عليك لا يمنعك الفاني فان منعك منه فانما منعك ما لم يقسمه لك وما لم يقسمه لك فليس لك فكان ذلك المنع لك منه عطاء ونظرا علم ان فيه مصلحة وجودك ونظام أمرك كما قطع تولي الماء عن الشجرة لئلا يتلفها دوام السقيا *(مثال آخر)* مثل المتهم بامر دنياه الغافل عن التزود لآخرته كمثل انسان هاجه سبع وقد كاد أن يفترسه وقع عليه ذباب فاشتغل بذب ذلك الذباب ودفعه عن التحرز من الاسد فهذا عبد أحمق فاقد وجود العقل ولو كان بالعقل متصفا لشغله أمر الاسد وصولته وهجومه عليه عن الفكرة في أمر الذباب والاشتغال به كذلك المتهم بامر دنياه الغافل عن التزود لاخراه دل ذلك منه على وجود حمقه اذ لو كان فاهما عاقلا لتأهب للدار الآخرة التي هو مسؤول عنها وموقوف فيها ولا يشتغل بالاهتمام بأمر الرزق فان الاهتمام به بالنسبة الى الآخرة كنسبة الذباب الى مفاجأة الاسد وهجومه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كمثل الطفل مع أبيه لا يعول مع الاب هما ولا يخشى عدما لعلمه ان الاب قائم له بوجود الكفالة فطيبت الثقة به عيشه وأزال الاعتماد على أبيه غمه كذلك العبد المؤمن مع الله تعالى لا يعول الهموم ولا ترد بساحة قلبه الغموم من شأن الرزق لعلمه بان الحق لا يدعه وعن فضله لا يقطعه ومن جوده واحسانه لا يمنعه *(مثال آخر)* مثل العبد مع الله تعالى كعبد له سيد غني متصف بالثروة والاحسان الى عبيده وغير معروف بالمنع موصوف بالجود والعطاء والعبد بفضله واثق ولاحسانه راج علم من سيده الغني فاخرجه ذلك عن وجود العناء وهذا بعينه كان سبب توبة شقيق البلخي رحمه الله قال عبرت في زمن مجاعة فوجدت غلاما منبسطا منشرحا ليس عنده علم مما الناس فيه فقلت له يا فتى أما تعلم ما الناس فيه فقال وما أبالي ولمولاي قرية خالصة يدخل الينا كل يوم ما نحتاج اليه فقلت في نفسي ان كان لسيد هذا قرية خالصة فمولاي له خزائن السموات والارض فأنا أولى بالثقة من هذا بسيده وهو كان سبب انتباهي *(مثال آخر)* مثل العبد المتسبب المرزوق في وجود السبب كمثل عبد قال له السيد اعمل وكل من عملك ومثال المتجرد كمثل عبد قال له السيد الزم أنت خدمتي وأنا أسوق اليك مني *(مثال آخر)* مثل العبد الناظر الى الله تعالى في الاسباب بمثابة الرجل يقعد تحت الميزاب اذا أمطرت السماء فهو يشكر الله تعالى وحده ولا يلزم من قعوده تحت الميزاب أن يضيف المطر له بل علم أنه ان لم يكن فيه

لم

علموا انى خير لهم من أنفسهم لانفسهم وان تدبيرى لهم أحرى من تدبيرهم لها فاذعنوا

أنفسهم بين يدى مفوضين فعوضتهم عوض ذلك راحة فى نفوسهم ونورا فى عقولهم ومعرفة فى قلوبهم وتحقيقا بقربى فى أسرارهم هذا فى هذه الدار ولهم عندى اذا قدموا على ان أجل منصبهم وأعلى محلهم ولهم اذا أدخلتهم دارى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أيها العبد الوقت الذى أنت تستقبله لم أطالبك فيه بالخدمة فلا تطالبنى فيه بالقسمة فاذا كلفتك تكلفات لك واذا استخدمتك أطعمتك واعلم بانى لا أنساك ولو نسيتنى وانى ذكرتك من قبل ان تذكرنى وان رزقى عليك دائم وان عصيتنى فاذا كنت لك كذلك فى اعراضك عنى فكيف ترى ان أكون فى اقبالك على ماقدرتنى حق قدرى ان لم تستسلم لقهرى ولا رعيت حق برى ان لم تمتثل أمرى فلا تعرض عنى فانك لا تجد من تستبدله منى ولا تغتر بغيرى فلا أحد يغنيك عنى أنا الخالق لك بقدرتى وأنا الباسط لك منتى فكما انه لا خالق غيرى فكذلك لا رازق غيرى أأخلق وأحيل على غيرى فانا المتفضل وامنع العباد

لم يجد شيأ كذلك الاسباب ميازيب المنن فمن دخل فى الاسباب وهمته متعلقة بالله تعالى لا بها لم يضره ذلك ولم يخش عليه القطيعة فيما هنالك ومثل الواقف مع الاسباب الغافل عن وليها كمثل البهيمة يعبر عليها مالكها فلا تلتفت اليه وهو المالك لها والمعطى لسائسها ما ينفق عليها فاذا عبر سائسها بصبت بعينها وتشوفت اليه لاعتيادها منه أنه يتولى طعمتها فالعبد كذلك لانه اذا أجرى عليه الاحسان على أيدى الخلق يشهد ذلك منهم ولم يخرجه عنهم فهو كالبهيمة بل البهيمة أحسن حالا منه أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون * (مثال آخر) * مثل الواقف مع الاسباب والنافذ الى الله فيها كمثل رجلين دخلا حماما أحدهما وافر العقل والآخر غالب عليه البلاهة فاذا توقف الماء فاما العاقل فيعلم ان له مصرفا من ورائه يصرفه ومجريا يجريه فيرجع اليه ليرسل له منه ما كان قطعه أو يفعل ما يشاء وأما الآخر فيأتى الى الانبوب فيقول أيها الانبوب اسكب لنا ماء مالك قطعت ماءك فيقال له انك لاحق وهل الانبوب يسمع شيأ أو يفعل شيأ انما هى محل ومجرى يظهر فيها ما أجرى فيها * مثال العبد المدخر كعبد الملك جعله فى بستانه ليقوم باصلاح شأنه فالعبد أن يأكل من ثمرات ذلك البستان ما يتقوى به على الغراس والزراعة فيه وليس له أن يدخر لان ثمرة ذلك البستان دائمة وسيده غنى قادر فان ادخر بغير اذن سيده امسا كا على نفسه وتهمة لسيده فقد خان * ومثال العبد الذى لا يدخر كعبد هو فى بستان السيد أو فى داره علم أنه لا ينساه سيده ولا يهمله بل يبذل له خيره ويوصل اليه بره فاغتنى بسيده عن الادخار معه وبغناه عن أن يحتاج وأن يعتمد على شئ دونه فهذا العبد حرى أن يواجه بالاقبال وأن يسعف بالنوال * (مثال آخر) * المدخر بالامانة كعبد الملك لا يرى أن له مع سيده شيأ لا يعتمد ادخارما فى يده ولا بذله بل لا يختار الا ما اختاره السيد له فاذا فهم هذا العبد أن الامساك مراد سيده أمسك لسيده لا لنفسه حتى يتغير موضع صرفه فيكون له صارفا حين يفهم عن سيده ارادة صرفه فهذا بامساكه غير ملوم لانه أمسك لسيده لا لنفسه كذلك أهل المعرفة بالله تعالى ان بذلوا فلله وان أمسكوا فله يبتغون ما فيه رضاه ولا يريدون بذلهم وامساكهم الا اياه فهم خزان أمناء وعبيد كبراء وأحرار كرماء قد حررهم الحق تعالى من رق الآثار فلم يميلوا اليها بحب ولا أقبلوا عليها بود منعهم من ذلك ما أسكن فى قلوبهم من حب الله ووده وما امتلأت به صدورهم من عظمته ومجده وليس الممسك لله بدون الباذل له فصارت الاشياء فى أيديهم كهى فى خزائن الله من قبل أن تصل اليهم علما منهم ان الله تعالى يملكهم ويملك ما ملكهم ومن لم يحسن الامساك لله لم يحسن البذل له فافهم

* (فصل) * نذكر فيه مناجاة الحق سبحانه وتعالى لعبده على ألسنة هواتف الحقائق فى شأن التدبير والرزق * (أيها العبد) * القى سمعك وأنت شهيد يأتك منى المزيد واصغ بسمع قلبك فأنا عنك لست ببعيد * (أيها العبد) * كنت لك بتدبيرى لك من قبل أن تكون لنفسك فكن لنفسك بان لا تكون لها وتوليت رعايتها قبل ظهورك وأنا الآن فى الرعاية لها (أيها العبد) أنا المنفرد بالخلق والتصوير وأنا المنفرد بالحكم والتدبير لم تشركنى فى خلقى وتصويرى فلا تشاركنى فى حكمى وتدبيرى أنا المدبر الملكى وليس لى فيه ظهير وأنا المنفرد بحكمتى فلا أحتاج فيه الى وزير (أيها العبد) من كان لك بتدبيره قبل الايجاد فلا تنازعه فى المراد ومن عودك حسن النظر منه لك فلا تقابله بالعناد (أيها العبد) عودتك حسن النظر منى لك فكن على اسقاط التدبير منك معى (أيها العبد) أشكا بعد وجودا التجربة وحيرة بعد وجود البيان وضلالا بعد وضوح الهدى أما يحيلك على علمك بانه لا مدبر لك غيرى أما يجنبك من المنازعة لى ما سبق من وجود خيرى (أيها العبد) انظر نسبة وجودك من أكوانى ترى انك متلاش فى الفانى فما ظنك بما ليس بفانى وقد سلمت لى قيامى بملكتى وأنت من مملكتى فلا تنازع ربو بيتى ولا تضاد بتدبيرك معى وجود الاهيتى (أيها العبد) أما يكفيك انى أكفيك أما يوجب سكونك لى سوابق عوائدى فيك

وجود خيرى وأنا المنعم فثق أيها العبد وأنا رب العباد واخرج من مرادك الى أبلغ عين المراد واذكر سوابق لطفى ولا تنس حق الوداد

(مناجاته رضى الله تعالى عنه) الهى أنا الفقير فى غناى فكيف لا أكون فقيرا فى فقرى وأنا الجهول فى علمى فكيف لا أكون جهولا

أتوسل اليك بفقرى وكيف أتوسل بما هو محال أن يصل اليك أم كيف أشكو اليك حالى وهو لا يخفى عليك أم كيف أترجم بمقالى وهو منك برز واليك أم كيف تخيب آمالى وهى قد وفدت عليك أم كيف لا تحسن أحوالى وبك قامت واليك الهى ما ألطفك بى مع جهلى وما أرحمك بى مع قبيح فعلى وما أقربك منى وما أبعدنى عنك وما أرأفك بى فما الذى يحجبنى عنك الهى كلا ما أخرسنى لؤمى انطقنى كرمك وكلا ما أيأسنى أوصافى اطمعتنى منتك الهى من كانت محاسنه مساوى فكيف لا تكون مساويه مساوى ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعاوى الهى كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لا أعزم وأنت الآمر ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار فاجمعنى عليك بخدمة توصلنى اليك كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى

(أيها العبد) متى أحوجتك اليك حتى تحتال عليك ومتى كانت شيأ من مملكتى لغيرى حتى أكل ذلك اليك (أيها العبد) أعددت لك جودى من قبل أن أظهرك لوجودى وظهرت بقدرتى فى كل شئ فكيف يمكنك بجودى (أيها العبد) متى خاب من كنت له مدبرا ومتى خذل من كنت له منتصرا (أيها العبد) لتشغلك خدمتى عن طلب قسمتى وليمنعك حسن الظن بى عن اتهام ربوبيتى (أيها العبد) لا ينبغى أن يتهم محسن ولا أن ينازع مقتدر ولا أن يضاد قهار ولا أن يعترض على حكم حكيم ولا أن يعالهم مع لطيف (أيها العبد) لقد فاز بالنجح من خرج عن الارادة معى ولقد دل على يسر الامر من احتال على ولقد ظفر بكنز الغنى من صدق فى الفاقة الى ولقد استوجب النصر منى عبد اذا تحرك تحرك بى ولقد استمسك بأقوى الاسباب من استمسك بسببى انى آليت على نفسى أن أجازى أهل التدبير بوجود التكدير وأن أهدم ما شيدوا وأحل ما عقدوا وأن أكاهم اليهم وأن أحيلهم عليهم ممنوعين من روح الرضا ونعيم التفويض فلو فهموا عنى لاقتنعوا بتدبيرى لهم عن تدبيرهم لانفسهم وبرعايتى لهم عن رعايتهم اياها فاذا كنت أسلك بهم سبيل الرضا وانهج بهم منهج أهل الهدى وأسعى بهم فى طريق بيضا واجعل عنايتى بهم واقية لهم من كل ما يخافون وجالبة لهم جميع ما يرجون وذلك على يسير (أيها العبد) نريد منك أن تريدنا ولا تريد معنا ونختار لك أن تختارنا ولا تختار معنا ونرضى لك أن ترضانا ولا ترضى لك أن ترضى سوانا *(أيها العبد) ان قضيت لك فلا رادّ لى ظهور فضلى عليك وان قضيت عليك فلانى أريد ان أورد فى قضائى أسرار لطفى اليك *(أيها العبد)* لا تجعل جزاء ما أظهرت فيك من نعمتى وجود منازعتى ولا تجعل عوض ما أحسنت لك بالعقل الذى ميزتك به وجود مضادتى *(أيها العبد)* كما سلمت لى تدبير أرضى وسمائى وانفرادى فيهما بحكمى وقضائى سلم وجودك لى فانك لى ولا تدبر معى فانك معى واتخذنى وكيلا وثق بى كفيلا أعطيك عطاء جزيلا وأهبك مهرا جليلا *(أيها العبد)* انى حكمت فى أزلى انه لا يجتمع فى قلب عبدى ضياء التسليم لى وظلمة المنازعة معى فتى كان واحد منهما لم يكن الآخر معه فاختر لنفسك ويحك انا أجلالنا قدرك أن تشتغل بامر نفسك فلا تصغر قدرك يا من رفعناه ولا تذلن بحولك على غيرى يا من أعززناه ويحك أنت أجل عندنا من أن تشتغل بغيرنا لحضرتى خلقتك واليها خطبتك وبجواذب عنايتى لها جذبتك فان اشتغلت بنفسك بحبتك وان اتبعت هواها طردتك وان خرجت عنها قربتك وان تواريت لى باعراضك عما سواى أجبتك *(أيها العبد)* أما كفالك لو اكتفيت وهداك لو اهتديت أنى أنا الذى خلقت فسويت وقسمت فاعطيت أما منعك ذلك من منازعتى فيما قضيت ومعارضتى فيما أتيت *(أيها العبد)* ما آمن بى من نازعنى ولا وحدنى من دبر معى ولا رضى بى من شكا ما أنزلت به الى غيرى ولا اختارنى من اختار معى وما امتثل أمرى من لم يستسلم لقهرى ولا عرفنى من لم يفوض أمره الىّ ولقد جهلنى من لم يتوكل على *(أيها العبد)* يكفيك من الجهل أن تسكن لما فى يدك ولا تسكن لما فى يدى وان أحتار لك أن تختارنى فتخسر على ويحك لا تجتمع عبودية واختيار ولا ظلم وأنوار ولا توجهك لى وتوجهك للآثار فاما أنالك أو أتيت لنفسك فاختر على بيان ولا تستبدل الهدى بالخسران *(أيها العبد)* لو طلبت منى التدبير لنفسك جهلت فكيف اذا دبرت لها ولو اخترت معى ما انصفت فكيف اذا اخترت على *(أيها العبد)* لو أذنت لك أن تدبر كان يجب أن تستحى من أن تدبر وكيف وقد أمرتك أن لا تدبر يا مهوما بنفسه لو ألقيتها الينا لاسترحت ويحك اعباء التدبير لا يحملها الا الربوبيه ولا تقوى عليها البشريه ويحك أنت محمول فلا تكن حاملا أردنا راحتك فلا تكن متعبا لنفسك من دبرك فى ظلمات الاحشاء وأعطاك بعد الوجود ما تشاء لا ينبغى لك أن تنازعه فيما يشاء *(أيها العبد)* أمرتك بخدمتى وضمنت لك قسمتى فاهملت ما أمرت

توصل اليك الهى عميت عين لا ترالك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا الهى هذا ذلى وشككت
ظاهر بين يديك وهذا حالى لا يخفى عليك منك أطلب الوصول وبك استدل عليك فاهدنى بنورك اليك وأقمنى بصدق العبودية بين يديك

الهي علمني من علمك المخزون وصني بسر اسمك المصون وحققني بحقائق أهل القرب وأملك بي في مسالك أهل الجذب وأغنني بتدبيرك عن تدبيري وباختيارك عن اختياري وأوقفني على مراكز اضطراري وأخرجني من ذل نفسي وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي بك استنصر فانصرني وعليك أتوكل فلا تكلني واليك أسأل فلا تحرمني وفي فضلك أرغب فلا تخيبني ولجنابك انتسب فلا تبعدني وببابك أقف فلا تطردني الهي ان القضاء والقدر غلبني وان الهوى بوثائق الشهوة أسرني فكن أنت الناصر لي حتى تنصرني وتبصرني واغنني بفضلك حتى استغني بفضلك عن طلبي أنت الذي أشرقت الانوار في قلوب أوليائك وأنت الذي أزلت الاغيار من أسرار أحبائك أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم وأنت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك ولقد خاب من رضي دونك بدلا ولقد خسر من بغى دونك متحولا كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان يا من أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين أنت الذاكر من قبل الذاكرين وأنت البادي بالاحسان من قبل توجه العابدين وأنت الجواد بالاعطاء من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب لنا ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين فاطلبني برحمتك حتى أصل اليك واجذبني بمنتك حتى أقبل عليك الهي ان رجائي لا ينقطع عنك وان عصيتك كما أن خوفي لا يزايلني وان أطعتك فدفعتني

وشككت فيما ضمنت ولم أكتف لك بالضمان حتى أقسمت ولم أكتف بالقسم حتى مثلت وخاطبت عبادا يفهمون فقلت وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ولقد اكتفى بوصفي العارفون واحتال على كرمي الموقنون فلو لم يكن وعدي لعلموا اني لا أقطع عنهم واردات رفدي ولو لم يكن ضماني لوثقوا بوجود احساني وقد رزقت من غفل عني وعصاني فكيف لا أرزق من أطاعني ورعاني ويحك الغارس للشجرة هو ساقيها والمد للخليقة هو باريها ويكفيها انه كافيها ومكافيها مني كان الايجاد وعلى دوام الامداد مني كان الخلق وعلى دوام الرزق ويحك هل تدعو لدارك الامن تريد أن تطعمه وهل تنسب لنفسك الامن تحب أن تكرمه *(أيها العبد)* اجعل همك في مكان همك برزقك فان ما جلته عنك فلا تتعبن به وما جلته أنت به أنت فكن أنت به أند خلك داري وتمنعك ابراري أنبرزك لكوني وتمنعك وجودعوني أنخرجك الى وجودي وتمنعك جودي أأطالبك بحقي وأمنعك وجود رزقي أأقتضي منك خدمتي ولا أقضي لك بقسمتي ويحك عندي لك هبات شتى وفيك أظهرت رحمتي وما قنعت لك بالدنيا حتى ادخرت لك جنتي وما اكتفيت لك بذلك حتى اتحفتك برؤيتي فاذا كانت هكذا افعالي فكيف تشك في افضالي *(أيها العبد)* لا يدلنعمتي من آخذ ولفضلي من قابل وأنا الغني عن الانتفاع بالمنافع لما دل عليه الدليل القاطع فلو سالتني أن أمنعك رزقي ما أجبتك ولو سالتني ان أحرمك من فضلي ما أحرمتك فكيف وأنت دائما تسالني وكثيرا ما تطالب مني فاستح مني ان كنت لا تستحي مني وافهم عني ولقد أعطى كل العطاء من فهم عني *(أيها العبد)* تخيرني ولا تخير على ووجه قلبك بالصدق الي فانك ان تفعل أريك غرائب لطفي وبدائع جودي وأمتع سرك بشهودي لقد أظهرت الطريق لاهل التحقيق وبينت معالم الهدى لذوي التوفيق فبحق سلم الى الموقنون وبيان توكل على المؤمنون علموا اني لهم خير من أنفسهم لانفسهم وان تدبيري لهم اجدى عليهم من تدبيرهم لها فاذعنوا لربوبيتي مستسلمين وطرحوا أنفسهم بين يدي مفوضين فعوضتهم عوض ذلك راحة في نفوسهم ونورا في عقولهم ومعرفة في قلوبهم وتحققا بقربي في أسرارهم هذا في هذه الدار ولهم عندي اذا قدموا على أن أجل منصبهم وأعلى محلهم وانشر ألوية المجد عليهم ولهم اذا أدخلتهم داري ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر *(أيها العبد)* الوقت الذي أنت تستقبله لم أطالبك فيه بالخدمة فكيف تطالبني فيه بالقسمة فاذا كافتك تكلفت لك واذا استخدمتك أطعمتك واعلم بأني لا أنساك وان نسيتني وانى ذكرتك من قبل ان تذكرني وان رزقي عليك دائم وان عصيتني فاذا كنت كذلك في اعراضك عني فكيف ترى أكون لك في اقبالك على ما قدرتني حق قدري ان لم تستسلم لقهري ولا رعيت حق بري ان لم تمتثل امري فلا تعرض عني فانك لا تجد من تستبدل مني ولا تغتني بغيري فان أحدا لا يغنيك عني أنا الخالق لك بقدرتي وأنا الباسط لك منتي فكما أنه لا خالق غيري كذلك لا رازق غيري أأخلق وأحيل على غيري وأنا المتفضل وأمنع العباد وجودي فتق أيها العبد بي فانا رب العباد واخرج عن مرادك معي ابلغك عين المراد واذكر سوابق لطفي ولا تنس حق الوداد * أردنا ان نختم هذا الكتاب بدعاء مناسب لما الكتاب موضوع له وهو (اللهم) انا نسالك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد اللهم اجعلنا من المستسلمين اليك ومن القائمين بين يديك واخرجنا من التدبير معك أو عليك واجعلنا من المفوضين اليك اللهم انك قد كنت لنا من قبل أن نكون لانفسنا فكن لنا بعد وجودنا كما كنت قبل وجودنا وألبسنا ملابس لطفك وأقبل

علينا بجنابك وعطفك وأخرج ظلمات التدبير من قلوبنا وأشرق نور التفويض في أسرارنا واشهدنا حسن اختيارك لنا حتى يكون ما تقضيه فينا وتختاره لنا أحب الينا من مختارنا لانفسنا اللهم لا تشغلنا بما ضمنت لنا عما أمرتنا ولا بشيء أنت ضامنه لنا عن شيء أنت طالبه منا اللهم انك دعوتنا الى الانقياد اليك والدوام بين يديك وانا عن ذلك عاجزون الا أن تقدرنا وضعفاء الا أن تقوينا ومن أين لنا ان نكون في شيء الا ان كونتنا وكيف لنا ان نصل لشيء الا ان وصلتنا وأنى لنا ان نقوى على شيء الا ان أعنتنا فوفقنا لما به أمرتنا وأعنا على الانكفاف عما عنه زجرتنا اللهم ادخلنا رياض التفويض وجنات التسليم ونعمنا بها وفيها واجعل أسرارنا معك لامع غيرها ولذتها ولذتنا بك لا بزينتها وبهجتها اللهم أشرق علينا من أنوار الاستسلام اليك والاقبال عليك ما تبتهج به أسرارنا وتتكمل به أنوارنا اللهم انك قد دبرت كل شيء قبل وجود كل شيء وقد علمنا انه لن يكون الا ما تريد وليس هذا العلم نافعا لنا الا أن تريد فردنا بخيرك وارفع شأننا بفضلك واقعدنا بعنايتك وحفنا برعايتك واكسنا من ملابس أهل ولايتك وأدخلنا في وجود حمايتك انك على كل شيء قدير اللهم انا علمنا ان حكمك لا يعاند وقضاءك لا يضاد وقد عجزنا عن ردنا ما قضيت ودفع ما أمضيت فنسالك لطفا فيما قضيت وتأييدا فيما أمضيت واجعلنا في ذلك ممن رعيت يا رب العالمين اللهم انك قد قسمت لنا قسمة أنت موصلها لنا فوصلنا اليها بالهناء والسلامة من العناء مصاحبين فيها من الحبة محفوفين فيها بانوار الوصلة نشهدها منك فنكون لك من الشاكرين ونضيفها لك ولا نضيفها لاحد من العالمين اللهم ان الرزق بيدك رزق الدنيا ورزق الآخرة فارزقنا منهما ما علمت فيه المصلحة لنا والعود بالجدوى علينا اللهم اجعلنا من المختارين لك ولا تجعلنا من المختارين عليك ومن المفوضين لك لا من المعترضين عليك اللهم انا اليك محتاجون فاعطنا وعن الطاعة عاجزون فاقدرنا وهب لنا قدرة على طاعتك وعجزا عن معصيتك واستسلاما لربوبيتك وصبرا على أحكام الهيتك وعزا بالانتساب اليك وراحة في قلوبنا بالتوكل عليك واجعلنا ممن دخل ميادين الرضا وكرع من تسنيم التسليم وجنى من ثمار المعارف وألبس خلع التخصيص وأتحف تحفة القرب وفوح من حضرة الحب دائمين على خدمتك محققين لمعرفتك متبعين لرسولك وارثين عنه وآخذين منه ومحققين به وقائمين بالنيابة عنه واختم لنا منك بخير يا رب العالمين انتهى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

(يقول راجي غفران المساوي مصححه محمد الزهري الغمراوي)

بعد حمد مفيض نور الوجود على أفق هيا كل الموجودات والصلاة والتسليم على سيدنا محمد خير البريات وعلى آله ذوي النفوس الزكيه وأصحابه أصحاب الهمم العليه فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب التنوير في اسقاط التدبير للامام أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري الشاذلي رحمه الله وأحله من دار كرامته في المكان العلي وقد تحلت طرره ووشيت غرره بكتاب تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس للمؤلف المذكور ضاعف الله له الاجور وذلك بالمطبعة الميمنيه

بمصر المحروسة المحمية بجوار سيدي أحمد الدردير

قريبا من الجامع الازهر المنير وذلك في شهر

جمادى الثانية سنة ١٣٢١ هجريه

على صاحبها أفضل الصلاة

وأزكى التحية

آمين *

العوالم اليك وأوقفني على بكرمك عليك فكيف أخيب وأنت أملي أم كيف أهان وعليك متكلي كيف استعز وفي الذلة أركزتني أم كيف لا أستعز واليك قد نسبتني كيف لا أفتقر وأنت الذي في الفقر أفنتني أم كيف أفتقر وأنت الذي بجودك أغنيتني أنت الذي لا اله غيرك تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وأنت تعرفت لي في كل شيء فرأيتك ظاهرا في كل شيء فأنت الظاهر لكل شيء يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه محقت الآثار بالآثار ومحوت الاغيار بمحيطات أفلاك الانوار يا من احتجب في سرادقات عزه عن ان تدركه الابصار يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الاسرار كيف تخفى وأنت الظاهر أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي الطاهر الذكي وعلى آله صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكرب وتزول بها الضرر وتهون بها الامور الصعاب صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين